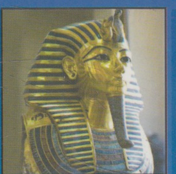
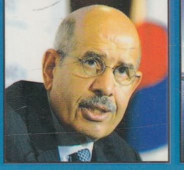
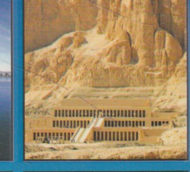
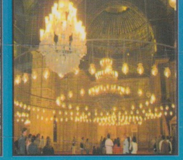
العالم بأصابع مصرية

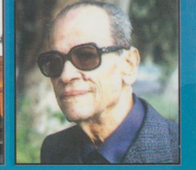
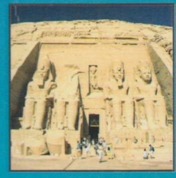
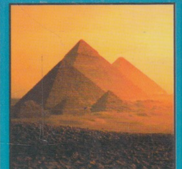
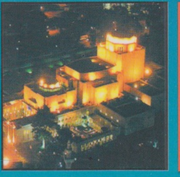
الدكتور السيد بهنسى









العالم بأصابع مصرية

العالم بأصابع مصرية

الدكتور السيد بهنسى

أستاذ الإعلام بجامعة عين شمس



بهنسى ، السيد
العالم بأصابع مصرية / السيد بهنسى . ط 2 . – القاهرة : عالم الكتب ، 2008
386 ص ، 24 سم
تدمك : 0 - 631 – 232 – 977
1- الثقافة العربية
أ - العنوان
301.20953

عالم الكتب
نشر . توزيع . طباعة

❖ الإدارة :
16 شارع جواد حسنى - القاهرة
تليفون : 23924626
فاكس : 0020223939027

❖ المكتبة :
38 شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة
تليفون : 23926401 - 23959534
ص . ب 66 محمد فريد
الرمز البريدى : 11518

❖ الطبعة الأولى لعالم الكتب
1429 هـ - 2008 م

❖ رقم الإيداع 3349 / 2008

❖ الترقيم الدولى I.S.B.N
977 – 232 – 631 - 0

❖ الموقع على الإنترنت : WWW.alamalkotob.com

❖ البريد الإلكترونى : info@alamalkotob.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾

صدق الله العظيم

إهداء

إلى بيتنـــا القديم ... بجــوار قلعة صـــلاح الدين

إلى كل دروب هــذا الحى التى صـــارت شراييني

إلى نبض وعبق وذكريات كل شئ فى هذا المكان

وإلى ســنوات العـمر الجـميل ... يــوم كانت

كل الأحـــلام قادمـــة .....

قبل أن تقرأ هذا الكتاب

بعيداً .. بعيداً .. منذ أكثر من خمسة آلاف عام ، وفى أحضان بقعة مصرية صغيرة بالقرب من قرية ميت رهينة بالجيزة الآن بدأ من مدينة منف تاريخ هذا العالم.

وعبر هذه الرحلة الطويلة من ذلك التاريخ الممتد قاد المصريون مسيرة العالم قروناً طويلة ، وأضاءوا بالعلم والتمدن لياليه المظلمة ، كانت أحلامهم متجاوزة كل شئ كى يقدموا للدنيا حضارة تليق بهم ، وبالإنسان الذى كرمه الله .. حضارة سرها أنها كانت نبتاً مصرياً خالصاً من هذه الأرض ، صنعها من أحب مصر يوماً فأخلص لها بلا حدود ، من أبى أن يمضى رقماً كما جاء ، وأصر أن يأتى فى تاريخها فارساً ممتطياً شهاباً ، يقول كلمته فى صدق، ويفعل ما ينبغى فى صدق .... ثم يمضى فارساً كما جاء.

حين كان العالم يخطو خطواته الأولى متعثراً ، كان فى مصر دولة ، وحكم ، ونظام ، وشعب مستنير أنشأ متأنياً حضارته ، ودانت له بالعلم كل مجالات الحياة ، وانطلق خارج حدوده يحكم ، ويوقظ ، ويعلم ، وينشئ ما يزال يدل القادمين عليه ، ويبرهن لهم على قدرته المبهرة التى لم يطلقها كى يعيش ، وإنما ليحيا ويسود ، قدراته التى قدمت للعالم أول أبجدية عرفها التاريخ ، وأول

تقويم للأيام والسنين ، وأول مكتبة للمعرفة ، وأول جامعة علمية ، وأقدم دساتير الطب ، وأشهر روايات الأدب ، وأهم الألعاب الرياضية ، وأول إمبراطورية مختلفة الشعوب ، واثنين من عجائب الدنيا السبع مازالت أهمها هى الوحيدة الباقية ، بل فى مصر وبالتحديد فى الإسكندرية تغيرت علاقة الشمس بالأرض.

وإذا كان سبق أجدادنا المصريين يعد شرفاً لنا نقدره إكباراً ولا ندعيه ، فإن دورنا فى مسيرة الحضارة لم يقف – كما يدعى من لا يعرف – عند ذلك الزمن البعيد ، فحديثاً كانت مصر أول دولة فى أفريقيا يخطو فيها الإسلام خطواته الأولى ومنها انطلق ، وعلى نيلها بنى المصريون أول أسطول بحرى للفتوحات الإسلامية ، واستطاع أبناؤها أن يهزموا جيوش التتار وأن يوقفوا زحفهم المدمر على المدنية الحديثة ، وكانت أول دولة عربية وأفريقية عرفت الصحافة والسينما، وأنشأت أول مجمع للغة العربية ، وقدم أبناؤها أول رواية عرفتها اللغة العربية ، وسبقت كل الشرق حين أنشأت أول خط سكك حديدية ، وكانت أول دولة تشترك فى الدورات الأولمبية من خارج أوربا وأمريكا ، ومنها خرج أول شرقى ليعبر المانش ، وسبقت العرب وأفريقيا كلها فى ممارسة الألعاب الرياضية ، وحصل أربعة من رجالها على جوائز نوبل الرفيعة فى السلام والأدب والكيمياء .

إنها مصر التى كرمها الله فى القرآن الكريم ، وأوى إليها أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام وخرج منها بنسب يعتز به الإسلام ، وعلى أرضها نشأ يوسف عليه السلام بعد تآمر إخوته عليه ، وفيها ارتقى وملك خزائنها ، وفيها نشأ موسى عليه السلام وتلقى رسالة ربه ، واحتمى بها عيسى عليه السلام من بطش بنى إسرائيل ، وتزوج منها محمد صلى الله عليه وسلم وأوصى بأهلها خيراً.

وكى يزهر الآتى يجب أن نعرف من أين تأتى الجذور؟! وكيف أتت؟!
وإذا كان لكل أمة أوجاعها ، فإن لها أسرار قوتها ، وقد يكمن فى الأمس سـر الغد القادم .. وهذا ما دفعنى لأضع هذا الكتاب ، ذلك أننا نعرف مـن تـاريخ العالم – الذى لم يكن يوم كنا – أكثر مما نعرف عن أنفسنا، وأقل بكثيـر ممـا يعرف ذلك العالم عنا .. هل ألفنا الطريق فأصبحت التفاصيل لا تثيرنا ؟!!.. هل تعودنا الملامح فلم يعد هناك جديد فيما نراه ؟!!! هل نسينا ما أراد لنا الـبعض أن ننساه ؟!!! وهو ما كان لا ينبغى لنا إلا أن نتأمله ونستلهمه؟!!!

إننا نقطة البداية ... يجب أن نعلم مَنْ نحن ؟ ومَنْ نكون؟ كـى نحـدد ماذا نريد؟ وماذا نقدر عليه؟ وهذا ما حاول كتابى أن يجيب عليه ، وهو بعـض من فيض كثير ، وصفحات من كتاب كبير اسمه " مصـــــــــر " .

ولا يفوتنى أن أتقدم بتقديرى لكل الكتاب الذين سبقونى فى الكتابة عـن مصر ، وأعانتنى مؤلفاتهم فى صياغة هذا العمل .

والآن .. هذا كتابى يقدم مصر إليك .. وأرجو أن يكون الله قد وفقنـى فيما قدمت .

مع تقديرى ...،،،

القاهرة : ٢٠٠٨/١/١

أ.د السيد بهنسى

مصر فى القرآن الكريم

اختص الله تعالى مصر فى القرآن الكريم بمكانة وتكريم عظيمين ، وأنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم آيات بينات تؤكد ما حباها من فضل .. وشهد بمنزلتها فى قرآنه العظيم ، وذكرها باسمها ، وكرر ذكرها فى آيات كثيرة ، وروى من أحداثها ما ينبئ عن أحوالها وخيراتها وثرائها ، وأحوال الأنبياء والملوك الذين عاشوا بها ، وأقسم بجبل الطور الذى كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام ، وشهد للعديد من أماكنها بالرفعة ، وكفى بالقرآن الكريم شهيداً.

وقد ورد ذكر مصر فى القرآن الكريم فى آيات عديدة .. فقد جاء ذكرها صراحة ونصاً فى أربع آيات هى :

﴿ وأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ يونس (٨٧)

﴿ وَقَالَ الَّذى اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ يوسف (٢١)

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾
يوسف (٩٩)

﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ﴾ الزخرف (٥١)

كما جاء ذكر مصر بصورة غير مباشرة عن طريق ذكر أماكن أو أشخاص أو أحداث جرت بها فى آيات كثيرة :

﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ ﴾ التين (١ ، ٢)

﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلآكِلِينَ ﴾
المؤمنون (٢٠)

وقد ذكر فى هاتين الآيتين طور سنين أو طور سيناء ، والمقصود به جبل الطور بسيناء ، الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام .

وفى قصة يوسف عليه السلام والتى دارت اغلب أحداثها فى مصر ، جاء ذكرها بشكل غير مباشر فى آيات كثيرة ، ففى سورة يوسف جاءت فى الآيات ٢٣ إلى ٦٢، ٦٧ إلى ٨٢ ، ٨٨ إلى ٩٣ ، ٩٩ إلى ١٠٠ ، ومن هذه الآيات :

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ يوسف (٣٠)

﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ يوسف (٤٢)

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ يوسف (٥٤)

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ يوسف (٨٨)

وهنا نجد فى الآيات ذكر العزيز وامرأته ويوسف عليه السلام وأخوته وأحداث قصتهم التى جرت بمصر .

وفى قصة موسى عليه السلام جاءت مصر فى آيات كثيرة ، فبعد مولده أوحى الله إلى أمه أن تلقيه فى اليم .. واليم فى اللغة العربية البحر أو النهر وهو كذلك فى اللغة المصرية القديمة ، ولذلك ورد لفظ اليم فى القرآن ثمانى مرات لم يذكر فى إحداها فى غير ما يخص مصر حيث ذكر بمفهوم النيل ثلاث مرات وأطلق على البحر الذى غرق فيه فرعون خمس مرات :

﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ الأعراف (١٣٦)

﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ طه (٣٩)

﴿ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ﴾ طه (٣٩)

﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ طه (٧٨)

﴿ لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾ طه (٩٧)

﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ﴾ القصص (٧)

﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾ القصص (٤٠)

﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ الذاريات (٤٠)

كما ورد ذكر مصر بصورة غير مباشرة فى قصة موسى عليه السلام مع فرعون وقومه فى (٢٧) سورة هى سور البقرة وآل عمران والأعراف والأنفال ويونس وهود وإبراهيم والإسراء وطه والمؤمنون والشعراء والنمل

والقصص والعنكبوت وص وغافر والزخرف والدخان وق والذاريات والقمر والتحريم والحاقة والمزمل والنازعات والبروج والفجر ، وقد جاء ذكر فرعون وامرأته وقومه فى أكثر من سبعين آيه منها :

﴿ وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لاَ تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾ القصص (٩)

﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾

طه (٤٣،٤٤)

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ﴾ القصص (٤)

كما جاء ذكر أماكن أحداث جرت فى مصر فى آيات كثيرة روت قصة موسى عليه السلام منها :

﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ القصص (١٥)

﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾

القصص (٢١)

وتشير هاتان الآيتان إلى المدينة المصرية التى كان يعيش فيها موسى وحادث قتله لأحد المصريين.

﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٢٩) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ القصص (٢٩،٣٠)

﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ طه (١٢)

وتدل هاتان الآيتان على تلك البقعة المباركة من سيناء والتى تلقى فيها موسى رسالة ربه.

كما جاء ذكر غرق فرعون فى سورة يونس :

﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ يونس (٩٢)

كما جاءت قصة موسى والخضر عليهما السلام فى سورة الكهف ، ويذكر بعض المؤرخين أن موسى وعد بلقاء الخضر فى مصر حيث لقيه فى بعض رحلاته شرقى الدلتا ، حيث يجتمع البحران المتوسط والأحمر ويوشك أن تجمع بينهما بحيرات المنزلة والبلاح والبحيرات المرة وبحيرة التمساح وقد يكون ذلك عند أحد مصبات النيل وهو " مجمع البحرين " الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم ، حيث أن من المأثور من سيرة موسى أنه لم يغادر مصر إلا إلى مدين أولاً ثم مع بنى إسرائيل متوجهاً إلى فلسطين.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً ﴾

الكهف (٦٠)

كما قدر الله لنبيه عيسى بن مريم أن يهبط مصر حين كان فى المهد :

﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾

المؤمنون (٥٠)

وقد أجمعت التفسيرات على أن " الربوة " الواردة فى الآية هى مصر ، وإن كان البعض قد اختلف فى تحديد المكان فالبعض يقول إنها المنطقة بين عين شمس ومصر القديمة ، بينما يقول البعض أنها قرية البهنسا فى المنيا ، ويقول البعض أن المقصود بالربوة مصر بشكل عام.

مصر فى أحاديث الرسول
صلى الله عليه وسلم

شرفت مصر بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، وقد كتب إلى المقوقس والى الروم كتاباً يقول فيه " بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإنى أدعوك بدعاية الإسلام فأسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فعليك إثم كل القبط .. يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون "

وقد رد المقوقس على كتاب الرسول رداً جميلاً وأرسل بعض الهدايا إليه.

وعن أبى ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **ستفتحون مصر وهى أرض يسمى فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمماً ورحماً** ".. والمراد بالرحم أنهم أخوال إسماعيل بن سيدنا إبراهيم الخليل عليهما السلام فقد كانت السيدة هاجر أم إسماعيل مصرية ، وإسماعيل عليه السلام والد عرب الحجاز الذين منهم النبى صلى الله عليه وسلم ، كما يعد المصريون أخوال إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أمه مارية كانت مصرية أهداها المقوقس حاكم مصر حين بعث برده على رسالة النبى .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **إن الله سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيراً فإن لكم منهم صهراً وذمة** ".

كما أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم عند وفاته بأهل مصر قائلاً : **"الله الله فى قبط مصر ، فإنكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عدة وأعواناً فى سبيل الله** ".

كما قال صلى الله عليه وسلم عن قبط مصر " **إنكم ستقدمون على قوم جعد رؤوسهم فاستوصوا بهم خيراً فإنهم قوة وبلاغ إلى عدوكم بإذن الله** ".

وقال صلى الله عليه وسلم " **استوصوا بالقبط خيراً فإنكم ستجدونهم نعم الأعوان على قتال عدوكم** ".

واخرج ابن عبد الحكم عن موسى بن أبى أيوب اليافعى عن رجل من المريد " **أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض فأغمى عليه ثم أفاق فقال : استوصوا بالأدم الجعد ثم أغمى عليه ثم أفاق فقال مثل ذلك فقال القوم : لو سألنا رسول الله صلى الله عليه من الأدم الجعد ، فأفاق فسألوه ، فقال " قبط مصر فإنهم أخوال وأصهار وهم أعوانكم على عدوكم وأعوانكم على دينكم فقالوا كيف يكونون أعواننا على ديننا يا رسول الله فقال يكفونكم أعمال الدنيا وتتفرغون للعبادة فالراضى بما يؤتى إليهم كالفاعل بهم ، والكاره لما يؤتى إليهم من الظلم كالمستنزه عنهم** ".

وأخرج ابن عبد الحكم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " **إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا منها جنداً كثيفاً فذلك خير أجناد الأرض ، فقال له أبو بكر – رضى الله عنه – ولم يا رسول الله ؟ قال لأنهم وأزواجهم فى رباط إلى يوم القيامة** ".

كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **الله الله فى أهل الذمة أهل**

المدرة السود السحم الجعاد فإن لهم نسباً وصهراً " ذلك أن ثلاثة من الانبياء قد صاهروا المصريين ، إبراهيم عليه السلام تزوج هاجر وأنجب منها إسماعيل ، ويوسف عليه السلام ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ماريـــة وأنجـــب منها إبراهيم .

كيف كانت مصر
قبل أن يبدأ التاريخ؟

تعد مصر هى الدولة الوحيدة فى العالم التى يمكن تتبع تاريخها وحضارتها منذ عصر ما قبل التاريخ وحتى الآن ، ويقدر العلماء ظهور الإنسان على أرض مصر لأول مرة منذ نحو مائة ألف سنة قبل العصر التاريخى ، حيث كانت الحضارة فى أول أمرها غاية فى البساطة ثم أخذت تنمو وترتقى ببطء شديد حتى بدأ العصر التاريخى عام ٣٢٠٠ ق.م .. ويرجع الفضل فى كشف حضارة مصر فى عصر ما قبل التاريخ إلى جهود العلماء والمنقبين الذين قاموا ببحوثهم فى مناطق مختلفة من مصر ، فى الفيوم والبدارى بأسيوط ونقادة بقنا والمعادى وحلوان وغيرها من المدن التى كانت مراكز الحضارة منذ آلاف السنين.

وينقسم عصر ما قبل التاريخ فى مصر إلى عدة عصور تعرف بالعصور الحجرية ، حيث صنع الإنسان معظم أدواته من الحجر ، وهذه العصور هى :

١- العصر الحجرى القديم.

٢- العصر الحجرى المتوسط.

٣- العصر الحجرى الحديث.

فكيف كانت مصر منذ أكثر من مائة ألف عام .. ؟

منذ آلاف السنين ، أتى على أوربا حين من الدهر غطى الثلج أراضيها وعطل الحياة ، وفى نفس الوقت كان شمال إفريقيا بما فيه مصر كثير المطر ، وكان من أثر ذلك أن نمت على الهضاب والصحارى فى مصر أعشاب كثيرة وأشجار متفرقة وعاش فيها حيوانات كالوعل والغزال والأغنام البرية والبقر الوحشى والضباع ، وكان وادى النيل مليئاً بالمستنقعات لكثرة طغيان النهر وفيضانه وعاشت على ضفافه التماسيح والفيلة وعجول البحر.

وقد فضل المصريون الأوائل أن يعيشوا فوق الهضاب هروباً من الحيوانات الضارية وطغيان النهر ، وشقوا كهوفاً فى الصخور يأوون إليها ، ويقيمون المواقد عند مداخلها وعاشوا على الفطرة يجمعون الثمار من الأشجار ، ويصيدون الطير والحيوان ، وصنعوا أدوات غاية فى البساطة تعينهم على هذه الحياة من حجر الصوان أهمها البلطة والسكين والمنشار ودبابيس ذات مقابض خشبية ، وكانت أدوات خشنة كبيرة الحجم ثم أخذ حجمها يتضاءل ونوعها يتحسن بمرور الزمن ، كما عرف المصرى القديم كيف يوقد النار ويطهو الطعام .. ويعرف هذا العصر بالعصر الحجرى القديم ، ووجدت آثار هذه الفترة فى كوم أمبو وحلوان والفيوم وسقارة.

وظل المصريون على هذا الحال عشرات الآلاف من السنين تغيرت خلالها الأحوال المناخية فقل سقوط المطر ، وقلت الحشائش على الهضاب وهجرها الحيوان ، وردم الطمى المتخلف من فيضان النيل معظم المستنقعات ، وهبط المصريون إلى الوادى حيث النبات الوفير وصيد البر والبحر ، ثم أخذوا بالتدريج يعتمدون على ماء النهر لا على المطر كما كانوا يفعلون من قبل ،

واهتدوا إلى زراعة الأرض ، وأخذوا يتتبعون أدوار نمو الزرع وبذلك بدأت حضارة المصريين تعتمد على الزراعة بدلاً من الاعتماد على الصيد.

وبمعرفة المصريين للزراعة اضطروا للاستقرار والثبات ، وتركوا حياة الترحال وأخذت القبائل تجتمع وتقيم قرى لسكناها ومهد هذا لقيام المدن .. وكانت القرية تتكون من أكواخ من الغاب وأغصان الشجر وتطلى من الخارج بالطين وتسقف بحصير من الغاب أو بجلد الحيوان ، وكان يوضع موقد في مدخل الكوخ ترص بجواره قدور مختلفة الأحجام يحفظ الماء في بعضها ويخزن الطعام والغلال في البعض الآخر.

وفي هذا العصر - العصر الحجري المتوسط - تعددت الأدوات والآلات تبعاً للانتقال من حياة الرعي والصيد إلى الحياة الزراعية ، وتنوعت المواد المستخدمة في صناعتها وتحسن نوعها ، فقد صنعوا أسنة الحراب الدقيقة ورؤوس الفؤوس اللازمة للزراعة ، والمكاشط الخاصة بصناعة الجلد ، والمدى والمناشير ، كما استعملت العظام في عمل أسنة الخطاطيف والإبر وغيرها من الصناعات الدقيقة ، وبرع المصريون في ذلك العصر في صناعة آنيتهم من الفخار ذي اللونين الأحمر والأسود ، وصنعوا نماذج جميلة من الأطباق والأكواب والأباريق ، وكانت أدوات الزينة في هذا العصر بسيطة مصنوعة من عظام الحيوانات أو الطين المحروق.

وكان المصريون في ذلك العصر يدفنون موتاهم في مدافن قريبة من القرى وعلى حافة الصحراء لتكون بعيدة عن فيضان النيل ، وكان القبر عبارة عن حفرة بسيطة قريبة من سطح الأرض ، وكانوا يضعون مع المتوفى بعض الحبوب وأوان تحوي الطعام والشراب وأدوات الزينة والأدوات التي كان يستعملها في حياته مما يدل على أنهم كانوا يعتقدون في حياة أخرى بعد الحياة

الدنيا .. وقد عثر على أثار هذا العصر فى أماكن كثيرة أهمها حلوان والسبيل شمال كوم أمبو والفيوم.

وفى العصر التالى – العصر الحجرى الحديث – عرف المصريون معادن عديدة كالذهب والنحاس والحديد والبرونز وأخذوا يستخدمونها فى صناعة أدواتهم وحليهم ، وكان أهم معدن انتفعوا به هو النحاس ، وكانت أهم مناجمه فى شبه جزيرة سيناء .. وقد صنع المصريون من النحاس المقصات والأزاميل والخناجر والخطاطيف ، وبلغوا فى صناعة هذه الآلات درجة عالية من الإتقان، أما الذهب والفضة فقد استخدموهما فى صناعة الحلى وأدوات الزينة ، ومن الصناعات التى أرتقت فى ذلك العصر نسج الأقمشة والنجارة وصناعة الجلود والعاج ، وبلغت الأوانى الفخارية درجة فائقة من الجمال حيث تعددت ألوانها وأنواعها وصارت تزين بنقوش جميلة ، وبدأ المصريون يصنعون خرزات من الزجاج.

وامتدت يد التحسين إلى المساكن فلم تعد أكواخاً من البوص ، وإنما صارت مستطيلة الشكل من الطين اللبن ، وفرشت بالحصير ، وتأثثت بأسرة من الخشب ووسائد من القماش أو الجلد المحشو بالقش ، كما بدأ فى هذا العصر إستئناس الحيوان ، واتبع هذا الاستقرار قيام أقاليم منظمة يحكمها رؤساء أقوياء، وقد استمر هذا العصر حتى بداية العصر التاريخى الذى يبدأ فى ٣٢٠٠ ق.م ، ووجدت آثاره فى أماكن كثيرة أهمها نقادة والبدارى ودير تاسا والفيوم.

أول أبجدية فى العالم

كانت مصر أول دولة ابتدعت الكتابة فى العالم ، وكانت أول من أوجد الأبجدية ، وأول من اخترع القلم ، وأول من أوجد برديات ووثائق المنسوجات.

فقد سبق المصريون جميع شعوب العالم فى استعمال الكتابة ، ويمكن القول بأنها ظهرت قبل عصر الأسرات حيث وجدت بعض الآثار المدون عليها كتابات ، وكانت هذه الكتابة فى أول أمرها صوراً ، إذ كانوا يعبرون عن الشئ برسم صورته ، ثم تطورت الكتابة تدريجياً فلم تعد مقصورة على الصور التى تعبر عن أشياء فردية وإنما استعملوا حروفاً أبجدية يكتبون بها كل ما يدور بخلدهم من تعبيرات وكلمات يصعب تصويرها .

والهيروغليفية (ومعناها الكتابة المنقوشة المقدسة) هو الاسم الذى أطلقه الإغريق على الكتابة المصرية القديمة عندما شاهدوها لأول مرة ، وقد ظلت الهيروغليفية مستخدمة كأسلوب أو نمط فى الكتابة الدينية وعلى جدران المبانى التذكارية ، واستمر ذلك إلى ما بعد فترات المرحلتين التاليتين ويعرفان بالهيراطيقية والديموطيقية وهما ينحدران من الهيروغليفية .

والهيروغليفية هى كتابة تصويرية صوتية رمزية تتألف من صور بعض الحيوان والنبات والأثاث والأدوات والأسلحة وغيرها .. وهى كتابة معقدة

إذ قد تستعمل رموزها تارة للتعبير عن الأصوات وتارة أخرى للتعبير عن الأفكار ، ولما كانت الحركات غير مبينة فلا يمكن النطق بالكلمات إلا على وجه التقريب ، ويرجع التباين فى قراءة أسماء الأعلام إلى ذلك لتعدد الطرق التى اتبعها الأثريون فى كتابتها .. والأصل أن تكتب الهيروغليفية عمودياً من أعلى إلى أسفل لكنها منذ زمن كانت تكتب أفقياً أيضاً من اليمين إلى اليسار فى العادة، وقد تكتب من اليسار إلى اليمين ، وفى كلتا الحالتين تكتب الرموز بحيث تكون أشكال الإنسان والحيوان متجهة نحو أول السطر.

وقد تفرع من الهيروغليفية أسلوبان للكتابة هما : الهيراطيقية أو كتابة الكهنة وهى أسلوب مبسط للكتابة نشأ لغرض التغلب على صعوبة اللغة الهيروغليفية لعجز بعض الكتاب أو قلة خبرتهم ، فاختصرت إشاراتها حتى خلت من العلامات التصويرية ، وكانت تستخدم فى تدوين الرسائل الإدارية والخاصة ، وفى كتابة النصوص الدينية والأدبية والعلمية .. والأسلوب الثانى هو الكتابة الديموطيقية وكانت تستعمل فى كتابة اللغة العامية.

وقد كان لاكتشاف حجر رشيد علم ١٧٩٩م أهمية كبرى ، فقد احتوى على نص مدون بالهيروغليفية والديموطيقية واليونانية ، فكان بمثابة مفتاح لاكتشاف أصول الكتابة الهيروغليفية.

وقد قضى الفتح العربى لمصر على اللغة المصرية القديمة وكتابتها ، إذ دخل المصريون فى الإسلام وبدأوا يتعلمون اللغة العربية ، وبتعاقب السنين نسيت اللغة والكتابة القديمة نسياناً تاماً ، وأصبح الناس يرون آثار مصر القديمة وما عليها من نقوش وكتابات فلا يفهمون لها معنى.

وكان القلم الذى يستخدمه المصريون فى الكتابة مصنوعاً من قصبة رفيعة الساق ، شديدة الامتصاص ، يبلغ طولها عادة نحو تسع بوصات ، وبعد

تدليكها أو الطرق على أحد طرفيها طرقاً هيناً بمطرقة خفيفة يهترئ نسيج بنائها الداخلى قليلاً ، وبعد ذلك تحتفظ بكمية وافرة من المداد تكفى لكتابة عـــدد مـــن الكلمات تبعاً لحجمها قبل أن تملأ من جديد.

وقد استخدم قدماء المصريين المداد الأسود والأحمـــر فـــى الكتابـــة .. والمداد الأسود الذى استخدمه الكتاب المصريون كان شديد الثبـــات إلـــى حـــد احتفاظ اللون الأسود بدرجة قتامته فلا تتغير بعد آلاف السنين ، وكان يصنع من الفحم، وعادة من السناج الناعم ويمزج بالماء ، ولزيادة تماسكه أضافوا إليه مواد مناسبة مثل الصمغ .. والمداد الأحمر صنعوه بنفس الطريقة وكان يحضر مـــن صبغ مستمد من أحد الأكاسيد الحمراء ، وكان يستخدم لتمييز العناوين ورؤوس الموضوعات وبداية الفقرات الجديدة.

وكان قدماء المصريين أول من استخدموا ورق البردى ، وكانت كتبهم على هيئة لفائف ، وظل نبات البردى الدعامة الأساسية للكتاب فى مصر منذ تم اكتشافه قبل الميلاد بثلاثة آلاف عام ، وقد عرف فى بلاد الإغريق فى القـــرن السابع قبل الميلاد ، وفى روما ابتداء من القرن الثالث قبل المـــيلاد ، وظلـــت أوربا تستعمله حتى منتصف القرن الحادى عشر الميلادى.

وكان قدماء المصريين يكتبون على وجه واحد فقط من الورق ويتركون الوجه الآخر ، وقد عثر على كثير من قطع الخزف والفخار فى جهات مختلفـــه من مصر كان أفراد الطبقة الفقيرة يسجلون عليها كتاباتهم لرخص ثمنها ، ولعدم استطاعتهم الحصول على ورق بردى ، وهذه القطع البسيطة المتناثرة ســـاعدت العلماء على معرفة الكثير عن حياة المصريين فى ذلك العصر.

أول جامعة فى العالم

جامعة " أون " المصرية هى أول جامعة أنشئت فى العالم وذلــك عــام ٤٢٤٠ ق.م ويقال إنه فى جامعة " أون " تعلم موسى عليــه الســلام ويوســف الصديق وأفلاطون ، وقد أقام تحتمس الثالث مسلتين عند مدخل الجامعة نقلتا إلى لندن ونيويورك فيما بعد.

وقد توصل الكهنة فى هذه الجامعة إلى أقدم تقويم نجمى عرفه التــاريخ ولا يزال يؤخذ به حتى الآن فى التقويم الميلادى.

ومما يذكر أن " أون " أو " هليوبوليس " كانت إحدى العواصم المصرية القديمة ، وتقع فى شمال ضاحية المطرية الآن ، ولم يبق من آثارها إلا المســلة المعروفة باسمها وهى الباقية من معبدها الذى بناه الملك سنوسرت الأول .

وفى العصر الحديث عندما أنشئت جامعة عين شمس عــام ١٩٥٠ تــم اختيار المسلة والصقرين شعاراً للجامعة وهى رمز عبادة الشــمس فــى هــذه المنطقة التى نشطت فيها دراسة الفلك وغيرها من العلوم.

أما أول جامعة مصرية فى العصر الحديث فتعود فكرتها إلى جــورجى زيدان الذى كتب على صفحات مجلة الهلال فى أول فبراير ١٩٠٠ مقالاً أقترح

فيه إنشاء كلية لتثقيف الشباب المصرى بدلاً من إرسالهم إلى أوربا وبين الحاجة إليها فى تعليم الشعب معنى الحرية والاستقلال ، كما طالب بتشكيل لجنة لجمع الأموال لها عن طريق الاكتتاب .. ثم أعاد مصطفى كامل طرح هذه الفكرة عندما كتب فى جريدة اللواء فى ٢٦ أكتوبر ١٩٠٤ مقالا ينادى فيه بذلك، ثم عاد إلى الموضوع ثانية فى يناير ١٩٠٥ واقترح أن تسمى الجامعة " كلية محمد على " بمناسبة مرور مائة عام على ولاية محمد على عرش مصر .

وفى عام ١٩٠٦ عندما أرادت الأمة تكريم مصطفى كامل بمناسبة عودته إلى الوطن ، تكونت لجنة للاكتتاب ، وكان الغرض منها إقامة وليمة كبرى له ، وعندما علم مصطفى كامل بذلك أرسل من باريس خطاباً بتاريخ ٢٤ سبتمبر طلب فيه أن تقوم لجنة الاكتتاب بدعوة الأمة كلها لتأسيس كلية أهلية من تبرعات من أبناء الأغنياء والفقراء على السواء .. وبالفعل بدأت عملية الاكتتاب وكان مجموع القائمة الأولى للمكتتبين (٤٥٨٥ جنيهاً) جمعت من ١٦ شخصاً، ثم توالت التبرعات من مختلف المصريين .

وفى ٢١ ديسمبر ١٩٠٨ افتتحت الجامعة الأهلية رسمياً بحضور الخديوى عباس حلمى فى حفلة رسمية أقيمت بقاعة مجلس شورى القوانين .. وبدأت الدراسة بالجامعة ابتداء من مساء ذلك اليوم ، وكانت فى نطاق ضيق حيث نظمت على هيئة محاضرات بعد الظهر من كل يوم وكانت تلقى فى الموضوعات الآتية :

الحضارة الإسلامية – الحضارة القديمة فى مصر والشرق – الجغرافيا والتاريخ عند العرب – آداب اللغتين الفرنسية والإنجليزية ، وفى العام التالى أضيفت دراسات جديدة فى علوم الطبيعة والرياضة.

وفى عام ١٩٠٨ غادرت مصر أولى بعثات الجامعة إلى أكبر جامعات

أوربا وكانت تتألف من أحد عشر طالباً وحتى ١٥ فبراير ١٩١٠ بلغ عدد الطلاب ٤٠٣ منهم ٨٦ من الإناث بينهن ٣٥ مصرية والباقيات أجنبيات ولم تكتف المرأة المصرية بالاستماع إلى المحاضرات فقط ، حيث قامت لبيبة هاشم فى عام ١٩١١ بإلقاء محاضرة فى التربية وتبعتها نبوية موسى فحاضرت النساء عن المرأة والأمة .

وكان أول مقر للجامعة الأهلية بقصر جناكليس بأول شارع القصر العينى (الجامعة الأمريكية الآن) ثم انتقلت إلى قصر محمد صدقى باشا بشارع الفلكى .. وفى عام ١٩١٤ أوقفت الأميرة فاطمة إسماعيل على الجامعة ستمائة فدان وتنازلت لها عن ستة أفدنة بالدقى ليقام عليها مبنى الجامعة .. وقد وضع حجر الأساس لبناء الجامعة فى ٣٠ مارس ١٩١٤ ، ثم قامت الحرب العالمية الأولى فتوقف إتمام بناء الجامعة ثم استولت عليها الحكومة مقابل جزء من الأرض التى قدمتها إلى الجامعة فى المكان الحالى.

وكان أول من تولى إدارة الجامعة الأهلية الأمير أحمد فؤاد ثم حسين رشدى باشا عام ١٩١٣ وحتى عام ١٩١٦ ثم الأمير يوسف كمال حتى ١٩١٧ ثم عاد حسين رشدى باشا فى هذا العام وظل مديراً لها حتى عام ١٩٢٥.

وفى عام ١٩٢٣ أصدر وزير المعارف قراراً بتشكيل لجنة لوضع نظام الدراسة لأقسام الجامعة الأربعة الآداب والعلوم والطب والحقوق ، وفى مارس ١٩٢٥ صدر مرسوم بإنشاء الجامعة المصرية وكان أول رئيس لها هو أحمد لطفى السيد من عام ١٩٢٥ حتى ١٩٤١، ونظراً لأن المبنى المعد للجامعة لم يكن قد استكمل بعد فقد أعطت الحكومة قصر الزعفران بالعباسية ليكون مقراً مؤقتاً لها حتى يتم الانتهاء من بنائها الذى بدء الشروع فيه عام ١٩٢٨ ، وقام الملك فؤاد بافتتاحه فى ٢٧ فبراير ١٩٣٢.

وفى سنة ١٩٤٠ أطلق على الجامعة المصرية اسم جامعة فؤاد الأول ، وفى عام ١٩٥٣ صدر مرسوم بتعديل الاسم إلى جامعة القاهرة.

أقدم تقويم فى العالم

كان قدماء المصريين أول من قاس طول السنة الشمسية بدقــة بالغــة ، وأهدوا للعالم أقدم تقويم أصبح فيما بعد مقياساً لجميع التقاويم التالية ، وذلك منذ أكثر من سبعة آلاف عام.

ذلك أن عشق مصر للنيل دفع أهلها إلى رصد موعد فيضانه ، ووجدوا أن أول بشائر المياه السمراء التى يحملها النيل من منابعه إلى مصر تظهر مــع مطلع نجم ثابت يسطع بوضوح فى سماء معبد " أون " " هليوبوليس " فى نفس اللحظة التى تشرق فيها الشمس ، وهو نجم " سيروس " " الشعرى اليمانيــة " – ويغلب الظن أن كهنة هذه المدينة هم الذين وضعوا التقويم حيث اشتهروا برصد الشمس والنجوم – وقام قدماء المصريين بإحصاء عدد الأيام التى تمر بين كــل مرة يظهر فيها هذا النجم وبين ظهوره فى المرة التالية واستطاعوا تحديد طول دورته الفلكية أو الدورة الشمسية بدقة متناهية فوجدوها ٣٦٥ يومــاً ، فقســموا السنة إلى أثنى عشر شهراً كل منها ثلاثون يوماً ويليها خمسة أيام نسئ (الزيادة) فى نهاية كل سنة جعلوها أعياداً ومواسماً ، ثم أضافوا يوماً كاملاً كــل أربــع سنوات نتيجة لوجود كسر مقداره ربع يوم فى طول السنة.

وقد استخدم قدماء المصريين منذ حــوالى ٣٥٠٠ عــام آلات لتحديــد

ساعات النهار ، وهى ساعات شمسية لقياس امتداد الظل ، كما استخدموا ساعات مائية لقياس ساعات الليل وهى عبارة عن أحواض حجرية كبيرة كان ينقش على جدرانها الداخلية مقياس متدرج للساعات.

وقسم قدماء المصريين السنة إلى ثلاثة فصول هى فصل الفيضان وفصل البذر ، وفصل الحصاد كل واحد منها أربعة أشهر ، وقسموا اليوم إلى أربع وعشرين ساعة.

وقد انتقل التقويم الشمسى من مصر ليحل محل التقويم القمرى الذى كان سائداً عند مختلف الشعوب الآسيوية ، كما نقله اليهود عند خروجهم من مصر ليظهر التقويم العبرى ، وانتقل إلى أوربا عندما أهدت كليوباترا التقويم المصرى إلى يوليوس قيصر ، وكلفت العالم المصرى " سوسيجين " بنقل التقويم المصرى للرومان ليحل محل تقويمهم القمرى ، ثم قام البابا " جريجورى الثالث " عام ١٥٨٢ بإدخال تعديل طفيف فسمى بالتقويم الجريجورى وهو التقويم الذى يستخدم فى العالم الآن ، وهو فى جوهره عمل مصرى صميم أهداه الفراعنة للعالم كله.

المصريون ..
أول من عرفوا صناعة الزجاج

فقد وجدت فى مقابر قدماء المصريين أقدم آثار للزجاج ، حيث كانوا يصنعون قبل الميلاد بثلاثة آلاف عام بعض أنواع الخرز والتعاويذ الزجاجية ، ومازالت هذه الآثار محفوظة فى المتاحف ودور الآثار بجميع أنحاء العالم.

وقد وجد فى مصر عمود من الزجاج عليه نقوش ترجع إلى عهد الملك " أمنمحات الثالث " ، وما زال هذا العمود الزجاجى محفوظاً فى متحف برلين ، ويعد أقدم أثر للزجاج يعرف المؤرخون تاريخ صناعته.

وحوالى عام ١٥٠٠ ق.م استطاع المصريون القدماء أن يبتكروا طريقة عملية لصناعة الأوانى الزجاجية .. فكانوا يصنعون من الرمل والجير كتلاً على هيئة الأوانى المطلوبة ، ويجعلون فى نهايتها قضباناً من المعدن يمسكون بها ، ثم يغمسون هذه الكتل فى الزجاج المصهور حتى يغلفها غطاء كاف من هذا الزجاج ، وبعد ذلك يتركونها حتى تبرد ثم يفتتون الكتل فى داخل الأوانى الزجاجية ويستخرجونها لتبقى الأوانى جوفاء ، وأحياناً كانوا يستخدمون النقوش حتى تبدو الأوانى من الخارج وكأنها مصنوعة من الحجر.

وقد أبدع المصريون القدماء فى صناعة الأوانى الزجاجية بهذه الطريقة

واستطاعوا أن يصنعوا بعض الأدوات الزجاجية الدقيقة لاستعمالها فى القصور الملكية ، مثل الأوانى والأطباق والكؤوس .

وفى متحف " متروبوليتان " للفن بنيويورك كأس خاصة بالملك تحتمس الثالث ، ويرجع تاريخها إلى ما قبل الميلاد بألف وأربعمائة وخمسين عاماً ، وهى من الآثار الرائعة التى تدل على براعة قدماء المصريين فى هذه الصناعة الدقيقة ، وهذه الكأس مصنوعة على هيئة زهرة اللوتس وهى من الزجاج الأزرق الفيروزى ، وتحليها أشرطة من الذهب الخالص.

وقد بلغت دقة هذه الصناعة فى ذلك العصر أن جميع الآثار المصرية القديمة من المصنوعات الزجاجية كانت صغيرة الحجم نسبياً حتى أن بعض الزجاجات التى وجدت فى مقابرهم لم يتعد طولها خمس بوصات.

وإذا كانت عملية الطلاء بالمينا من أقدم العمليات المعروفة فى تزيين الأوانى بوجه عام ، عندما استخدمها المصريون منذ أكثر من خمسة آلاف عام فى تزيين أوانيهم الخزفية .. فإليهم أيضاً يعود الفضل فى تزيين الأوانى باستعمال خيوط رقيقة من الزجاج الملون قبل الميلاد بحوالى ألف وخمسمائة عام كما يعود إليهم فضل عملية الحفر على الزجاج حيث وجدت كأس زجاجية محفور عليها صورة تحتمس الثالث فرعون مصر.

وقد دأب المصريون على اعتبار الزجاج بديلاً للمجوهرات والأحجار الكريمة ، وأحياناً كانوا يصنعون حليهم وأدوات زينتهم من الزجاج المعتم ذى اللون الواحد لتكون أقرب شبهاً بالأحجار النفيسة النادرة ، أما الخرز والجعارين فكانوا يعدونها كالمجوهرات الثمينة ، وقد صنعوها أيضاً من الزجاج بصبها فى قوالب خاصة.

ومن مصر القديمة انتشرت صناعة الزجاج سريعاً إلى بقية البلاد المطلة

على البحر الأبيض المتوسط ، حيث لم يذكر التاريخ شيئاً عن صناعة الزجـاج في هذه البلاد قبل ذلك الحين ، فقد عرف الفينيقيون أسرار صناعة الزجاج من مصر وكانوا أول من تاجر فيه ، ولو انهم لم يبلغوا فيـه مـا بلغـه الصـناع المصريون من مهارة.

وقد استعمل الرومان الزجاج لأول مرة حين جاء يوليوس قيصر إلـى مصر وضمها إلى الإمبراطورية الرومانية وفرض عليهـا الجزيـة ، وكانـت المصنوعات الزجاجية المتنوعة المصرية ضمن هذه الجزية التى كانت ترسـل كل عام إلى روما ، وحين رأى الإمبراطور نيرون تقدم صناعة الزجـاج فـي مصر ، استقدم إلى روما صناعاً مصريين لينشئوا ببلاده أول مصنع للزجـاج وبعدها دخلت هذه الصناعة إلى سائر أنحاء الدولة الرومانية.

الملك الذى بدأ به عصر التاريخ

الملك مينا .. ذلك أن المصريين الأقدمين كانوا يعيشون فى قبائل متفرقة اتخذت كل منها حيواناً أو نباتاً رمزاً لها وإلهاً يحميها ، ولما هبطوا الوادى وزرعوا الأرض واستقروا حولها انشأوا قرى ومدناً لكل منها حاكم يحكمها ورمز من حيوان أو نبات يعبده سكانها .. ثم أخذت المدن والقرى التى تعبد إلهاً واحداً تندمج فى بعضها ونشأت من اندماجها مقاطعات واسعة يحكم كل منها حاكم.

وعندما كان يظهر زعيم قوى كان يعمل على ضم الأقاليم المجاورة له ، وبمرور الوقت استطاع أحد أقاليم الوجه البحرى ، وهو إقليم الصقر وعاصمته مدينة دمنهور الحالية أن يقوم بتوحيد الدلتا فى مملكة واحدة هى مملكة الشمال ثم اتسع نطاق هذه الوحدة فضمت مصر كلها حوالى عام ٤٢٤٠ ق.م ، وكانت عاصمة هذه المملكة تقع بين الشمال والجنوب وهى " أون " " هليوبوليس " – وهى تسمية إغريقية معناها مدينة الشمس – وقد سادت عبادة الشمس فى هذا العهد ، وظهر فى هذه المملكة التقويم الشمسى الذى لا يزال العالم يتبعه حتى الآن .. غير أن هذا الاتحاد لم يستمر طويلاً إذ سرعان ما وقع الانقسام مرة أخرى وظهرت فى مصر مملكتان إحداهما فى الشمال والأخرى فى الجنوب .

وكانت عاصمة مملكة الشمال مدينة " بوتو " غرب الدلتا ومكانها الآن تل الفراعين (قرب مدينة دسوق بمحافظة كفر الشيخ) واتخذ سكانها نبات البردى الذى كان ينمو بكثرة فى مستنقعاتها شعاراً لهم ، وكان ملوكها يلبسون تاجاً أحمر .. أما مملكة الجنوب فكان عاصمتها مدينة " نخن " ومكانها الآن مدينة الكوم الأحمر (بين مدينتى إدفو وإسنا) وكان شعار سكانها اللوتس ، وكان ملكوها يلبسون تاجاً أبيض.

واستمر هذا الوضع حتى تربع على عرش مملكة الجنوب الملك مينا (نارمر) واستطاع توحيد الوجهين البحرى والقبلى حوالى عام ٣٢٠٠ ق.م ، ويعتبر المؤرخون عهده بداية العصر التاريخى ، وأسس الأسرة الأولى فى الأسرات المصرية الثلاثين .. وارتدى التاج الأحمر والتاج الأبيض مجتمعين فيما يعرف بالتاج المزدوج (بشنت) وجعل من الإقليمين وحدة كاملة تخضع لأول حكومة مركزية فى التاريخ ، وتخضع لنظم وقوانين وتقاليد واحدة ، وأرسى بذلك أول فكرة للوحدة عرفها العالم.

واختار الملك مينا مكاناً يتوسط الوجهين البحرى والقبلى وشيد مدينة حصينة تحتل مكاناً متوسطاً وسماها " القلعة البيضاء " أو " الجدار الأبيض " ثم أطلق عليها المصريون " من نفر " أى " النصب الجميل " ثم سميت فى زمن اليونان "ممفيس" ثم سماها العرب " منف " ومكانها بالقرب من قرية " ميت رهينة " بمركز البدرشين بالجيزة الآن ، واتخذ منها عاصمة لمصر وجعلها مركزاً إدارياً .. وحرص بعد أن أتم توحيد البلاد على تأديب الليبيين الذين كانوا يغزون غرب الدلتا وهزمهم واتجه نحو بلاد النوبة جنوبى مصر وحارب سكانها الذين كانوا يسيطرون على بعض جهات من مصر.

ومن الجدير بالذكر أن لوحة الملك مينا – مؤسس أول أسرة ملكية

حكمت مصر – هى أقدم سجل تاريخى لأقدم شخصية تاريخيــة عــرف أســم صاحبها حيث تسجل هذه اللوحة على وجهيها نقوشاً تصور الكفاح الذى قام بـــه الملك والنصر الذى تم له.

إن أولى حوليات التاريخ لم تبدأ كتابتها إلا فى عهد الملك مينا ، وهـــى الحوليات التى تضمنت سرداً لكافة الأحداث الهامة كالاحتفالات الملكية الدينية أو الانتصارات الحربية ، وبعد أن حكم الملك مينا مصر زمناً طويلاً توفى ودفــن فى أبيدوس " العرابة المدفونة " بمركز البلينا الآن وهى مسقط رأسه.

فرعون

لقب أطلق على ملوك مصر من الأسرة الأولى التى أسسها مينا إلى سقوط آخر ملوك الأسرة الثلاثين فى عهد البطالمة ، وكلمة فرعون معناها "البيت العالى " .. وكان أصل الكلمة من مقطعين (بر – عا) ثم نطقها البطالمة (فرعا) ثم (فرعو) ثم أصبحت (فرعون).

وفى البداية كان يكنى بتلك العبارة عن قصر فرعون دون شخصه ، أو يكنى بها أحياناً عما يتصل من شئون القصر والحاشية ، على أن دلالة اللفظ على شخص الملك نفسه لم تثبت إلا منذ الأسرة الثامنة عشرة فى عهد إخناتون إذ لقب بذلك على بعض آثاره ، فلما كانت الأسرة التاسعة عشر – وهى أسرة رمسيس الثانى – ذاع اللقب فيما ورد عن الملك .

ولم يذكر القرآن الكريم فرعون إلا فيما روى من نبأ موسى ، ولم يذكره مرة واحدة فيما أورده من سيرة يوسف عليه السلام ، وتلك دقة الإعجاز ، فلم يكن لقب فرعون بدلالته على ملوك مصر ذائعاً فى ذلك الزمان من عهد يوسف، ولم يكن الملك الذى دخل يوسف فى خدمته مصرياً – كان من الهكسوس – فيستحق لقباً إختص به الملوك من المصريين بل كان أجنبياً يناصبهم العداء .

أشهر الروايات العالمية .. أصلها فرعونى

إن المؤلف الحقيقى لأشهر روائع الروايات العالمية فى العالم مثل كليلة ودمنة ، وألف ليلة وليلة ، وكونت دى مونت كرستو ، وشمشون ودليلة هو ذلك الكاتب الفرعونى الذى أبدعها منذ زمن بعيد ، وأودعها تلك البرديات التى مازالت موجودة فى العديد من المتاحف العالمية ، والتى تؤكد أن أصل كل هذه الروايات العظيمة كان فرعونياً خالصاً.

يقرأ العالم حكايات " كليلة ودمنة " على أنها حكايات كتبها الفيلسوف الهندى " بيدبا " وترجمها ابن المقفع ، وتكمن جاذبيتها فى ورود القصة على لسان الحيوان ، ولكن أقدم نص تاريخى لهذا النوع من القصص كان بقلم الكاتب المصرى القديم وينتمى إلى أقلام متعددة للحكيم " كاجنى " والأديب " كايروس " والمعلم " نصرى " والحكيم " حوردرف " .. كتب معظمها منذ حوالى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد ، وكانت تدرس فى مدارس الدولة الوسطى ، ومن عناوينها " الثعلب والأوز - الذئب راعى الغنم - التمساح العجوز - الأسد والغزالة الجميلة - جيش القطط وقلعة الفئران .. وتروى القصة الأخيرة أن القطط حاصرت قلعة تحتمى بها الفئران ، فقررت الفئران أن تتحالف مع الكلاب على أساس أن القطط هى العدو المشترك لهما ، ودخلت الكلاب وهزمت

القطط ، ولكنها بعد هزيمتها أقنعت الكلاب بالتعاون معها فى إلتهام الفئران وتم بالفعل عقد تحالف كانت ضحيته الفئران.

والقصة كما ترى هى أقدم نموذج للأدب الذى يستخدم الحيوان ليصور عالم الإنسان ، كما أن الأدب العالمى اختار نفس الصفات التى استخدمها الكاتب المصرى للحيوان ، فالتمساح رمز الغدر ، والكلب رمز الوفاء ، والثعلب يعبر عن المكر ، والصقر رمز السمو ، والخنزير رمز الوضاعة .

مثال آخر يؤكد عبقرية الكاتب المصرى وهى قضية " ما بعد الموت " فقد حفظ لنا التاريخ عملين خالدين " رسالة الغفران " لأبى العلاء المعرى و "الجحيم" للشاعر الإيطالى دانتى ، ولكن أصل هذين العملين كان بقلم الحكيم المصرى " آنى " مؤلف كتاب " الموتى " منذ أربعة آلاف سنة ، حيث كتب نصاً فى بردية عرضها أربعين سنتيمتراً وطولها ثلاثين متراً ، وتوجد الآن بالمتحف البريطانى .. وفيها يزعم " آنى " أنه مات وسافر إلى العالم الآخر ثم عاد ليروى التجربة ، ويصف رحلة الروح يوماً بيوم ، منذ تفارق الجسد إلى أن يتم تحنيطه، وتجرى له المراسم الجنائزية ، ثم رحلة المومياء إلى الشاطئ الغربى للنيل حيث يتم دفنها ، ثم إنتقال الروح فى مركب الشمس عبر الفضاء حتى تصل إلى " المحكمة التحضيرية " التى يتصدر منصتها إثنا عشر قاضياً يمثلون بروج السماء الاثنى عشر ، وفيها يتعرف الميت على البرج الذى كان مسيطراً عليه ، ثم يروى الرحلة إلى السماوات السبع ، ويصف كل منها بالتفصيل وما تحتوى عليه ، ثم يصل إلى المحطة الأخيرة ، وهى محكمة الآخرة حيث تربع الإله " أوزير " على عرشه السماوى ، ثم يسجل المحاكمة والنيران والملكين اللذين يسجلان الحسنات والسيئات والأسئلة والأجوبة والدفاع ، ثم يصدر حكمه بتسجيل ولادة آنى فى عالم الخلود ، ثم يتحدث بعد ذلك عن الجنة وما فيها والجحيم وزبانيته.

ومن روائع قصص قدماء المصريين قصة " البحار الغريق " التى تعود إلى الأسرة الثانية عشرة وهى القصة التى نسج منها العرب قصة "السندباد البحرى" ، وحاكاها الإنجليز فى قصة " روبنسون كروزو " الشهيرة .. ويروى هذه القصة بحار مصرى قام برحلة فى البحر الأحمر ، تحطمت خلالها سفينته بعد أن هبت عليها عاصفة ، وغرق كل ما فيها وحملته الأمواج إلى شاطئ جزيرة ، ثم يروى قصته فى هذه الجزيرة ، حتى أتت إليه سفينة ذات يوم حملته مرة أخرى إلى الوطن .

مثال آخر وهى قصة " على بابا والأربعين حرامى " الشهيرة والتى تدور حول حيلة ذكية تتلخص فى إخفاء عدد من المقاتلين داخل براميل تحملها قافلة من الخيل ، ويرى كثير من مؤرخى الأدب أن القصة مأخوذة من ملحمة "حرب طروادة" اليونانية التى كتبها هوميروس حيث أخفى اليونانيون جنودهم داخل حصان خشبى سحبه الأعداء إلى حصنهم ثم فوجئوا بخروج الجنود منه واستيلائهم على الحصن ، وفات المؤرخون أن الأصل الأول لكل من القصتين يعود تاريخه إلى عام ١٤٥٠ قبل الميلاد ، وأنه مسجل فى بردية " هاريس " المصرية التى يحتفظ بها فى الوقت الحاضر المتحف البريطانى (تحت رقم ٥٠٠) كتب هذه البردية القائد المصرى " تحوتى " ووجهها إلى تحتمس الثالث من فلسطين .. وتدور القصة حول " تحوتى " من ضباط تحتمس الثالث وكان مكلفاً بالاستيلاء على يافا ولكنها استعصت عليه ، فأخذ يفكر فى خطة مؤداها أن أرسل إلى أمير يافا جاسوساً يخطره بأن " تحوتى " قد تمرد على سيده "تحتمس" وأنه يريد التحالف معه ، وأنه احضر من مصر ثروة من الهدايا ومنها صولجان تحتمس السحرى الذى تكفى ضربة منه كى تفقد الأعداء الوعى ، واقتنع الأمير بالكلام وقبل دعوة " تحوتى " خارج الحصن إلى وليمة أقامها خصيصاً لتكريمه ، وبعد أن أخذت الخمر بعقله طلب الصولجان ، فإذا بتحوتى

يهوى بهراوة ضخمة على رأسه وقبض على جميع حرس الأمير ، ثم أسرع ينفذ الجزء الثانى من الخطة ، فأحضر مائتى قدر ووضع داخل كل منها جندياً مسلحاً ، وحمل كل اثنين من القدور على حصان ، ثم تخفى فى زى سائس وقاد القافلة إلى الحصن ومعه عدد من جنود الأمير الأسير ، وأمام باب الحصن زعم أن القافلة تحمل هدايا لأمير يافا ، وفتح الحراس الأبواب له ، ودخلت القافلة إلى ساحة القلعة ، ثم فجأة خرج المقاتلون من القدور واستولوا على القلعة.

أما قصة شمشون ودليلة ، فقد وجدت أصولها فى " عملاق جزيرة الشياطين " مدونة على قطع متفرقة من لوحات " الاستراكا " ومنقوشة على الأحجار فى حفريات سقارة ، وقد قام بترجمتها أكثر من كاتب على مختلف العصور من بينهم " مارش " فى كتابه " حكايات الزمن القديم " و " بروكسبانك " فى أساطير الفراعنة ، وسليم حسن فى " تراجم الأدب فى الدولة القديمة " .. وتحكى القصة أنه كان يوجد فى جزيرة نائية عملاق ضخم الجسم ، أسود ، بشع المنظر ، ذو قوة خارقة مما جعل الجميع يخافون الاقتراب من الجزيرة ، وكان العملاق يعيش وحيداً ، ولا يوجد معه سوى الأفاعى والزواحف الضخمة ، وذات يوم يجرف تيار النهر أنقاض قارب تعلقت به حسناء ، وكاد يفتك بها التمساح، وما أن شاهد العملاق التمساح حتى رفعه بيديه القويتين ثم ألقى به بعيداً ثم حمل الحسناء بين يديه ، وبعد أن شكرته أخذ يتودد إليها ولكنها أبت حتى مجرد النظر إليه لبشاعته ، وخيرها بين أن تتزوجه أو يلقى بها إلى التماسيح ، ولا تجد الفتاة مفراً من التودد إليه حتى باح لها بسر قوته وهو قلبه الكبير الذى لم يسعه جسده فاحتفظ به بين غصون قمة السنديانة الكبيرة ، وأن ثعباناً ضخماً يحرسه.

وانتظرت الفتاة حتى وصل الفيضان وارتفعت مياه النهر إلى الشاطئ ، وغمرت جذع السنديانة ، وابتعدت الحية إلى أعلى التل ، وابتعدت التماسيح عن

الشاطئ ووصلت الفتاة إلى السلة التى يوجد بها قلب العملاق وفكت رباطها فجرفتها الأمواج وحطمتها الصخور .. ثم ذهبت فى الصباح لتستحم فى ماء النهر ، وصرخت مدعية أن أحد التماسيح قد هاجمها ، وأشارت إلى تمساح ضخم ولم يستطع العملاق هذه المرة أن يرفعه .. بل قتله التمساح.

كما أثبت التاريخ أن أصل حكايات ألف ليلة وليلة أيضاً فرعونية ، ففى برديات " وستكار " التى ترجع إلى الدولة القديمة حوالى ٢٨٠٠ قبل الميلاد والتى تعتبر من اشهر البرديات التى أبدع فيها الأديب المصرى ، فخرج من عالم الواقع إلى عالم الخيال ، كما تعتبر هذه القصص تطوراً فى أدب القصة بالخروج بها من إطار أساطير العقيدة إلى حياة المجتمع .. وهى قصص متتابعة رويت على ألسنة الأمراء التسعة من أولاد الملك خوفو فى مجالس سمره ومنها قصة " قرط الأميرة والساحر " .. وتروى أن الملك سنفرو خرج للتنزه فى بحيرة القصر مع الأميرة فى سفينته ذات المقصورة الذهبية ، وقام بالتجديف عشرون وصيفة من أجمل العذارى ، وكن يجدفن بمجاديف مكسوة بالذهب على أنغام القيثارات ، ثم تروى القصة كيف فقدت الأميرة قرطها فى الماء ، وكان على شكل سمكة بينما كانت تتغزل فى جمالها على وجه الماء ، وحزنت الأميرة فاستدعى سنفرو ساحر معبد آمون الذى تلا عزائمه السحرية ، ثم ضرب سفح الماء بعصاه فانشقت مياه البحيرة وانكشف قاعها وظهر القرط الذهبى ، ونزل سنفرو والتقطه وعين فرعون الساحر ساحراً خاصاً للقصر.

كما دلت الأبحاث أن أصل قصة سندريلا هى قصة " رادوبى الجميلة " وهى ضمن برديات شستر بالمتحف البريطانى ، وهى تدور فى مدينة منف حيث كان يعيش تاجر ثرى " سنوفر " فى قصره مع زوجته وابنته رادوبى ، وتصاب الأم بمرض خطير ، وقبل موتها تهدى ابنتها صندوقاً به حذاء نفيس من جلد الغزال الذهبى ، وتشير إليها إلى أنه سوف سكون سبباً فى حظها .. ثم

تزوج الأب من امرأة أخرى أنجبت بنتين أقل جمالاً من رادوبى التى عوملت منهن معاملة سيئة .. وفى أحد أعياد الربيع يعلن أن ابن الفرعون سوف يختار عروساً من فتيات منف الجميلات .. وذهبت أختاها إلى الحفل ، ورفضت زوجة أبيها اصطحابها ، وشعرت رادوبى بالرغبة فى التنزه ، ثم فتحت الصندوق الذى يوجد به حذاء أمها ، وأرادت ارتداؤه فهالها قذارة قدميها ، فذهبت لغسلهما ، فإذا بنسر ينقض ليخطف إحدى فردتى الحذاء ويحلق بعيداً ، حتى مر بمكان المهرجان فأفزعته الطبول فسقط منه الحذاء بين يدى الأمير الذى أعجبه الحذاء الرقيق والأحجار الكريمة التى رصعته ، وإذا به يتخيل صاحبته ، وشعر أنه اختار صاحبة هذا الحذاء .

وتمر الأيام ، وهو يزور البيوت والقصور للبحث ، وتدعوه زوجة والد رادوبى لتعرض عليه ابنتيها اللتين تقيسان الحذاء فلا يلائمهما ، ثم يلمح الأمير رادوبى ، وتخبره زوجة أباها أنها ابنة البستانى ، فيخرج إليها الأمير ويطلب منها أن تقيس الحذاء ، فإذا به نفس مقاسها ، وتذهب رادوبى وتحضر الفردة الأخرى لتثبت أنها سيدة القصر ثم تتم القصة بأن يتزوجها الأمير.

أول بناء حجرى ضخم عرفه العالم

هرم سقارة (هرم زوسر) .... وضع تصميمه امحوتب (أول مهندس معمارى فى التاريخ) وشيد للملك زوسر مؤسس الأسرة الثالثة .. ومما يـذكر أنه عثر على أول قبر للملك زوسر فى " ميت خلاف " القريبـة مـن العرابـة المدفونة (بجرجا الآن) وهو على شكل مصطبة غير أن زوسر لم يـرض أن يكون مقره الأخير هناك ، ويرجح أن امحوتب قد وجه نظره إلى منطقة سقارة القريبة من محاجر طره حيث يسهل قطع الأحجار وبناء المصـاطب ، وكـان غرض زوسر أن يشرف قبره على قبور رجال بلاطه وعظماء دولته ويكـون أول بناء ترسل الشمس أشعتها عليه من كل جوانبه عندما تشرق كل صباح.

وقد وضع امحوتب – الذى كان وزيراً للملك زوسر ويعد أحـد نوابـغ العالم – تصميمه ليكون أضخم من أى قبر شيد قبله لأى ملك مـن الملـوك . وكانت الفكرة الجريئة الأولى فى تشيد هذا القبر أن يكون مبنياً بكتل من الحجر بدلاً من الطوب ، ومن ثم شيد مصطبة كبيرة من الحجر الجيرى الذى قطعه من المحاجر القريبة ، ثم كسا جدرانه الخارجية بأحجار جيرية من النوع الأبـيض الممتاز الذى كان المصريون القدماء يحصلون عليه من محاجر طره فى الناحية الشرقية للنيل ، وقد شيد تحت تلك المصطبة ممرات وحجرات جانبية تتوسطها حجرة كبيرة استخدم فى تشييدها أحجار الجرانيت لتكون حجرة دفن الملك.

ولم يقف امحوتب عند هذا الحد ، بل عاد وطور تصميمه ليميز قبر زوسر عن غيره من القبور ففكر فى أن يرتفع بالبناء وذلك عن طريق بناء مصطبة فوق أخرى مراعياً أن تقل كل واحدة فى الحجم عما تحتها حتى أصبح الشكل النهائى لقبر زوسر هرماً مدرجاً ذا ست درجات ويبلغ ارتفاعه حوالى ٢٠٠ قدم .. وبذلك أصبح امحوتب أول مهندس معمارى فى التاريخ شيد قبراً يشبه الهرم فى شكله العام ، ولم يكتف بهذا بل أحاط الهرم بسور كبير بارتفاع عشرة أمتار ، وشيد داخل السور عدة مبان كان بعضها مخصصاً لإقامة العيد الثلاثينى للملك زوسر وبعضها الآخر كان قبراً رمزياً أو معابد تتصل بالأعياد ، كما شيد شمال الهرم معبداً قامت فيه تماثيل الملوك.

وتعد مجموعة الهرم المدرج من أهم ما خلفته مصر الفرعونية من آثار وهى تبين لنا الخطوات الأولى للمصريين عندما انتقلوا من البناء بالطوب إلى البناء بالحجر.

وقد دفن الملك زوسر فى هرمه هذا ، وتقديراً منه وعرفاناً بمكانة مهندسه ، فقد أمر بكتابة اسم امحوتب على تماثيله وهذا تقدير لم يعرف له نظير لأن الملك كان إلهاً معبوداً من الشعب.

ومما يذكر أيضاً عن امحوتب أنه تولى وظائف عدة فقد كان مشرفاً على إدارة قصر الملك إلى جانب أنه كان حائزاً للقب رئيس المثالين ، وكان الرجل الأول بعد زوسر أى أنه كان حاكماً لأحد الأقاليم وكان كبيراً لكهنة الشمس فى مدينة أون .. وكان امحوتب بارعاً فى الدين والسحر والطب والهندسة وبلغ من شدة تعلق المصريين به وحسن تقديرهم له أن رفعوه بعد موته بمئات السنين إلى مرتبة الآلهة وسموه " إله الطب ".

أقدم دساتير الأدوية فى العالم

كان لقدماء المصريين السبق فى مجال الطب والدواء حيث يعد امحوتب أول طبيب فى العالم وأشهر من مارس الطب عند قدماء المصريين الذين اعتبروه إلهاً ، وأقاموا له المعابد والتماثيل وقدموا له القرابين ، ومن أشهر المعابد معبد "ممفيس" ويعود الفضل فى اكتشاف مقبرته إلى العالم الأثرى المشهور الإنجليزى الدكتور " أيمرى " الذى كان أستاذاً للآثار القديمة فى جامعة لندن.

وبالإضافة إلى كون امحوتب أول طبيب فى العالم فقد كان مشهوراً بعلوم الهندسة ، وعمل كحكيم فى بلاط الملك " زوسر " وصمم له هرم سقارة وأشرف على بنائه ، ونظراً لحكمته المفرطة فقد اقترن اسم امحوتب بآلهة الحكمة " أبيس ".

وتدل الاكتشافات الأثرية على أن حضارة قدماء المصريين كانت من أشهر الحضارات التى ازدهرت فيها علوم الطب والصيدلة فهناك سجل عظيم طوله ٢٥٠ قدماً وعرضه ١٢ بوصة كتب فى عهد النبى موسى عليه السلام يحتوى على العديد من الأدوية الشافية وطرق تحضيرها وكيفية معالجة الأمراض بها ، كما أظهرت الاكتشافات الأثرية وجود آلات جراحية تدل على

تقدم فن الجراحة عندهم ، وظهرت مستندات تثبت أنهم عرفوا المئات من الأدوية النباتية معظمها معروف لدينا الآن . ولعل براعة الفراعنة في التحنيط أكبر دليل على طول باعهم في معرفة علمي التشريح والكيمياء ، كما أقاموا مدارس خاصة لتعليم الطب أهمها مدرسة " أون (هليوبوليس) " ومدرسة "سايس للقابلات" ومدرسة " طيبة " المشهورة بمكتبتها العظيمة .

وقدماء المصريين هم أول من اكتشف أدوية التخدير لمنع الألم كما برعوا في العمليات الجراحية كالختان وتجبير الكسور والنقب (فتح الدماغ) كما كانوا أول من مارس جراحة التجميل.

وهناك العديد من البرديات الهامة التي تدل على براعة المصريين في هذا المجال أشهرها " بردية كاهون " وقد اكتشفت عام ١٨٨٩ بمدينة كاهون الفرعونية بالفيوم وتعود إلى الأسرة الثامنة عشرة وجزء منها مخصص للطب البيطري ، وتحتوي على ٣٥ وصفة طبية لأمراض النساء والتوليد وتشخيص قدرة الإنجاب عند المرأة وجنس الطفل .. وأيضاً بردية "أدوين سميث" وقد اكتشفت في الأقصر عام ١٨٦١ وذكرت فيها ٤٨ حالة من الجروح والكسور والأورام وكيفية معالجتها.

وتعد بردية " ايبرس " أشهر البرديات قاطبة واكتشفها العالم الألماني ايبرس في الأقصر وهي الآن في متحف ليبزج ، وتحتوي على ٨١١ وصفة طبية طولها ٢٠ متراً وعرضها ٣٠ سم وتشتمل على أسماء الأدوية الخاصة بكل عضو من أعضاء الجسم ، بالإضافة إلى وصف تشريحي لجسم الإنسان ، وتعود إلى عام ١٥٥٠ ق.م ، كما تدل هذه البردية على مهارة الفراعنة في تحنيط الموتى ، وأنهم تعرفوا على وظيفة القلب والأوعية الدموية.

ومن البرديات الهامة أيضاً بردية " هيرست " التي عثر عليها في دير

البلاص عام ١٩٠١ وتحتوى على ٢٦٠ وصفة طبية ويعود تاريخها أيضاً إلى ١٥٥٠ ق.م .. وبردية لندن وتوجد فى متحف لندن منذ عام ١٨٦٠ وتحتـــوى على ٦٣ وصفة سحرية لمعالجة أمراض العيون والحروق وأمراض النســـاء ، وبردية برلين التى تم العثور عليها قرب أهرام سقارة وهى بمتحف برلين منـــذ عام ١٨٨٦ وتحتوى على ١٧٠ وصفة طبية.

وتعتبر البرديات أقدم مؤلف يضم الوصفات الطبية وطرق تحضيرها ، ولذلك فهى تعد أقدم دساتير الأدوية فى تاريخ العالم.

الوحيدة الباقية
من عجائب الدنيا السبع

تعتبر أهرام الجيزة وأبو الهول الوحيدة من عجائب الدنيا السبع التى ظلت قائمة حتى الآن .. ومن الجدير بالذكر أن مصر ضمت اثنتان من عجائب الدنيا السبع هما الأهرام ومنارة الإسكندرية .

وقد شهدت مصر عصراً أطلق عليه عصر بناة الأهرام وهو يبدأ بقيام الأسرة الثالثة وينتهى بانتهاء الأسرة السادسة ، وقد أطلق عليه هذا الاسم لكثرة ما شيده ملوك تلك الأسر من الأهرام التى لا تزال باقية إلى اليوم ، شاهدة بما بلغه ملوك ذلك الزمان من قوة ، وما وصل إليه الشعب من مدنية وحضارة، على أن بناء الأهرام لم يقف تماماً بسقوط الأسرة السادسة بل أنه استمر بدرجة أقل حتى نهاية الأسرة الثانية عشرة .. وهناك حوالى ٧٠ هرماً معروفاً أقدمها هرم زوسر المدرج فى سقارة.

كان المصريون فى عصر ما قبل التاريخ يدفنون موتاهم فى حفر فى الأرض ، ثم تدرج بعد ذلك بناء المقابر ، فشيد الملك زوسر مؤسس الأسرة الثالثة قبراً على هيئة مصطبة كبيرة بميت خلاف قرب أبيدوس ، ثم بنى قبراً آخر بسقارة من الحجر على هيئة ست مصاطب ، ثم أخذ المصريون يدخلون التحسينات على الهرم المدرج لإخفاء تدرج الصخور ونشأ ما يعرف بالهرم

الكامل .. وقد بنى الملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة لنفسه هـرمين بجهـة "ميدوم" بين منف والفيوم ، وهو على نمط الهرم المدرج ويسميه الناس " الهرم الكاذب " لعدم انتظام شكله.

ثم خلف خوفو سنفرو فى الحكم ، وبدأ فى بنـاء أول أعظـم الأهـرام وأضخمها وأشهرها ، وكان ذلك على الضفة الغربية للنيل ، وهى أهرام ملـوك الأسرة الرابعة خوفو وخفرع ومنقرع ، وهذه الأهرام منشأة على قواعد مربعة ، ولكل منها أربعة جوانب مثلثة الشكل ، تقابل الجهات الأصلية الأربعة ، وتميل على سطح الأرض بزاوية قدرها ٥٠ درجة تقريباً ، وتلتقى هذه الجوانب فـى قمة مدببة .. وقد أثبتت الأبحاث العلمية الحديثة أن الهرم الأكبر على الأقل لـم يشيد لمجرد الترف ، وإنما صممت أبعاده وخطوطه بحيث تكشف عن حقـائق علمية لم يتوصل العلم إليها إلا فى عهود قريبة.

ولقد بنى خوفو هرمه (أكبر مقبرة فى التاريخ) على قاعدة مسـاحتها ١٣ فداناً وبلغ ارتفاعه ١٤٦ متراً تقريباً ثم تحطم جزء من قمتـه فصـار الآن ١٣٧متراً ، وطول كل جانب من جوانبه ٢٣٣ متراً .. ويقع مدخل الهرم مـن الواجهة البحرية فى مواجهة النجم القطبى الذى لا يغيب عن الأفق الشـمالى ، وكان خوفو يعتقد أن هذا النجم الذى لا يأفل يضمن لروحه الخلـود والـدوام ، والمدخل على ارتفاع ١٥ متراً من القاعدة ، وتوجد غرفة دفـن الملـك علـى ارتفاع ٤٢ متراً من سفح الأرض والغرفة كلها من الجرانيت الداكن ، ارتفاعها ستة أمتار وعرضها خمسة أمتار وطولها عشرة أمتار ونصف متر، وبها منفذان للهواء يصلان إلى خارج الهرم .. ويعلو الغرفة خمس حجرات صغيرة بعضها فوق بعض ، وهى حجرات فارغة لتخفف ضغط البناء على حجرة الملك.

وقد استغرق بناء هذا الهرم عشرين عاماً ، واستخدم فى بنائه مائة ألف

عامل كان يستبدل بهم غيرهم كل عام .. ويقدر عدد الأحجار التى استخدمت فى بنائه بمليونين وثلاثمائة ألف حجر ، يزن الواحد منها طنين ونصف ، وكانت هذه الأحجار بعد قطعها تحمل إلى حيث يبنى الهرم على زحافات تجرى على أحجار مستديرة ، ثم ترفع بالبكر من أسفل إلى أعلى ، ويدل استعمال المصريين لهذه الطريقة على ما توصلوا إليه من مهارة فى فن البناء ، وبعد أن تم بناء الهرم كسى بأحجار بيضاء ملساء ولكنها أزيلت عن الهرم فى بعض العصور التالية.

وكان العمل فى بناء الأهرام يجرى فى أوقات الفيضان ، حيث تكون الأرض مغمورة بالمياه والفلاحون بغير عمل .

ثم جاء الملك خفرع ، ورأى أن يقلد أباه فبنى هرماً آخر بجوار الهرم الأكبر ، أقل منه حجماً حيث يبلغ ارتفاعه ١٤٣ متراً ، وبسبب تساقط أحجار قمته اصبح ارتفاعه الآن ١٣٦ متراً ، وهو ينحدر إنحداراً شديداً ، ويقوم على هضبة أكثر ارتفاعاً ولذلك فإن قمته ترتفع أكثر من هرم خوفو ، ومن أهم ما يميز هذا الهرم الغطاء الذى يكسو قمته والذى ما زال يحتفظ بطبيعته الأصلية ، وقاعدته محلاة بالجرانيت الأحمر .. ويقال أن عهد خفرع كان مليئاً بالخلافات ولذلك لم يترك آثاراً تذكر غير هرمه.

وتولى حكم مصر بعد خفرع ابنه منقرع ، وبنى الهرم الثالث ، وكان ارتفاعه ٦٦ متراً ، وارتفاعه الآن ٦٣ متراً ، وكان يسمى " نتريت " أى "الإلهى" ، ويختلف عن الهرمين فى أن كسوته من حجر الجرانيت الأحمر ، ولكن هذه الكسوة لم تكمل لأن الملك مات فجأة ، وقد عثر الباحثون على بقايا تابوت خشبى فى حجرة الدفن فى الهرم كما عثروا فى معبد الوادى على تمثال واحد للملك وزوجته وأدوات فنية على درجة عالية من الإتقان .

وكان ملحقاً بكل هرم معبد جنائزى للطقوس ، وعدد من المصاطب دفن فيها النبلاء المقربون من الملك .

ومما ينبغى ذكره أنه يوجد فى العالم منشآت أخرى تشبه الأهرام الفرعونية ، ولكنها ليست كاملة فى هندستها ، ولا تبلغ مبلغها من الضخامة ، فقد شيد الآشوريون أهراماً أقيمت على قممها معابد للطقوس الجنائزية والدينية ، كما أن هناك أهراماً أخرى بنتها قبائل " المايا " فى أمريكا الوسطى وفى المكسيك ، وحاول الرومان أن يقلدوا الفراعنة وبنوا أهراماً صغيرة فى روما.

مراكب الشمس

اكتشفها المصرى كمال الملاخ بجوار الهرم الأكبر عـام ١٩٥٤ بعـد بحث استغرق أكثر من أربع سنوات .. ويعد هذا الكشف أضخم كشف اثرى بعد اكتشاف كارتر لمقبرة توت عنخ آمون فى وادى الملوك بالأقصر .

وقد بدأ البحث عن هذه المراكب بعد حادث وقوع تلميذ صغير فى فجوة كانت فارغة وراء الاستراحة الملكية للهرم الأكبر ، وبدأ بعـد ذلـك الاهتمـام بتسوير هذه الفجوات ، ليبدأ الاهتمام بالكشف عما بها .

ومما يذكر أن الشمس كانت هى الكيان الأكبـر لقـدماء المصـريين ، وكانت ذات أثر عظيم فى حياتهم ، وربط المصرى مصيره بمصيرها ، فهـى معبوده الأول والأكبر ويرتبط خلوده بخلودها .. واعتقد المصرى أنه لكى يصل إلى العالم الخالد كان عليه أن يبقى جسده بعيداً عن أن يفنى حتـى يحفـظ بـه روحه، وقد حفظ جسده عن طريق التحنيط ، أما الـروح فطالمـا أن اعتقـاد المصرى راسخ فى أنه لا أمل فى خلوده إلا ببقاء جسده وروحه وازدواجهما فى زيارات متعاقبة تحددها شرائع دينهم ، فقـد راح الفراعنـة يضـعون حـول أهراماتهم عدداً من المراكب داخل مخابئ منحوتة فى صخرة الهضـبة المقـام عليها الهرم ، حتى إذا ما جاء الكاهن الأكبر كل صباح وتلا بجوارها تعويـذة

معينة فإنهم يتخيلون أن قوة سحرية غير منظورة ستدفع المركب لتسبح في محيط الفضاء حاملة الروح لتتبع مركب الشمس التى تخيلوا أنها أيضاً تتنقل فى مجراها عن طريق مركب من ذهب طوله ٧٥٠ ذراعاً مصرياً (الذراع طوله ٥٢,٣ سم) .

وقد اكتشف كمال الملاخ ٣ فجوات لمراكب الشمس محفورة فى ربوة أهرام الجيزة إثنتان منهما لمركبى الشمس الخاصتين بالملك خوفو ، الشرقية فى رحلة الشمس نهاراً والغربية فى رحلة الشمس ليلاً ، والثالثة لمركب الشمس الخاصة بالملكة زوجة خوفو .. وكان قدماء المصريين يرون أن المركب يمر من ١٢ بوابة نهاراً و١٢ بوابة ليلاً ، وكانت مراحل الرحلة هى بمثابة تقسيم لليوم إلى ٢٤ ساعة فضلاً عن معرفتهم لدوران الأرض قبل جاليليو بقرون طويلة.

ويعد مركب الشمس لخوفو اضخم مركب قديم كشف عنه التاريخ حتى الآن ، ويبلغ طوله نحو ٤٥ متراً واقصى عرض له ٦ أمتار ، وترتفع مقدمته ٦ أمتار ومؤخرته ٨ أمتار ، تعلوه مقصورة يعتمد سقفها على ٣ أعمدة نخيلية التيجان ، وتمتد أمامها سقيفة بالقرب من مقدمة المركب ليحتمى فى ظلها قائده الربان ، ولها اثنا عشر مجدافاً ، خمسة على كل جانب ، غير مجدافين طويلين عند المؤخرة .

المركب مؤلف من ٦٥٠ جزءاً جمعت من ١٢٢٤ قطعة من الخشب تختلف أطوالها من ٥ سم إلى ٢٣ متراً ، ولبعضها انحناءات تناسب إنسيابات هيئة المركب ، وقد تطلب بناء المركب ٥ كيلو مترات من الحبال لتدكيك وربط أجزائها من خلال ٤٠٠٠ ثقب لا تبدو من الخارج مطلقاً ولا من على سطحها.

وقد وضع قدماء المصريين قطعاً من بخور ومسك وعطر نفاذ درءاً من

هوام الحشرات كى لا تقرب أخشاب المراكب وتقرضها .. وقد نجحوا فى ذلك تماماً ، وسلمت طوال ٤٧ قرناً من الزمان.

وقد أقيم متحف على المركب الشرقى من مركبى خوفو ، وهو المتحف الوحيد فى مصر الذى يعرض قطعة أثرية فريدة واحدة.

من الذى حطم أنف أبى الهول ؟!

ذكر المقريزى أن رجلاً صوفياً يدعى صائم الدهر هو الذى حطم أنف أبى الهول حيث اعتبره رمزاً وثنياً ، فقد كانت النساء تتبرك به وتقدم له النذور، ويقال أن عاصفة رملية زحفت على الأراضى الزراعية الممتدة من هضبة أبى الهول إلى النيل فأتلفت المزروعات وأهلكتها ، ونسب الناس ذلك إلى غضب أبى الهول لتشويه أنفه.

ففى عهد الملك خفرع نحت تمثال أبى الهول عند سفح الأهرام والذى يعد أعجوبة من عجائب الفن الفرعونى القديم ، وكان عبارة عن كتلة كبيرة واحدة من الحجر على مقربة من الأهرام ، وكانت عائقاً يفسد منظر الهرم الثانى، وتمثل عائقاً أمام تعبيد الطريق بين معبد الوادى والمعبد الجنائزى عند هرم خفرع ، واقترح مهندسو الملك خفرع أن يصنعوا من هذه الكتلة تمثالاً ضخماً متوجهاً للشرق – ولهذا كان اسمه من البداية " حر . ام . اخت " أى حورس الذى يتطلع إلى مولد نور الشمس – فى هيئة تجمع بين جسد أسد رمزاً للقوة والصلابة وبين رأس إنسان يتسم بالوقار والحكمة لتظل أبد الدهر معبرة عن سلطان العقل عندما يلتقى مع جبروت القوة ، كما انحنى ذيله الطويل ، وانتهت خصلة الذيل على هيئة رأس أفعى لتحميه من الخلف ولهذا جاء الشكل السيريالى الفنى قبل أن يبدع إنسان القرن العشرين (السريالية) بقرون طويلة.

ويعلو رأس التمثال جزء من التاج وبقية من الحية "رمز الملكية" -كانت الكوبرا رمز العرش شمال مصر- ، وقد سقطت الحية واللحية وهما محفوظتان بالمتحف البريطاني الآن ، وكان بحاراً إيطالياً يدعى " جيوفاني كافيلا " قد وجد قطعتين من ذقن أبي الهول في رمال منطقة الأهرام وقام بتهريبهما إلى لندن عام ١٨١٨ م.

وقد غطت الرمال تمثال أبي الهول عدة مرات في العصور المختلفة ، وأول مرة أزالها عنه الملك تحتمس الرابع وقد سجل لنا ذلك على لوحة جرانيتية تقع بين مخلبي التمثال فيقول " إنه خرج مرة للصيد في الصحراء ثم غلبه النعاس وقت الظهر فافترش الأرض وراح في النوم ، ورأى فيما يراه النائم الملك خفرع في هيئة أبي الهول ، وقد أقبل عليه يبشره بأنه سيعتلي عرش مصر ، وطلب منه أن يزيل عنه الرمال التي تثقل كاهله (وكان أمراً غريباً لأنه لم يكن ولياً للعهد) وعندما تحققت الرؤيا وارتقى تحتمس الرابع العرش أزال عنه الرمال.

ثم عادت الرمال لتغطي جسم التمثال وأزيلت عدة مرات ، وفي عهد البطالمة والرومان رمم التمثال وأضيف إليه مذبح القرابين وكذلك السلالم التي تقع بالجهة الشرقية .. وفي عام ١٨١٨ م قامت إحدى جمعيات الحفر الإنجليزية بإزالة الرمال ، كما قامت مصلحة الآثار المصرية عام ١٩٢٦ بإزالة الرمال التي غطته حتى العنق ليبرز التمثال بأكمله.

ويلاحظ أنه في أثناء فترة حكم الأسرة الثامنة عشرة ، أقبل المصريون على هذا الأثر الخالد العجيب مقدسين له ، متوسمين فيه رمزاً للشمس ، منبع حياتهم يطلقون عليه أحياناً " شبس عنخ " أي مانح الحياة بالهيروغليفية وهو من أولى الأسماء التي سمي بها وأحياناً أخرى يسمونه " حور صاحب الأفق " .

وفى عهد الدولة الحديثة استقبلت مصر وفوداً عديدة من أقطار آسـيا ، واتخذ الكنعانيون من سفح هذه الهضبة والى جوار أبى الهول مستقراً لهم ، وقد كان لهم إلهاً يعبدونه يسمى " حور حورون حول " ويرمزون له بطائر فى هيئة صقر ، ومن شدة إعجابهم بأبى الهول لم يجدوا حرجاً فى خلق صلة قوية بـين معبودهم وبين الشمس التى قدست فى هذا الأثر ، ومن هنا أطلـق الكنعـانيون على هذا الأثر المصرى اسم " حور " أو " حول " واتخذوا منه بديلاً عن إلههم ، كما أطلقوا على الساحة المحيطة به " بوحور .. أو بوحول " وتعنى بيت حـور أو بيت حول.

أما الاسم الحالى والشائع " أبو الهول " فله عدة تفسيرات يعد أقربها إلى الصواب تفسيران أولهما : أن كلمة أبى الهول قد تكون تحريفاً لغوياً حدث على مر الزمان وعلى أيدى المصريين لهذا الاسم الكنعانى " بوحـور أو بوحـول" وثانيهما : فيرجع سببه إلى الإغريق حيث كان هذا الاسم يطلق علـى مـارد مشابه له جسد أسد وجزؤه الأعلى لامرأة وكان رابضاً فوق صخرة عالية على مشارف طيبة الإغريقية ، وكما ورد فى الأسطورة الإغريقية التى تدور حـول أبى الهول الإغريقى أن الآلهة أرسلت به إلى أهل طيبـة لتنـتقم مـنهم فكـان يعترض طريق كل من يدخل المدينة أو يخرج منها ويسأله : من هـو الكـائن الذى يمشى فى الصباح على أربع وفى الظهيرة على اثنين وفى المسـاء علـى ثلاث ؟ ويعجز الناس عن الإجابة فيقتلهم حتى أقبل أوديب فأجابه قـائلاً : إنـه الإنسان (يلاحظ أن الصباح والظهيرة والمساء يقصد بها مراحل عمر الإنسان الطفولة والشباب والكهولة).

مصر تسجل أولى الرحلات فى تاريخ البشر

لقد وثق قدماء المصريين أولى الرحلات المعروفة فى تاريخ البشـــر .. ولم يسبقهم فى ذلك أحد .. وتعتبر قصة " سنوحى " أقدم رحلة موثقة فى التاريخ على الإطلاق .. وتعود إلى الأسرة الثانية عشرة.

ومجمل هذه القصة أن امنمحات الأول مؤسس الأسرة الثانيـــة عشـــرة توفى بينما كانت رحى الحرب دائرة بين مصر والليبيين ، وكان ابنـــه ولـــى عهده سنوسرت على رأس الجيش المحارب ، وتحت إمرته قادة من بينهم أمير يدعى " سنوحى " لم يكن معه على وفاق ، فلما وفـــد رســـول الـــبلاط ينبـــئ سونسرت بوفاة أبيه ، وتوليه العرش بعده ، سمع بذلك سنوحى ، وقرر الفـــرار خوفاً على حياته من الملك الجديد ، فعبر النيل ، ومر بعين شمس ، ثم سار فى الصحراء شمالاً إلى سيناء ، وعلى الرغم مما حل به من تعب وجوع وظمـــأ ، تجلد وواصل السير حتى نزل على أحد البدو ، وكان رئيساً لإحـــدى القبائـــل ، فأحسن لقاءه وقدم له الماء واللبن ، ولما استراح من التعـــب ، عـــاد ليواصـــل رحلته حتى وصل إلى بلاد الشام وتنقل بين قبائلها ، حتى استقر به المقام أخيراً عند رئيس قبيلة من البدو ، فحدثه سنوحى عن أمره ، فأكرم رئيس القبيلة وفادة

الأمير ، وزوجه كبرى بناته ، ومنحه أرضاً تنتج عنباً وتيناً وزيتوناً وقمحاً وشعيراً ، كما منحه قطيعاً كبيراً من الماشية.

ولما عظمت مكانة سنوحي فى البادية ، وارتفعت منزلته عند رئيس القبيلة ، ثارت الغيرة والحسد فى نفس أحد سكان البادية ، وكان مهاباً قوى السطوة عظيم البطش ، فاعتزم قتل سنوحي ليحل محله ، ويستولى على أرضه وأملاكه ، فنازله سنوحي فى جمع من البدو وتجلت براعته فى الحرب ، حتى أرداه قتيلاً بسهم صوبه نحو نحره، فهتف الناس بحياة الأمير المصرى الذى أراحهم من شر ذلك الطاغية .

ولما طالت الغربة بسنوحي وسارعت إليه الشيخوخة ، خشى أن يدركه الموت ، وهو بعيد عن مصر ، فحن إليها وبعث برسول أمين ، يحمل رسالة إلى الملك سنوسرت الأول يظهر فيها ولاءه ، ويصور حاله من الضعف والشيخوخة ويلتمس منه المغفرة والسماح له بالعودة إلى الوطن.

وعاد الرسول إلى سنوحي ، يحمل أمر الملك بالعفو عنه ، والسماح بعودته ، فوزع ثروته هناك بين أبنائه ، وعين أكبرهم رئيساً مكانه ، ثم سارع الخطى إلى الوطن ودخل القصر الملكى وهو ذاهل من فرحته ، فقابله الملك والملكة والنبلاء بحفاوة وإكرام بالغين .

وكانت الغربة قد غيرت كثيراً من شكله ومظهره ، حتى أن الملك قال مداعباً من حوله : " انظروا .. هذا سنوحي ، غادرنا مصرياً ، وعاد إلينا آسيوياً، وفارقنا متمدناً ، وارتد إلينا بدوياً "

وقص سنوحي على الملك قصته فأدخله فى بلاطه ، وأنزله فى قصره الملكى ، فارتدى الملابس الملكية وحلق لحيته ، ووضع على رأسه شعراً مستعاراً ، جرياً على عادة النبلاء المصريين فى هذا العصر.

والقصة تصور حياة البدو فى الصحراء ، وتصف معيشة الخيام ، وكرم البدو وشجاعتهم وحروبهم ، وتصور كذلك بعض العادات المصرية فى قصور الملوك فى ذلك العهد.

المسلات المصرية

" لقد أقمت هذا النصب لتعجب به الأجيال القادمة من بعدى " .. نقشت هذه العبارة على واحدة من أشهر المسلات المصرية وهى مسلة الملكة حتشبسوت بالكرنك ، ومضت القرون الطويلة لتؤكد هذا المعنى ، فمازالت كثير من مدن العالم تشهد بذلك السبق المعمارى الفنى الذى أحرزه المصريون منذ فجر التاريخ.

وكانت المسلات تقام أصلاً لإله الشمس – الإله الأكبر عند قدماء المصريين – ومن ثم فالمسلة هى رمز النور والحياة ويقال أنها ترمز بهيئتها لشعاع الشمس ، وكانت تنحت من نوع من الحجر المسمى (السينيت Syenite) وسمى كذلك لأنه يستخرج من سيين (أسوان الآن) وهو نوع من الجرانيت الضارب إلى الحمرة لشبه لونه بلون الأشعة ، كما كان يستخدم البازلت الرمادى القاتم .. كما أن الهرم الذى فى قمتها كان يكسى أحياناً بالذهب لتنعكس عليه الأشعة فى المعبد وكأنه عرش الشمس.

وقد اشتهرت مدينة " أونو " (وهى منطقة عين شمس حالياً) بقيام عبادة الشمس فيها منذ أقدم العصور ، وكان يوجد بمعبد الشمس فيها قطعة من الحجر هرمية الشكل ، وعندما لاحظ الكهنة المصريون أن طائراً معيناً يحط فى

وقت من السنة على هذا الحجر الهرمى ، اعتقدوا أن هذا الطائر هو إله الشمس وأنه اتخذ هيئة الطائر ليزور معبده ، كما اعتقدوا أن إله الشمس يحب الشكل الهرمي ولذلك رمزوا له بعمود قاعدته مربعة وقمته على شكل هرم وهو ما يعرف باسم المسلة.

والمسلة عمود ينحت كله من صخرة واحدة ، ولها أربعة جوانب مسطحة ترتفع مستقيمة فيكون قطاع المسلة مربع تقريباً وتأخذ فى ميل تدريجى خفيف كلما ارتفعت ثم تنتهى بهرم صغير تميل جوانبه على مستوى جوانب المسلة ، وتقام المسلة عادة على قاعدة مكعبة تستقر على درجة أو اثنتين .. وكانت المسلات تقام عند مداخل المعابد ، واحدة على كل جانب – كما وضعت مسلات صغيرة فى مقابر الدولة القديمة وعلى جوانب المسلة كان يسجل اسم الملك وألقابه ، كما كانت الشمس تنقش عليها فى هيئة قرص تمجيداً للإله رع رب الشمس مصدر الحياة .. وعلى الرغم من أن الغرض الأساسى من إقامة المسلات كان غرضاً دينياً إلا أن الأمر تطور فأصبحت تقام فى مناسبات معينة.

وكانت المسلة تسمى عند قدماء المصريين " تخنو " أو " بن بن " ويطلقون هذه التسمية على قمتها الهرمية ثم أطلق عليها اليونانيون " أوبيلسكو " عندما شبهوها بإبرة الخياطة الطويلة " المسلة " والتى ظلت فى العربية وصفاً لها.

والذين أقاموا مسلات عملاقة من الفراعنة ملوك قلائل ومنهم سنوسرت الأول ، وتحتمس الأول ، وحتشبسوت ، وتحتمس الثالث ورمسيس الثانى ، أما المسلات الصغيرة فكانت كثيرة صنع أكبر عدد منها فى عهود الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة .

وأقدم مسلة فرعونية لا تزال موجودة حتى الآن فى أحد ضواحى مدينة

هليوبوليس (المطرية الآن) وأقامها الملك سنوسرت الأول من ملوك الأسـرة الثانية عشرة ويبلغ ارتفاعها حوالى ٢٠ متراً ، وهى مكونة من قطعة واحدة من الصخر قاعدتها مدفونة فى التربة كما أنها لازالت قائمة فى البقعة التى كانـت تشغلها قديماً مدينة عين شمس المشهورة بجامعتها التى تعتبر أقدم مراكز العلـم والمعرفة فى تلك العصور.

ومما يذكر أن عدداً كبيراً من المسلات المصرية قد تفرق فى مختلـف أنحاء العالم بسبب الغزوات والحروب فعندما دخل الفرس مصر عمـدوا إلـى تكسير عدد كبير منها وسرقة السبائك الذهبية المحلاة بها ، كما نقل أحد ملـوك الآشوريين إحدى هذه المسلات على سبيل التذكار وأقامها فى إحدى مدن بلاده.

وأضخم مسلة بنيت حتى الآن هى المسلة المقامة بميدان " سان جيوفانى اللاتيرانى " بروما حيث يبلغ ارتفاعها ما يزيد على ٣٠ متراً ، كما يقدر وزنها بحوالى ٤٥٥ طناً ، وكانت مقامة فى الأصل فـى " طيبـة " ثـم نقلـت إلـى الإسكندرية حوالى عام ٣٣٠ للميلاد بأمر من الإمبراطور الرومانى " قسطنطين الأكبر " ومنها نقلها " قسطنطينوس " إلـى رومـا فأقيمـت أولاً فـى سـاحة "مكسيموس".

وقد استهوت المسلات الحكام الرومان فأخذوا ما يزيد على ١٢ مسلة ، وأقاموها فى جهات متفرقة من أنحاء إمبراطوريتهم الواسعة ، وأهتم رجال الدين بما بقى من هذه المسلات فى روما ووضعوا فوقها الصـلبان كمـا أحاطوهـا بنافورات المياه وتوجد مسلة فى كل من فلورنسا وبرلين ومسلتان فى استانبول.

وفى عام ١٨٣١ أهدت مصر إحدى مسلتى الأقصر إلى ملك فرنسـا ، وبعد خمس سنوات أقيمت هذه المسلة وسط ميدان الكونكورد بباريس ، وكانـت تقام فيه منصات الجلادين حيث أعدمت مارى انطوانيت ولويس السادس عشـر

وعدد من الأمراء فى بداية الثورة الفرنسية .. وقد حضر ملك فرنسا لويس فيليب احتفال أقامتها مع ٢٠٠ ألف نسمة من أهل باريس وسط الميدان يوم ٢٥ أكتوبر ١٨٣٦،وقد أقام هذه المسلة رمسيس الثانى ونقلت من أمام معبد الأقصر وهى تزن ٢٢٧ طناً وارتفاعها ٢٢,٥٥ متراً ويعرض متحف اللوفر قاعدتها الأصلية .

ومن أشهر المسلات المصرية المسلتان المشهورتان باسم " مسلتى كليوباترا " وهى تسمية خاطئة حيث صنعتا قبل عصر كليوباترا بزمن طويل فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد تخليداً لاسم فرعون مصر تحتمس الثالث ، وعندما اعتلت كليوباترا عرش مصر نقلت المسلتين إلى الإسكندرية لتزين "القيصريوم" قصر الحاكم الرومانى بالإسكندرية ، وظلتا حتى عام ١٨٧٧ فى المكان الذى تشغله الآن محطة الرمل .. ويبلغ طول كل منهما حوالى ٢٣ متراً ووزنها حوالى ٢٠٠ طن.

وقد أهديت إحدى المسلتين وهى قائمة على ضفة نهر التيميز فى بريطانيا عام ١٨١٩ ولكنها لم تصل إلى لندن إلا عام ١٨٧٧ ، ومما هو جدير بالذكر أن هذه المسلة أصيبت بخدش من شظايا القنابل أثناء الحرب العالمية الثانية .. أما المسلة الثانية فقد أهدتها مصر إلى الولايات المتحدة عام ١٨٧٩ وتوجد الآن فى ميدان سنترال بارك بمدينة نيويورك.

ومن اشهر المسلات المصرية " المسلة الناقصة " وهى أطول واضخم مسلة وإن لم يتم قطعها من محاجر أسوان الجرانيتية ، ويبلغ طولها حوالى ٤٢ متراً ، كما يبلغ وزنها فى حالة إتمام قطعها ١١٦٨ طناً .. غير أن تاريخ هذه المسلة لا يعرف على وجه الدقة لخلوها من النقوش التى لم تكن تنقش إلا بعد قطعها تماماً ، ولكن يحتمل أن تكون من عهد الملكة حتشبسوت حيث تميز

عهدها بقطع المسلات الكبيرة ، ولم يتم قطع مسلة أسوان لاكتشاف عيب في صخرها.

وكان قدماء المصريين إذا أرادوا قطع مسلة منَ المحاجر تأكدوا أولاً من سلامة الصخور المراد قطعها ، وكانوا يشعلون ناراً فوق الصخور الجرانيتية ، ثم يصبون الماء عليها لتتفتت الطبقة السطحية التى ينبغى التخلص منها ، ثم يسوى السطح بكرات من حجر الدولوريت ، وكانوا يرسمون شكل المسلة على سطح الصخر بحبل مغموس فى لون ، ويعمقون هذه الخطوط بآلة معدنية حادة ليتضح شكل المسلة للعمال ، ويأخذ العمال فى حفر خندق على جانبيها ، وإذا ما تم فصل المسلة من جانبيها بدئ بفصلها من تحتها وكان هذا عملاً شاقاً للغاية ، ويظن أنه كان يتم حفر ممرات على مسافات معينة ، وكانت هذه الممرات تحشى بالخشب أو الحجر لترتكز المسلة عليها عندما يتم سحق الصخر فيما بين هذه الممرات .. ثم ترتفع بعد ذلك المسلة لتنطق بإعجاز هؤلاء المصريين.

أنبياء الله فى مصر

كانت مصر مقصداً للأنبياء ، جاء إليها إبراهيم عليه السلام هرباً من المجاعة فى فلسطين وتزوج منها هاجر أم إسماعيل عليه السلام جد العرب ، ثم جاءها يوسف عليه السلام وعاش بها ، ثم ولد بها موسى عليه السلام وتلقى فيها رسالته .. ثم جاءت إليها السيدة مريم والمسيح عليه السلام وعاشا بها اثنى عشر عاماً.

أقبل إبراهيم عليه السلام من فلسطين إلى مصر يطلب فيها الشبع والرى من بلاد أصابها القحط والجفاف ، وكان مجيئه إليها على الأرجح أيام الأسرة الثانية عشرة ، حيث جاءها من طريق ممهد بآسيا إذ كانت قوافل التجارة ترد على مصر .. وقد أقبل إبراهيم عليه السلام مع إحدى قوافل البدو ، ومن المؤكد أنه أقبل على مصر بعد أن سمع بما كان فيها يومئذ من الرخاء والأمن والسلام .

وقد تزوج إبراهيم عليه السلام من السيدة هاجر ، وهى من قرية فى شمال مصر على بعد ثلاثة كيلو مترات من الساحل الشمالى ، وتعرف اليوم آثارها "بتل الفرما" ، وقد أنجبت هاجر من إبراهيم عليه السلام إسماعيل عليه السلام أبو العرب والذى ينتسب إليه الرسول صلى الله عليه وسلم .. وقد شاء

الله أن يخلد تلك الفتاة المصرية فيفرض على عباده السعى – كما سعت – بين الصفا والمروة حاجين أو معتمرين.

ثم جاء إلى مصر يوسف عليه السلام أيام الهكسوس ، وفى ذلك الوقت كان ملوك الهكسوس قد أدخلوا بعض المصريين من أهل الدلتا فى خدماتهم ، وانتحلوا بعض عادات المصريين وبعض أسمائهم ، وربما دل على ذلك اسم العزيز الذى اشترى يوسف وأدخله فى خدمته " فوطيفا رع ".

وتبدأ قصة يوسف عليه السلام بالحقد الذى ثار فى نفوس اخوته لما رأوا من حب أبيه وإيثاره عليهم فاجتمعوا على المباعدة بينه وبين أبيه ، وألقوه فى البئر ، وجاء بعض الناس وأخذوه من البئر وباعوه ، ولقد حمل يوسف إلى مصر حيث كانت تجارة الرقيق من البنين والبنات الآسيويين تلقى يومئذ رواجاً، وبيع يوسف لعزيز مصر " فوطيفا رع " حيث أنزله منزلاً طيباً وأوصى به امرأته. ﴿ وَقَالَ الَّذِى اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِى مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً ﴾ يوسف (٢١)

ثم بدأت قصة يوسف بعد ذلك كما هو معروف مع امرأة العزيز التى حاولت أن تراوده عن نفسه وانتهاء المؤامرة به إلى السجن ، ثم تفسيره للأحلام فى السجن ، وتأويله للحلم الذى رآه الملك عن البقرات السبع الثمان واللاتى يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ، وفسر يوسف ذلك بأنه يأتى سبع سنوات جفاف يأكلن محاصيل السنوات السبع السابقة والتى تميزت بالخير ، ثم يعم الخير بعد الجفاف ، ودفع ذلك الملك إلى أن يعينه على خزائن مصر ، ثم التقى بعد ذلك مع أخوته الذين ألقوه فى البئر صغيراً ، وما استتبع ذلك من مجيء يعقوب وأولاده إلى مصر ، وقد عاشوا فى أرض جاسان وهى فى شمال بلبيس ويقول العلماء أنها نواحى الصالحية .

وفى عهد الأسرة التاسعة عشرة ، وفى ظل الرعب الذى فرض على بنى إسرائيل من حيث قتل أولادهم الذكور ، ولد موسى فأوحى الله إلى أمه أن تلقيه فى اليم ، والتقطه آل فرعون ، وتربى فى قصر فرعون ، ثم حدث أن قتل موسى عليه السلام أحد المصريين مناصرة لإسرائيلياً من شيعته وما تلى ذلك من خروجه من مصر هارباً حيث ولى وجهه قبل المشرق إلى مدين عن طريق سيناء وتزوج هناك ، وعندما شعر بالأمان عاد إلى مصر حيث تلقى فى طريق عودته دعوة الله ، وحاول موسى عليه السلام أن يدعو فرعون للإيمان بالله ، ولكنه لم يستطع واستمر الصراع بينهما إلى أن انتهى الأمر بغرق فرعون وأهله فى البحر.

ثم جاء عيسى عليه السلام إلى مصر ، فبعد أن ولد فى بيت لحم على مقربة من بيت المقدس فى عهد الملك هيرودس حاكم فلسطين الرومانى الذى علم أن طفلاً قد ولد , وأنه سوف يتسبب فى ضياع مملكة أسرة هيرودس ونفوذها ، فأصدر أوامر بقتل الأطفال حديثى الولادة ، فأخذته السيدة مريم وجاءت به إلى مصر مع ابن عمها يوسف بن يعقوب عن طريق صحراء سيناء، وعاشوا فى مصر مدة اثنتا عشرة سنة حتى علموا أن هيرودس قد مات فانطلقوا إلى فلسطين مرة أخرى ، وقد نزلوا فى أماكن متعددة بمصر من أشهرها منطقة مصر القديمة ، والمطرية حيث توجد الآن الشجرة المعروفة بشجرة العذراء.

الملك الذى بنى قصر التيه

الملك " أمنمحات الثالث " من الأسرة الثانية عشرة والذى بلغت فى عهده الدولة الوسطى أقصى درجات مجدها.

وقد امتاز حكم أمنمحات الثالث بالمشروعات العظيمة التى قام بها حيث ابتكر لرى الوجه البحرى طريقة عمليه ناجحة ، وذلك أن فيضان النيل كان يغمر إقليم الفيوم سنوياً لانخفاضه عن سطح النيل فيتحول إلى بحيرة عظيمة كانت تعرف " ببحيرة موريس " وكانت المياه تصل إلى هذا الإقليم من فجوة فى الهضبة الغربية جهة الفيوم.

وقد حاول المصريون فى عصر ما قبل التاريخ وفى عهد الأسر المختلفة أن يمنعوا طغيان المياه على أراضى الفيوم كى يستغلوها فى الزراعة فأقاموا لهذا الغرض سداً عند اللاهون فى الفجوة التى تصل وادى النيل بمنخفض الفيوم ، ولما تولى الملك أمنمحات الثالث مد هذا السد حتى صار طوله ٢٧ ميلاً وبذلك أمكنه أن يجعل من تلك البحيرة خزاناً عظيماً تخزن فيه المياه لاستعمالها فى رى أراضى الوجه البحرى فى وقت التحاريق .. وبهذه الطريقة انحسرت مياه النيل عن حوالى سبعة وعشرين ألفاً من الأفدنة أصبحت صالحة

للزراعة ، وكانت كلها ملكاً للملك .. ويعتبر هذا المشروع من أعظم الأعمال الهندسية فى العالم القديم.

وقد رأى الملك أن البعثات التى تذهب إلى سيناء تعانى مشاق جسيمة من وعورة الطريق وجفاف الصحراء فعمل على إنشاء مساكن للعمال وحفر الآبار وأقام القلاع لصد هجمات البدو ، ووضع المناجم تحت إشراف رؤساء فرض على كل منهم مقداراً ثابتاً من المعادن المستخرجة يدفعه كضريبة للحكومة فانتظمت بذلك أحوال المناجم وصارت مورداً ثابتاً من موارد الدولة.

وفى عهده أقيم مقياس للنيل حيث كان الموظفون يسجلون ارتفاع الماء وانخفاضه فى نهر النيل على صخور قلعة " سمنة " عند الشلال الثانى وكان هذا المقياس كبير الفائدة إذ تستطيع به الحكومة مراقبة النهر ومعرفة مدى فيضانه ويساعدها هذا فى تقدير ما تنتجه الأرض من محصول ، وما ينبغى أن يفرض عليها من ضرائب ، ولا تزال البيانات التى سجلها المصريون فى ذلك العصر باقية إلى اليوم.

كما بنى أمنمحات الثالث قصراً ضخماً عند " هواره " على مقربة من السد الذى أقامه يبلغ طوله حوالى ألف قدم وعرضه ثمانمائة قدم واتخذه مقراً للحكومة ، وكان يشتمل على حجرات تبلغ فى عددها عدد أقسام مصر الإدارية، ومنه كانت تدار البلاد عامة .. ويبدو أن كثرة غرفه وتعدد طرقاته أكسبته فيما بعد اسم " لابيرنته Labyrinth " تشبيهاً بقصر لابيرنته الكريتى المذكور فى الروايات الخرافية لتشعب طرقه وحجراته ، وقد عرف هذا القصر أيضاً بقصر التيه لتعدد طرقاته بشكل غير عادى ، ولم يبق منه الآن سوى بعض أحجار بالقرب من هرم اللاهون.

وقد ذكر أحد المؤرخين القدماء الذين زاروا هذا القصر العجيب أن

سقف كل حجرة من حجراته كان من حجر واحد ، وكذلك أرضها ، ولم يستعمل في بنائه خشب أو ما شابهه من مواد العمارة.

وظل أمنمحات الثالث يحكم البلاد حوالى خمسين عاماً نعمت فيها البلاد من جنوبها إلى شمالها باليسر والرخاء ، ولما توفى دفن في هرمه بجهة دهشور.

أول ثورة فى التاريخ

الهكسوس شعب آسيوى أغار على مصر واستولى عليها فى وقت ضعفت فيه الأسرة الثالثة عشرة بسبب الحروب والخلافات ، وجعل الهكسوس ملوك الأسرة الرابعة عشرة تحت سلطانهم ثم كونوا بأنفسهم ملوك الأسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة .. ومن المرجح أن الهكسوس شعب سامى كان يحكم سوريا وفلسطين وكان تفوقهم فى فنون الحرب سبباً لهزيمة المصريين لمعرفتهم العجلات الحربية التى كانت تجرها الخيول التى استعملت فى هذا الوقت لأول مرة فى التاريخ ، وكانت تخترق صفوف المشاة وتوقع فيهم الخلل والاضطراب ، وكان لهذا التفوق أثر كبير فى هزيمة المصريين .. فقد كانت مفاجأة واختراعاً كبيراً فى ذلك الوقت.

وقد اتخذ الهكسوس من أفاريس أو هواره بالقرب من بحيرة المنزلة عاصمة لهم لتكون موقعاً وسطاً بين مصر وأملاكهم فى فلسطين وسوريا.

وتميز حكمهم باستعباد المصريين وإساءة معاملتهم وهدم معابدهم والاعتداء على الأهالى ، وبادلهم المصريون هذا العداء ، غير أنه غلب عليهم التمدين المصرى بعد ذلك وحاولوا التمصر وأحسنوا معاملة المصريين وعبدوا معبوداتهم ، وقلد ملوكهم الفراعنة ، وبنوا المعابد على الطراز المصرى ، ومع

ذلك فقد ظل المصريون ينظرون إليهم نظرة الاحتقار لما لاقوه من بلاء على أيديهم.

وفى حوالى عام ١٦٠٠ ق.م ظهر بطيبة أمراء مصريون عظام يعدهم المؤرخون ملوك الأسرة السابعة عشرة ، وعملوا على تخليص البلاد من الهكسوس وحاولوا استمالة بقية الأمراء لديهم .. ولما سمع الهكسوس بنهوض طيبة حاولوا القضاء عليها قبل أن يستفحل الأمر ، فأخذ ملك الهكسوس يحتك بأمير طيبة ويختلق الأسباب للحرب ، ومن ذلك أنه أرسل إليه رسولاً ينبئه بأن صوت عجل البحر الذى يعيش فى نهر النيل قرب طيبة يزعجه وهو على بعد مئات الأميال فى أفاريس.

ولما كان عجل البحر هذا حيواناً يقدسه المصريون ، فقد عدوا التعريض به إهانة لهم ، وبدأوا يحاربون الهكسوس ، وظلت الحرب مستعرة سنوات ، حتى تولى الملك أحمس الأول أول ملوك الأسرة الثامنة عشرة وأول من قاد ثورة ضد الاستعمار فى التاريخ .. فعمد إلى التعبئة العامة وتجنيد كل الرجال ، وصبغ الحياة بالصبغة العسكرية ، وبدأ تدريب المصريين على استخدام الحصان والعربة على نطاق واسع فضلاً عن استخدام الأقواس الضخمة الثقيلة ذات المدى البعيد ، وكانت هى الأخرى سلاحاً جديداً استخدمه الهكسوس عند غزوهم لمصر ، وعبأ أسطولاً نهرياً واتجه شمالاً لمحاصرة أفاريس عاصمة الهكسوس وهزمهم بنفس أسلحتهم.

وفر الهكسوس من مصر ، وتعقبهم أحمس الأول فى فلسطين وحاصر مدينة " شاروهين " فى جنوبها الغربى واستولى عليها بعد حصار ثلاث سنوات، وقام كذلك بحروب فى الشام ، وتساقطت قلاع الهكسوس حتى تشتتوا تماماً فى أقاليم الشرق .. وبدأ أحمس يضع حجر الأساس فى الإمبراطورية المصرية القديمة التى امتدت من الشلال الرابع فى الجنوب إلى أعالى الفرات.

المدينة التى يوجد بها ثلث آثار العالم

الأقصر .. وتعتبر من أقدم المدن المصرية ، وإن كانت لم تبلـــغ ذروة الشهرة إلا فى عصر الإمبراطورية المصرية الحديثة عنــدما كانــت عاصــمة لمصر ، فنمت وازدهرت وامتلأت بالمبانى التـــى أقامهـــا الملـــوك والأمـــراء المصريون والتى يرجع معظمها إلى عصر الأسرات ١٨ ، ١٩ ، ٢٠.

وقد لعبت هذه المدينة دوراً كبيراً فى تاريخ مصر ، فباسم آمون إله هذه المدينة أقيمت المعابد الكبرى ، وباسمه خرجت الجيوش المصرية الظافرة تطرد المحتلين من الهكسوس ثم تفتح المدن لتقيم إمبراطورية مصرية عظيمة.

واشتهرت بأنها مدينة " المائة باب " ، كما أطلق عليها من جمال مبانيها وحسن تخطيطها وروعة معابدها اسم " مدينة المدائن " .. وكان الاسم الفرعونى لهذه المدينة (واست) ثم أطلق عليها اليونانيون اسم طيبة ، ولما دخل العـــرب مصر ورأوا ما فيها من عمائر حسبوها قصوراً فأطلقوا عليها الأقصر .

ويوجد بالأقصر أعظم آثار العالم القديم وفى مقــدمتها علـــى الضـــفة الشرقية للنيل معبد الأقصر وهو مكون من إضافات متعددة فى العصور المتتالية لأغلب فراعنة مصر العظام لدرجة أن طوله الجانبى أصبح ٢٦٠ متراً ، وتبلغ مساحته أربعة أفدنة ، وقد شيده أمنحتب الثالث ثم جاء بعد ذلك رمسيس الثـــانى

وبنى أمامه البهو الكبير والتماثيل والمسلتين اللتين نقلت إحداهما إلى باريس بميدان الكونكورد ، كما أضاف من جاء من بعده من الملوك إضافات أخرى .

وإلى شمال معبد الأقصر تقع المجموعة الفسيحة للمبانى المقدسة والتى تعرف بالكرنك (أى القرية الحصينة) وقلب هذه المجموعة يوجد معبد آمون الكبير (أكبر معبد فى العالم أجمع) ومن خلال معبد الكرنك تظهر صورة واضحة للتاريخ المصرى خلال ألفى عام تبدأ من الدولة الوسطى حوالى ٢٠٠٠ ق.م وحتى عهد بطليموس الحادى عشر ، وتبلغ مساحة معابد الكرنك حوالى ٦٢ فداناً وبدئ فى تشييده ليكون مقراً لعرش آمون وفيه كانت تقام الصلوات والاحتفالات بالأعياد ، وقد أضيفت إليه معابد أخرى لبعض الأرباب مثل معبد " موت " زوجة آمون و " خنسو " بن آمون و " بتاح " و " أوزوريس " وغير ذلك.

كما يوجد طريق الكباش الذى يصل بين معبدى الأقصر والكرنك ، كما تضم الأقصر صالة الأعمدة الكبرى التى شيدها ثلاثة ملوك عظماء هم رمسيس الأول ورمسيس الثانى وسيتى الأول والمكون من ١٣٤ عموداً تزينها نقوش دقيقة تليها مسلة الملك تحتمس الأول ثم المسلتان اللتان أقامتهما حتشبسوت ، كما توجد منطقة البحيرة المقدسة التى شهدت احتفالات تتويج معظم الملوك.

أما على الضفة الغربية للنيل فمن أشهر آثار الأقصر مقابر وادى الملوك حيث نحت ملوك الدولة الحديثة مقابرهم فى باطن الصخر ومن اشهرها مقبرة توت عنخ آمون وآمنوفيس الثالث وسيتى الأول ، كما توجد مقابر الملكات ومن أشهرها نفرتارى زوجة رمسيس الثانى ، كما يوجد مقابر الأمراء ومن أمثلتها مقبرة راموس وزير إخناتون .

كما يوجد معبد حتشبسوت وهو يعد من أعظم آثار مصر القديمة ، وقد

أقيم على ثلاث شرفات تعلو كل منها الأخرى ، وسجلت على جدرانه منـــاظر تمثل رحلة أسطولها إلى بلاد بنت ومناظر ولادتها المقدسة مـــن الإلـــه آمـــون وغيرها من المناظر التاريخية والسياسية والدينية ، وإلى جوار هذا المعبد يوجد معبد " منتوحتب " من الأسرة ١١ وهو أقدم معبد فى طيبة.

كما يوجد أيضاً معبد مدينة هابو وهو مجموعة من المعابد التـــى كـــان يحيط بها سور من اللبن ما تزال آثاره باقية حتى الآن ، ويشتمل علـــى بوابـــة عظيمة ومعبد جنائزى وقصر لرمسيس الثالث ومبان أخرى.

حتشبسوت

ابنة تحتمس الأول .. امرأة عظيمة عرفها التاريخ .. ومما يذكر أن تحتمس الأول لم يكن من أصل ملكى وإنما كان يحكم البلاد نيابة عن زوجه الملكة وهى من سلالة ملوك طيبة الذين طردوا الهكسوس من مصر ، وقد أنجب منها أميرة هى حتشبسوت ، وكان فى الوقت نفسه قد تزوج من سيدتين إحداهما أميرة ولدت له تحتمس الثانى وأنجبت الأخرى ابنه تحتمس الثالث .

ولما ماتت الملكة الشرعية التى كان يحكم البلاد باسمها ، أجبر على التخلى عن العرش لتتولاه حتشبسوت ابنة الملكة المتوفاة لأحقيتها بالملك منه ومن أخويها .. وقد تبع ذلك نزاع طويل بين الإخوة الثلاثة انتهى بتولية تحتمس الثانى حكم البلاد مدة يسيرة لا تزيد على ثلاث سنوات .. وتزوجت حتشبسوت أخوها تحتمس الثانى ورزقا بابنتين ، وبموته أصبحت المسيطرة على كل شئ واتخذت لنفسها الألقاب الملكية العديدة ، على الرغم من مشاركة تحتمس الثالث لها فى الحكم.

وظهرت حتشبسوت على مسرح الحكم تبذل أقصى ما تستطيع أن تبذله امرأة من نشاط ، واستطاعت أن تجمع حولها رجال الدولة وبذلك أصبح حزبها أقوى الأحزاب وكانت هى القوة المحركة للعرش وصاحبة الكلمة المسموعة فى

البلاد ، وما لبثت أن استأثرت بالسلطة وسلبت من تحتمس الثالث شريكها فى الحكم كل أمر وساعدها على ذلك صغر سنه.

وظهرت حتشبسوت فى النقوش والتماثيل وهى ملتحية بلحية مستعارة تشبهاً بالرجال ، ولبست غطاء للرأس تشبهاً بالملوك ، وظهرت تماثيلها على شكل أبى الهول فتراها برأس إنسان وجسم أسد رمزاً للعقل والقوة ، وقد ساد السلام والتعمير عصرها.

وأهم ما شيدته معبدها الرائع فى الدير البحرى بطيبة (الأقصر حالياً) على الجانب الغربى للنيل ، وسجلت عليه قصة مولدها من الإله آمون معبود طيبة والذى صار فيما بعد إله الإمبراطورية بأجمعها ، وقد شيدت معبد الدير البحرى فى سفح جبال طيبة وبه ثلاث شرفات مدرجة ينتهى أعلاها بساحة عظيمة مرتفعة ، وأمام هذه الشرفات أقامت سلسلة من الأعمدة الجميلة وغرست فيها ما جلبته من بلاد (بنت) من الأشجار النادرة.

كما أصلحت عدداً من المعابد المخربة ، وأرسلت إلى بلاد بنت – الصومال حالياً– بعثة تجارية من خمسين سفينة حاملة البضائع المصرية وتمثالاً للملكة نصب فى هذه البلاد ، ثم عادت السفن تحمل الأخشاب العطرية والأشجار الثمينة والأبنوس والعاج والذهب والحيوانات وأمرت بنقش أخبار هذه الرحلة بارزة على جدران معبد الدير البحرى ، ولا تزال هذه النقوش من أبدع روائع هذا المعبد العظيم.

وزادت حتشبسوت جزءاً فى معبد الكرنك وأقامت مسلتين عظيمتين عند مدخله نقشت على إحداهما " لقد أقمت هذا النصب لتعجب له الأجيال القادمة من بعدى " وما تزال إحدى المسلتين موجودة حتى الآن.

وحين توفيت الملكة حتشبسوت أمسك تحتمس الثالث برمام الملك بعد أن

مضى عليه منذ تتوجيه اثنتين وعشرين سنة قضاها بلا نفوذ ، وعند ذلك ظهرت مواهبه العظيمة ، ومهارته الحربية التى جعلته فى عداد كبار الفاتحين فى العالم القديم ، وقد أمر تحتمس الثالث بتحطيم ما يزيد على مائة تمثـال لحتشبسـوت كانت مقامه فى معبدها ، كما محا اسمها من بعض الآثار ، ولكن لم يستطع أن يحجب عن أعين العالم ضوء عظمتها ولا أن يزعزع مكانتها فى تاريخ مصـر القديم.

أقدم علم مصرى

عرفت مصر الأعلام منذ عهد الفراعنة ، وإن كان العلم فى ذلك الوقت لم يكن علم دولة بقدر ما كان علم الفرعون حيث كان يتغير من فرعون لآخر.

وأقدم أشكال العلم المصرى كان على شكل مروحة ووجد منقوشاً على جدران الدير البحرى (معبد حتشبسوت) ولم يتمكن المؤرخون من الجزم فى مسألة اللون .. ثم وجدت عدة أعلام أخرى ، أما فى العصور التى تلت العصر الفرعونى فلا نجد علماً مميزاً لمصر لأنها كانت إحدى ولايات الإمبراطورية الرومانية ، كذلك بعد أن أصبحت مصر إحدى إمارات الدولة الإسلامية فإنها كانت تتخذ علم هذه الدولة فكان العلم الأبيض شعار الأمويين ، وكان العلم الأسود شعار العباسيين ، وفى الدولتين الطولونية والاخشيدية لم يكن هناك علم خاص بمصر بل ظلت تحت العلم العباسى الأسود اللون .

أما الفاطميون فقد اتخذوا اللون الأخضر شعاراً لهم ، وفى الدولة الأيوبية اتخذ صلاح الدين العلم العباسى الأسود مرة أخرى شعاراً له ، وفى دولة المماليك كان اللون الغالب لأعلامهم هو الأصفر .. وبعد الفتح العثمانى لمصر وجدت أعلام كثيرة بعدد مراكز القوى ، فالوالى المعين من الباب العالى كان يرفع العلم العثمانى الأحمر ومن جهة أخرى احتفظ زعماء المماليك كل

منهم بعلمه الخاص المتميز اللون والشعار لكل أمير .. وفى حكم محمـــد علـــى وبعد القضاء على المماليك أصبح العلم الأكثر انتشاراً هو علم الدولة العثمانيـــة الأحمر اللون ، وفى عام ١٨٢٦ جعل محمد على للعلم المصـــرى نجمـــة ذات خمسة أطراف بدلاً من النجمة ذات الأطراف الستة التـــى كانـــت فـــى العلـــم العثمانى.

وفى عهد الخديو إسماعيل أصبح العلم المصرى يشتمل على ثلاثة أهلة وبداخل كل هلال نجمة خماسية كلها من اللون الأبيض ، واحتفظ العلم بـــاللون الأحمر ، ولكن مصر عادت عام ١٨٨٢ مرة أخرى إلى العلم القـــديم إلـــى أن وضعت البلاد تحت الحماية البريطانية عام ١٩١٤ نظراً لقيام الحرب العالميـــة الأولى فأعيد العلم الذى استحدثه الخديو إسماعيل.

وفى ثورة ١٩١٩ حمل الثوار المصريون علماً أخضر اللـــون بداخلـــه هلال يتوسطه صليب باللون الأبيض كناية عن وحدة المسلمين والأقباط – وفى عام ١٩٢٣ بعد إعلان الاستقلال وإعلان مصر دولة ملكية ظهر علم أخضـــر اللون يتوسطه الهلال وثلاثة نجوم خماسية بيضاء اللون ، واستمر هذا العلم دون تغير حتى عام ١٩٥٨ وإن كان وجد علم آخر أطلق عليـــه علـــم التحريـــر ذو الألوان الثلاثة الأحمر والأبيض والأسود لكن لم يكن له وجود رسمى وإنما كان يرفع فى المناسبات الشعبية حتى قامت الوحدة بين مصر وسوريا فاتخـــذ هـــذا العلم أساساً للدولة الجديدة مع إضافة نجمتين خماســـيتين خضـــراويتين فـــى المستطيل الأبيض رمزاً لكل من دولتى الوحدة.

واستمر هذا العلم حتى قامت الوحدة بين مصر وســـوريا وليبيـــا فـــى ديسمبر ١٩٧١ فتم إبدال النجمتين بصقر ناشراً جناحيه ويكتب اسم دولة الاتحاد أسفل الصقر، وفى أكتوبر ١٩٨٤ انسحبت مصر رسمياً من اتحاد الجمهوريات العربية وبناء عليه تغير إلى علم جمهورية مصر العربية وهو نفس العلم السابق مع وضع نسر مكان الصقر.

أول ملك أقام إمبراطورية مختلفة الشعوب

تحتمس الثالث الذى يعد بلا منازع أول قائد عظيم عرفه العالم ، أقام أقدم إمبراطورية مختلفة الشعوب فى التاريخ امتدت من أعالى نهر الفرات إلى الشلال الرابع على النيل .. وعلى جدران معبد الكرنك قصة ١٧ غزوة أخضع فيها مدن وممالك آسيا الغربية ، وبنى أول أسطول حربى عرفه التاريخ واستطاع به أن يمد نفوذه حتى بحر إيجة ، حيث أقام أحد قواده حاكماً عليها ، وقد شملت فتوحاته مدن مجدو وقادش ونينوى وخضع له أمراء بلاد النهرين وملك بابل.

وإذا كان أحمس الأول قد أجلى الهكسوس عن البلاد ووضع أساس أول إمبراطورية مصرية فإن تحتمس الثالث هو الذى مد سلطانها وثبت دعائمها وحررها من التهديد الأجنبى وجعل منها أعظم إمبراطورية .. فبعد موت حتشبسوت ورث العرش ونهض يفرغ ما اختزنه من دراسة وأفكار وساعده على ذلك وجود جيش مدرب وبلاد غنية وعدو يتربص بها ، حتى أنه لم تمض أسابيع على توليه العرش حتى قاد جيشه إلى ساحات القتال فى موقعه (مجدو) أولى غزواته.

ذلك أن الهكسوس على أثر خروجهم من مصر كانوا يقيمون فى

الأقطار المجاورة ويتحينون الفرصة للعودة إلى مصر ، وأعلن العصيان والانفصال عن الإمبراطورية المصرية فى بعض الولايات وتجمعت فى حلف كبير بقيادة ملك قادش (١٠٠ ميل شمال دمشق) فوضع تحتمس خطة لغزو هذه البلاد وتأديبها .. وصحب تحتمس لأول مرة فى التاريخ كتاباً يؤرخون كل ما يحدث ويكتبون تقارير يومية حربية أشبه بتقارير المعارك الحديثة وبقيت هذه التقارير شاهدة بمجد الفراعنة فى الفن الحربى.

بدأت الحملة من قاعدة القنطرة وتحركت القوات عبر الصحراء الشرقية إلى فلسطين ودخلت غزة فى فترة وجيزة بمعدل اثنى عشر ميلاً ونصف فى اليوم وهو رقم يستلفت النظر خاصة فى بقاع صحراوية ولقوات أغلبها مشاة ، ومع هذا وصل الجيش إلى غزة فى المساء ، ثم أنطلق فى الصباح من جديد إلى " يما " قاطعاً ثمانين ميلاً أخرى حيث بدأت الترتيبات لدخول المعركة .

وللمرة الأولى فى التاريخ عقد تحتمس الثالث أول مجلس حربى لاستشارة قواده فى وضع تفاصيل الخطة ، وقد وجد محضر الاجتماع منقوشاً على الآثار القديمة ، وكان هناك ثلاثة طرق اختار تحتمس الثالث أقساها على غير ما يتوقع العدو من أجل تحقيق مبدأ المفاجأة فى خططه وأصدر بياناً يعلن فيه أنه سيكون على رأس جيشه فى المقدمة.

وعبر الجيش الممر الضيق بما فيه من عقبات ومرتفعات وبدأ تحتمس الثالث ينشر قواته بينما كان العدو يرقب الطرق الأخرى ويحشد قواته أمامها ، ولهذا كانت الصدمة الأولى قوية أطاحت بمعنويات العدو ومادياته فى وادى "قنا" حتى أن القوات لم تستطع أن تثبت أو تقاوم عنف الضربات وما انتشر فى صفوفها المنهزمة من فزع واضطراب .

وكان تحتمس الثالث قد نظم قواته للمعركة بأن جعل للجيش قلباً

وجناحين (لأول مرة فى التاريخ) وأرسل أمام الجيش مقدمة دفع منها وحدات استكشافية كأحدث تعاليم الحرب الحديثة ، وقد حقق بذلك ثلاثة مبادئ هامة هى المفاجأة والوقاية والقتال الهجومى .. وحقق فوزاً كبيراً جعل جيوش الأعداء تفر إلى مجدو حيث حاصرها سبعة أشهر استسلمت بعدها صاغرة.

وقد اقتفى عظماء القادة فيما بعد اثر خطط موقعة مجدو ، حيث عبر هانيبال ونابليون جبال الألب الصعبة ، واختار مونتجمرى أقوى نقاط فى دفاع المحور عند العلمين وركز هجومه عليها ، ثم عادت موقعة مجدو للوجود مرة أخرى بعد (٤٥٠٠ سنة) وجرت على ذات الطريق الذى سار عليه تحتمس ، ذلك أن الجنرال اللنبى نسج على منواله حين كان يدفع الجيش التركى فى بقاع سوريا عام ١٩١٨ ، حيث هزمهم فى نفس المكان مستوحياً خطة تحتمس الثالث.

وتظهر عبقرية تحتمس الثالث مرة أخرى فى ابتكار الخطط مما جعله على رأس الفاتحين من حيث العبقرية والذكاء فقد فكر فى بناء سفن حربية لنقل جيشه عبر نهر الفرات حتى يسهل عليه إتمام الفتح ولكنه خشى من صناعتها فى أراضى العدو الذى ربما أفسد عليه خطته ، ولذلك بنى سفنه قطعاً متفرقة ثم ابتكر لها عربات من نوع خاص تجرها الثيران حتى شاطئ الفرات حيث ركبت أجزاؤها ونفذ بذلك خطته ، ووصل إلى قرميش على الضفة الغربية لنهر الفرات حيث انتصر على جيوش دولة " ميتانى " التى تقع فى أعالى ذلك النهر ودخل بلادها.

وقد اقتفى المارشال مونتجمرى بعد آلاف السنين أثر خطة تحتمس الثالث عندما عبر نهر الراين على سفن جئ بها براً على غرار ما فعله تحتمس الثالث.

ولم تكن حروب تحتمس الثالث برية فحسب بل اشتملت على حروب بحرية ، وكان أول قائد فى العالم يضع خطة مشتركة تتعاون فيها قوات البر والبحر بتوقيت دقيق وتعاون متبادل ، فاستخدم أسطولاً كبيراً للنزول فى ساحل فينقيا متخذاً من ذلك الساحل قاعدة تبدأ منها عملياته فى بلاد النهرين وهى خطة لم يسبقه إليها أحد.

وقد بلغت غزواته سبع عشرة غزوة تمكن خلالها من توسيع أملاك مصر توسيعاً يفوق كل ما سبقه ومن تعزيز سلطانها فى تلك الجهات حتى لم يجرؤ حاكم آسيوى بعد ذلك على أن يشق عصا الطاعة على هذا الملك المصرى العظيم .. وبعد أن فرغ من حروبه الآسيوية وجه همته إلى بلاد النوبة فثبت فيها حكم مصر حتى الشلال الرابع .. وكانت سياسته فى حكم هذه الإمبراطورية الواسعة ترمى إلى توطيد الحكم المصرى فاستبدل بالأمراء غيرهم ممن كانوا أكثر ولاءً وإخلاصاً وأقام إلى جانبهم موظفين مصريين وجامعات عسكرية مصرية ، وأخذ أبناء الأمراء ليربيهم فى البلاط الفرعونى على التقاليد المصرية حتى يضمن لمصر ولاء هذه الولايات .

وقد أقام تحتمس الثالث لوحة تذكارية فى الجهة الغربية من نهر الفرات بجوار أثر تحتمس الأول لتكون بمثابة آخر نقطة وصلت إليها فتوحاته فى الشمال ، أما فى الجنوب فقد حدد فتوحاته أيضاً بلوحة من الجرانيت أقامها عند جبل " بركال " على مقربة من مدينة " نباتا ".

ومن أهم آثاره مسلتان عظيمتان أقامهما فى عين شمس ثم نقلتا إلى الإسكندرية وإحداهما الآن بلندن والأخرى بنيويورك.

السرابيوم

كان يوجد فى منطقة سقارة بالجيزة مدفن كبير للعجل " أبـيس " الـذى كان يقدسه المصريون القدماء ، ويطلق على هذه المقبرة اسم " السرابيوم " وقد اشتق القدماء اسم مكان دفن العجول المقدسة من الإله " أوزير" والإله " حابى " الذى شبهه البطالمة بإلههم " سيرابيس " أما كلمة " يوم " فمعناها ساحة أو مكان، ومن هنا جاءت كلمة سرابيوم.

وهذه المقبرة محفورة فى الصخر ويبلغ طول ممراتها ١٩٥ متراً وتوجد بها قبور العجول عن اليمين واليسار ، وكان يتم تحنيط وتزيين العجل أبيس بعد موته كأحد الملوك ، ويوضع فى تابوت ضخم من الجرانيت ويبلغ وزنه حوالى ٦٥ طناً تقريباً.

بدأ حفر السرابيوم حوالى عام ١٤٠٠ قبل الميلاد ، واستمر الدفن فيـه حتى القرون الأخيرة قبل الميلاد .. وفى عام ١٨٥١ م اكتشـف عـالم الآثـار الفرنسى أوجست مارييت السرابيوم ، ووجد بداخله عدد كبير مـن التوابيـت ، وهو مصنوع إما من الجرانيت الأزرق القاتم أو الوردى الفاتح ، وطـول كـل تابوت ٤ × ٢,٥ متراً وارتفاعه ٣,٨ متراً ويوجد جزء كبير من هذه التوابيـت فى متحف اللوفر بباريس.

وقد اهتم قدماء المصريين بالعجل المقدس " أبيس " الذى ربطـــوا بينـــه وبين إله الخير " أوزير " وإله النيل فى فصل الخصـــب " حـــابى " ، وكـــانوا يختارونه كظاهرة لا تتكرر دائماً ، وإنما بعد أن يموت العجل المقدس الذى يحيا فى حظيرته بمنف عاصمة الدولة القديمة (ميت رهينة حالياً بالبدرشين) يبـــدأ البحث عن عجل جديد تتوافر فيه سمات مميزة وهى أن يكون مجـــدول شـــعر الذيل ، أسود اللون على جبينه شامة بيضاء مربعة ، وعلى مؤخرته ما يشـــبه ختماً منقوشاً كالنسر ، وتحت لسانه رسم جعران ، فإذا ما وجد هذا العجل النادر فإنه يكون العجل المقدس الجديد ، وكان يعد يوم العثور عليه عيداً .. وبعد وفاته يحنط ، وفى مهابة جنائزية يصعدون بتابوته ليدفن فى السرابيوم.

ممنون وطريق الكباش

ممنون وطريق الكباش هو اسم لأثرين يعودان إلى الملك أمنحتب الثالث من الأسرة الثامنة عشرة ، وفى عهده بلغت الإمبراطورية المصرية القديمة شأناً بعيداً .. وخطب ودها الكثير من الملوك ، وصار قصر فرعون لأول مرة فى التاريخ مركز الاتصال بين ملوك ذلك العصر ، وعثر الباحثون عام ١٨٨٨ م على ثلاثمائة رسالة فى جهة تل العمارنة مكتوبة بالخط المسمارى المعروف فى آسيا فى ذلك الوقت .

وفى عهد أمنحتب الثالث أعيد تخطيط طيبة وشقت بها الشوارع المستقيمة ، وأقيمت القصور الفاخرة تحيط بكل منها حدائق جلبت أشجارها من السودان والصومال .. وزاد فى معبد الكرنك .. وأنشأ معبد الأقصر الذى أبدع المهندسون فى تنسيقه ، ومن أجمل أجزاء المعبد الدهليز ذو الأربعة عشر عموداً .. ثم وصل بين معبدى الكرنك والأقصر بحديقة طولها ميل ونصف أنشأ بها طريقاً على كل من جانبيه صف من تماثيل أبو الهول ، جسم كل منها شبيه بجسم الأسد ورأسه شبيه برأس الكبش ، ولهذا أطلق عليه اسم "طريق الكباش".

وشيد معبداً آخر فى الجهة الغربية من طيبة ، ولم يبق منه الآن سوى تمثالين هائلين كان موضعهما أمام مدخل المعبد ، يربو ارتفاع كل منهما على

العشرين متراً ويعرفان بتمثالى ممنون ، وسبب هذه التسمية يرجع إلى أنه كانت تنبعث من أحدهما عقب شروق الشمس كل صباح أصوات عذبة حزينة وصـــل خبرها إلى الإغريق ، فاعتقدوا أنها صوت " ممنـــون " أحـــد أبطـــالهم الـــذين صرعهم الموت أمام طروادة وأنه يناجى أمه.

وفى عام ٢٧ ق.م حدث زلزال بمصر فـتحطم الجـــزء العلـــوى مـــن التمثال، ثم أصلح فى عهد الرومان ومنذ ذلك الحين لم يعد ينبعث منه صوت .

ويعلل العلماء انبعاث ذلك الصوت من تجمع الندى فى شقوق التمثـــال أثناء الليل ، وبعد بزوغ الشمس يتبخر الندى فيحدث ذلك الصوت.

أول ملك مصرى يدعو للتوحيد

إخناتون الذى قاد الثورة الدينية فى مصر بعد أن ورث الحكم عن أبيه فى الأسرة الثامنة عشرة .. وحكم البلاد ما يقرب من ١٨ عاماً .. وتزوج الملكة نفرتيتى التى اشتهرت فى تاريخ الفن الفرعونى بالضجة التى أحدثها اكتشاف بعثة أثرية ألمانية لتمثالها المصنوع من الحجر الجيرى الملون والذى يوجد الآن فى متحف برلين ويعتبر نموذجاً رائعاً للفن المصرى القديم.

رأى إخناتون أن الشمس يجب ألا تعبد لذاتها وإنما تعبد الحرارة الكامنة فيها ، إذ هى القوة التى تبعث الحياة والدفء فى كل ما على وجه الأرض من كائنات .. وأطلق على الإله الجديد اسم " آتون " .. وصار يرمز له بقرص فى السماء تنبعث منه أشعة متجهة نحو الأرض تنتهى بأيد قابضة على زمام الحياة.

ونتيجة لذلك عارض كهنة الإله آمون ذلك الإله الجديد ، وناصر الملك بقية الكهنة فى عين شمس ومنف .. ونشب خلاف رهيب بين الملك وكهنة آمون وجردهم من ممتلكاتهم ، ومحا اسم آمون وصورته من جميع معابد طيبة وتماثيلها وآثارها .. وغير اسمه فبعد أن كان " امنحتب " ومعناها " آمون يستريح " غيره إلى إخناتون أى " روح آتون " .. ولما فرغ من نشر مذهبه الجديد ، ورأى أن طيبة مزدحمة بالمعابد التى بنيت لعبادة آمون ، عزم على

إنشاء مدينة جديدة يعبد فيها الإله " آتون " وينقل إليها مقر حكمه .. وقد وقع اختياره على مكان يعرف الآن بتل العمارنة وأنشأ فيه مدينة سماها "اخيتاتون" أى " أفق آتون " وبنى بها ثلاثة معابد فخمة قامت حولها قصور جميلة للملك والأمراء .

وامتاز الفن المصرى فى عهد إخناتون بالبساطة والوضوح ، وقد نحتت المقابر فى الصخور وخلت من التعاويذ التى اعتاد المصريون وضعها إلى جوار الميت.

وقد أوقف إخناتون جهوده كلها على نشر الدين الجديد ، ولم يتسع وقته للنظر فى شئون الإمبراطورية العظيمة التى بذل أجداده جهوداً كبيرة فى إنشائها، حتى أن الحيثيين بعد أن سمعوا بالثورة الدينية أخذوا يغيرون على أملاك مصر فى سوريا ، وأغار البدو على جنوب فلسطين .. ولم يكن ذلك الخطر الوحيد ، حيث خرجت من مصر صعوبات عديدة تواجه إخناتون ، فالشعب المصرى لم يتخل بسهولة عن عقائده الموروثة ، وكهنة آمون لم ينسوا ما حل بهم على يد إخناتون ، والجيش عز عليه أن يرى الإمبراطورية تنكمش وتنهار ، وقد اجتمعت كل هذه القوى ضد إخناتون وظل يقاومها حتى توفى .

وبعد وفاته حدث ارتداد عن هذه الدعوة الدينية الجديدة ، فبعد أن تولى صهره " توت عنخ آتون " الحكم أجبره كهنة آمون على العودة إلى عبادة الإله آمون وغيروا اسمه إلى " توت عنخ آمون " وغير العاصمة من جديد ، وترك إخيتاتون وعاد إلى طيبة من جديد ، وخربت معابد آتون ، وأعيد نقش اسم آمون على المعابد والآثار.

رمسيس الثانى

حكم مصر ٦٧ عاماً .. وأطلق عشرة ملوك على أنفسهم اسمه تقـديراً له .. ووقع أول معاهدة دولية معروفة فى التاريخ .. وأنشأ واحدة من أعظم المبانى الصخرية فى العالم .. تدخل الشمس إلى معبده مرتين فقط فى العـام ، واحدة يوم مولده والثانية يوم جلوسه على العرش .. ساهمت اليونسكو فى إنقاذ معبده من الغرق تحت مياه السد العالى فى واحدة من أكبر المنجزات الهندسـية الحديثة .. إنه الفرعون العظيم " رمسيس الثانى ".

تولى الحكم بعد وفاة والده سيتى الأول .. وعمل على تثبيـت مركـزه وتدعيم سلطانه وزيادة موارد البلاد ، ولم تكن أعماله هذه سوى مقدمـة لعمـل آخر أعظم شأناً هو استعادة الإمبراطورية الآسيوية وإرجاع مكانة مصر إلى ما كانت عليه فى عهد أجداده .. ورأى أن الحيثيين قد ملكوا معظم الشام واستولى ملكهم على قادش مركز النفوذ المصرى فى سوريا ، فعزم على استعادة أملاك مصر ، ودخل فى حروب مع الحيثيين لمدة دامت حوالى ١٥ عاماً.

وكوّن رمسيس الثانى جيشاً قسمه إلى أربع كتائـب ، واتبـع طريقـة تحتمس الثالث ، فبدأ أولاً بإخضاع مدن الشاطئ ليتخـذها قاعـدة للتحركـات الحربية ، وبعد قليل سار على رأس كتيبة ونصب معسكره قرب قادش ، فأرسل

ملكها اثنين من البدو أوهما رمسيس أن الحيثيين تقهقروا شمالاً إلى حلب ، فانخدع رمسيس لعدم عثوره على أثر للعدو ، وتقدم بلا حيطة نحو قادش ، فخرج ملك الحيثيين فجأة وأباد جزءً كبيراً من إحدى الكتائب وفر من نجا إلى خيام رمسيس.

وفى تلك الساعة الرهيبة ركب رمسيس عجلته الحربية وحاول أن يخترق صفوف الأعداء بعد أن فصلوا بينه وبن معسكره ، واندفع بكل ما يملك من بسالة وإقدام ، واستمر يقاوم ثلاث ساعات حتى لحقت به بقية جيوشه فنجا من الخطر ، وانسحب الحيثيون إلى قادش بعد أن تكبد الفريقان خسائر فادحة .

واعتبرت هذه المعركة نصراً لرمسيس الثانى فعلى الرغم مما أحاط به من أخطار ، استطاع بشجاعته الفذة أن يمنع الهزيمة ويجبر الأعداء على الانسحاب ، مما جعل الفنانين يصورون الواقعة على جدران المعابد ، وجعل الشعراء يصفون وقائع الحرب خالعين على رمسيس الروعة والجلال ورموا قائد الحيثيين بالجبن.

وبعد ذلك أخذ الحيثيين يثيرون الآسيويين على الحكم المصرى ، فعاد رمسيس إليهم من جديد وأخضع فلسطين ثم هزم الحيثيين ودانت له بلاد النهرين وشمال سوريا ، وتجددت الحروب مع الحيثيين حتى سئم الجميع القتال ، وكان ملك الحيثيين قد مات وخلفه أخوه ، وعندئذ وقع رمسيس الثانى معاهدة مكتوبة وتعد أقدم معاهدة دولية معروفة فى التاريخ .. وتزوج رمسيس من ابنة ملك الحيثيين وأحضرها أبوها إلى مصر مما وثق أواصر الصداقة بين الأمتين .

ونقل رمسيس مقر ملكه إلى الوجه البحرى ، وبقيت طيبة العاصمة الدينية للبلاد ، وأدى ذلك إلى انتعاش مدن الوجه البحرى ، فأصبحت تنيس مدينة زاهرة ، وشيد بها معبداً من أفخر المعابد ، وشيد رمسيس عدداً عظيماً

من المباني فى جميع أنحاء البلاد ، فقد أضاف الكثير إلى معبد الكرنك وبهو أعمدته بالأقصر ، وأقام مائة مسلة نقل بعضها إلى أوربا ، كما أقام التماثيل الضخمة التى تزن مئات الأطنان ، وقد نقل أحد هذه التماثيل وأقيم فى ميدان رمسيس بالقاهرة ، ثم نقل بعد عدة عقود ليقام أمام متحف الحضارة الجديد ، ومات رمسيس الثانى بعد أن حكم مصر ٦٧ عاماً وكان عمره قد بلغ التسعين.

ومن أعظم أعمال رمسيس الثانى على الإطلاق إنشاء معبدى أبو سنبل، وهما من أعظم المعابد الصخرية فى العالم ويقعان على الضفة الغربية للنيل تجاه بلدة أبو سنبل فى قلب ربوة من الصخر مشرفة على النيل على بعد ٢٨٠ كيلو متراً من جنوبى أسوان.

أما المعبد الأول وهو " المعبد الكبير " فقد نحته رمسيس الثانى فى قلب ربوة من الصخر للإله " حور آختى " ويبلغ ارتفاعه عن سطح الأرض ٢٠ متراً وعرضه ٣٦ متراً ويمتد ضارباً فى الصخور ٦٠ متراً أخرى .. وقد جعله فى هيئة صرح مشرف على النهر تحرسه أربعة تماثيل عظيمة لرمسيس يبلغ ارتفاع كل منها ٢٠ متراً تمثل الفرعون جالساً وعلى رأسه التاج ، وأبرز الحية المقدسة من جبهته متحفزة يكاد السم ينطلق من فمها.

ويحتوى المعبد على قاعة للأعمدة بها ثمانية أعمدة ، أبرز البناء على وجه كل عمود تمثالاً للفرعون فى هيئة الإله أوزيريس ، وعلى جدران هذه القاعة وعلى صفحات الأعمدة مناظر مختلفة أهمها ما يصور معركة قادش فى كافة مراحلها .. وحول هذه القاعة عدة غرف مليئة بالنقوش البديعة ، وتلى هذه القاعة قاعة أخرى أصغر منها بها أربعة أعمدة وعلى جدرانها صور دينية تمثل رمسيس يقدم القرابين للآلهة وخصصت جوانب هذه القاعة لحفظ القرابين .

وتؤدى القاعة السابقة إلى قدس الأقداس – وهى واحدة من أعظم

المنجزات الهندسية فى العالم على الإطلاق - حيث يوجد بهـا أربعـة تماثيل أحدها للإله " رع حور آختى " والثانى " لآمون رع " إله طيبة ، والثالث "لبتاح" إله منف أما الرابع فهو لرمسيس الثانى .. وفى يومين محددين من كـل عـام وهما يومى مولد رمسيس الثانى ٢٢ فبراير ويوم جلوسـه علـى العـرش ٢٢ أكتوبر ، تدخل الشمس فى ساعة محددة لتسقط ضوءها على وجه تمثال رمسيس الثانى طبقاً لحسابات جغرافية وفلكية وشمسية بالغة الدقة.

ومن الجدير بالذكر أنه عندما تم التفكير فى بناء السد العالى تم نقل معبد أبو سنبل من مكانه ، وأسرعت جميع دول العالم من خلال منظمة اليونسكو فى المشاركة فى إنقاذ المعبد من الغرق تحت مياه البحيرة التى يكونها السـد فـى واحدة من أكبر المعجزات الهندسية فى التاريخ البشرى ، وقد تم تقطيـع معبـد أبوسنبل إلى ٩٦٣ قطعة يبلغ أقصى وزن لأى منها ٣٠ طناً ، وتكلفـت هـذه العملية حوالى ٤٠ مليون دولار .. وقد تولت أجهزة الكمبيوتر ترقيم الأجـزاء لضمان تسهيل إعادة تركيبها مرة أخرى فى أعلى الجبل بعيداً عن متناول ميـاه بحيرة السد العالى ، واستغرق هذا العمل الضخم ٤ سنوات تم فيها بناء المعبـد فى قلب جبل صناعى.

كما بنى رمسيس الثانى معبداً آخر إلى الشمال من المعبد الكبير وهـو أصغر منه .. وقد نحته رمسيس للمعبودة " حتحور " وجعل معها زوجته الأولى (نفرتارى) ، والمعبد كله منحوت فى الصخر كالمعبد السابق ، وقـد زينـت واجهته بستة تماثيل أربعة منها للملك واثنان للملكة فى هيئة المعبودة حتحور ، ويؤدى المدخل إلى قاعة فسيحة يرتفع سقفها فوق ستة أعمدة ضخمة جعلت على هيئة رأس المعبودة حتحور ، وتزدان جدران القاعة بمنـاظر يمثـل بعضـها فرعون يضرب أعداءه ، وبعضها يمثل فرعون وزوجته يقدمان القرابين للآلهة، ثم تؤدى هذه القاعة إلى قدس الأقداس حيث يوجد تمثال لحتحور ، وجدران هذه

الغرفة منقوش عليها مناظر دينية تمثل الفرعـون وزوجتـه يقومـان بـبعض الطقوس الدينية أمام حتحور.

ومما يذكر أن الفنان الإيطالى الكبير رفائيل عنـدما زار مصـر ورأى تماثيل نفرتارى فى معبد أبو سنبل قال " إنها أعظم تماثيل لامرأة علـى وجـه الأرض.

أقدم معاهدة مكتوبة فى التاريخ

تعتبر المعاهدة التى أبرمت بين " رمسيس الثانى " فرعون مصر و"خاتوسيليس الثالث" ملك الحيثيين عام ١٢٧٨ قبل الميلاد ، أقدم معاهدة مكتوبة عرفت فى التاريخ بين دولتين على قدم المساواة ، وقد وصلت إلينا كاملة النصوص بفضل النسخة المصرية التى عثر عليها فى تل العمارنة عام ١٨٨٦م، وصورها المنقوشة على جدران معبد الكرنك ومعبد الرمسيوم والنسخة الحيثية التى وجدت فى بوغاز " كوى " فى الأناضول عام ١٩٠٦.

ومما تجدر ملاحظته أنه على غير المألوف فى المعاهدات المعاصرة ، فإن النص المصرى ليس مطابقاً تماماً للنص الحيثى ، حيث أنه ذكر أن الملك الحيثى أرسل رسلاً إلى رمسيس الثانى لطلب الصلح بينما يذكر النص الحيثى العكس ، ويبدو أن الهدف من ذلك أن يحفظ كل من الملكين مكانته أمام شعبه.

ولم يرد فى المعاهدة تعيين للحدود التى تفصل بين أقاليم كل من الدولتين بخلاف المعاهدات الحديثة التى تنص على ذلك نصاً وافياً ، وتحدثت المعاهدة عن مبدأ الدفاع المشترك ضد أى عدوان خارجى يقع على إحدى الدولتين ، وفيها إلزام بتبادل المساعدات إذا قامت اضطرابات داخلية فى إحدى المملكتين ، وتتناول كذلك مسألة تسليم اللاجئين السياسيين لبلادهم ووضع قواعد

خاصة بحسن معاملتهم عقب ترحيلهم إلى وطنهم .. كما ذكرت المعاهدة اسماء من شهدوا توقيعها ولكنهم ليسوا أفراداً كما هو الوضع فى المعاهدات الحديثة وإنما هم آلهة من معبودات الدولتين ، ويبدو أن الهدف من ذلك هو أن يصبح نقض المعاهدة أو الخروج على نصوصها إثماً كبيراً يغضب الآلهة.

الفراعنة يعلمون العالم الرياضة

تؤكد الشواهد والدلائل التاريخية العديدة التى تركها قدماء المصريين على سبقهم فى تقديم عدد من أهم الألعاب الرياضية للعالم ، ذلك أنه لم يكن لهذه الحضارة أن تحرز هذا التقدم المبهر فى مختلف مجالات العلم دون أن تهتم اهتماماً رئيسياً بالإنسان صانع هذه الحضارة.

حيث تؤكد النقوش التى تركها الفراعنة القدماء بين آثارهم أن أصل المبارزة كان مصرياً ، حيث اكتشف فى مقبرة " بتاح حتب " فى سقارة رسومات واضحة المعالم لمبارزة استخدم فيها السلاح.

ويرجع التاريخ أول مباراة فى السلاح إلى عصر رمسيس الثالث ، وفى معبد بمدينة جويا القريبة من الأقصر توجد النقوش التى توضح تاريخ هذه المباراة ، ويرتدى المتنافسان قناعين للوجه ، ويوجد بينهما حكم المباراة ويصطف حولهما جمهور كبير يصفق للفريقين.

وقد نقل قدماء المصريين هذه الرياضة الشيقة إلى مختلف بقاع العالم ، وكانت رياضة السلاح هى الرياضة الأولى التى مثلت مصر فى الدورة الأوليمبية عام ١٩١٢ لتسبق بذلك كل الألعاب الجماعية والفردية .

وتؤكد الدلائل التاريخية بأن الأصل فى كل رياضـــات الســباحة كـــان مصرياً فرعونياً ، ومدينة الأقصر خير شاهد على ذلك من خلال آثارها التـــى تضم البحيرة المقدسة التى تعتبر اقدم حمام سباحة فى العالم ، وكانـــت مياههـــا تستمد من المياه الجوفية ، وكان الفراعنة يمارسون السباحة فى هـــذه البحيـــرة وبخاصة فى مناسباتهم واحتفالاتهم بالأعياد ، ويؤكد عمق البحيرة الذى يزيد عن طول الإنسان العادى أنهم أجادوا السباحة فى ذلك الوقت.

وفى منطقة العرابة بسوهاج توجد رسومات على معبد رمسيس يمارس فيها الفراعنة هذه الرياضة وكذلك فى منطقة بنى حسن بالمنيـــا ، وفـــى عهـــد الأسرة الحادية عشرة كانت السباحة ضمن الرياضات التى نقشت على جـــدران القبور والمعابد .. وقد نقل الأوربيون بعضاً من آثار المصريين إلى متـــاحفهم بالخارج والتى تؤكد ممارسة الفراعنة للسباحة وعلى رأسها النقوش الموجـــودة بمتحف بوشكين بموسكو من عهد الأسرة الثامنة عشرة.

كما تؤكد جميع المؤشرات أن مصر كانت مهد رياضة المصارعة شأن العديد من الرياضات الفردية الأخرى ، ففى منطقة بنى حســـن توجـــد نقـــوش الفراعنة وهم يؤدون مسابقات المصارعة ويرجع تاريخها إلى الأسرة الحاديـــة عشرة ، كما وجدت بعض اللوحات والتى ترجع إلى الأسرة العشرين وتوجد بها رياضة المصارعة ، كما تؤكد بعض الآثار المصرية الموجودة الآن فى متاحف أوربا أن ميلاد المصارعة كان مصرياً خالصاً ومنها الرسوم الموجـــودة فـــى متحف جامعة مانشستر بإنجلترا.

ويعد الهوكى من الرياضات التى عرفها الإنســـان منـــذ قـــديم الأزل ، وأصل فكرتها ضرب الكرة بواسطة عصا يمسكها اللاعب بيده وأخذت تتطـــور مع الزمن إلى أن أخذت شكلها الحالى .

وقد أثبتت الاكتشافات الأثرية بمصر من خلال الرسوم الفرعونية التى عثر عليها بمقابر قدماء المصريين أن الفراعنة هم أول من مارس اللعبة ، ففى مقبرة (خيتى) ببنى حسن بالقرب من المنيا (١٩٩١ قبل الميلاد) وجدت رسوم عبارة عن لاعبين كل منهما يمسك بعصا ويواجهان بعضهما ويؤديان ما يشبه ضربة البداية فى لعبة الهوكى ، وفى ١٩٤٢/١٢/٧ أسس الاتحاد المصرى للهوكى ، وهو أول اتحاد عربى وأفريقى للهوكى.

وطبقاً للأدلة المتوافرة لدى الباحثين ثبت أن المصريين القدماء كانوا أول من مارس ألعاب القوى كرياضة لها أسس وأصول ، ففى منطقة سقارة بالجيزة توجد مقبرة (بتاح حتب) ويوجد على جدرانها ثلاث لوحات تمثل بعض مسابقات ألعاب القوى كالجرى والوثب والرمى.

وكان قدماء المصريين أول من مارس رفع الأثقال كرياضة فى العالم ، فالنقوش المرسومة على مقابر بنى حسن بها صور لأكياس من الرمال كان المصريون يتبارون على رفعها بيد واحدة ثم إلقائها خلف رؤوسهم وترجع هذه النقوش إلى حوالى عشرين قرناً قبل الميلاد.

وكانت مصر هى أول دولة أفريقية تمارس اللعبة كرياضة وتنافس بها أوربا وأمريكا ، ففى نهاية القرن التاسع عشر وحين كان رفع الأثقال فى عصره البدائى فى أوربا كانت هذه الرياضة متألقة فى مصر ونقلتها عنها الجاليات التى كانت بها فى ذلك الوقت.

أشهر أوبرا فى العالم .. مصرية

هناك أكثر من ٣٠ أوبرا عالمية كتبت بقصص مصرية .. ولكن أشهرها جميعاً أوبرا عايدة .. فقد كلف الخديو إسماعيل الأثرى الفرنسى أوجست مارييت لكى يختار قصة مصرية تصلح موضوعاً لافتتاح أول دار أوبرا فى أفريقيا وهى دار الأوبرا المصرية التى بنيت بمناسبة افتتاح قناة السويس.

وعثر مارييت فوق أوراق البردى فى مدينة منف على قصة الحرب بين مصر والحبشة ومن هنا ولدت قصة أوبرا عايدة .. وتقاضى الموسيقار فيردى (أشهر موسيقى فى عصره) ١٥٠ ألف فرنك ذهباً مقابل وضع الموسيقى مع حق استغلال الأوبرا فى جميع أنحاء العالم ، وكتب أشعار الأوبرا الشاعر الإيطالى " انطونيو جيزا لانزونى " وهو من أشهر شعراء القرن التاسع عشر ، وصممت ملابس الأوبرا فى باريس.

وعندما أقترب موعد افتتاح قناة السويس تعلل فيردى بأن المناظر لم تنته بعد ، وبناء على ذلك اختيرت أوبرا ريجوليتو لفيردى أيضاً ، ووعد فيردى بأن يكون الافتتاح العالمى لعايدة فى القاهرة .. وبذلك تكون أوبرا ريجوليتو هى أول أوبرا عرضت فى مصر عند افتتاح دار الأوبرا المصرية فى أول نوفمبر

١٨٦٩ ، ومن المعروف أن فيردى قدم هذه الأوبرا لأول مرة فى أوبرا البندقية عام ١٨٥١.

وفى ٢٤ ديسمبر ١٨٧١ م قدم فى دار الأوبرا المصرية العرض الأول لأوبرا عايدة التى تمثل الأوبرا الإيطالية فى أوج مجدها ، وقد فاقت فى غنائيتها وسلاستها أية أوبرا أخرى ، وقد تحدى فيردى بهذه الأوبرا جميع التقاليد الموسيقية بما أسبغه عليها من تسلسل الأحداث والحبكة الدرامية ، وقد صورت موسيقاه العواطف الإنسانية المتباينة فى مواقف متناقضة تصويراً واضحاً على نحو نادر.

وتدور أحداث أوبرا عايدة بالتحديد فى منف وطيبة ، وتجرى وقائعها فى عصر الحروب الكبرى بين قدماء المصريين والأحباش وتدور حول عايدة ابنة ملك الحبشة التى أسرها المصريون فى إحدى المعارك لتصبح جارية "امنريس" ابنة ملك مصر دون أن يعرفوا حقيقتها ، ويقع فى غرامها " رادميس " قائد القوات المصرية ويعيشا معاً قصة حب ، وذلك فى الوقت الذى كانت تعشقه فيه (أمنريس) ، وتظل الأمور على ما هى عليه حتى يكلف الملك (رادميس) لقيادة الجيوش المصرية لصد غزو الأحباش ، ويتمكن رادميس من هزيمة جيوش الحبشة وأسر ملكهم (أومانصرو) والد عايدة ، وهنا يكافئ الملك رادميس قائد الجيوش المصرية بإعلان زواجه من ابنته (أمنريس) .

وبينما يعلن للجميع فى مواكب احتفالات النصر هذا الزواج تفاجأ عايدة بأن والدها الملك بين الأسرى متنكراً حتى لا يعرفه أحد من المصريين ، ويطلب منها عدم الإفصاح عن شخصيته لكى ينتهى من تنفيذ خطته التى وضعها للهروب والنصر على المصريين خاصة بعد علمه بقصة الحب القوية بينها وبين رادميس ويطلب منها أن تعرف خطته الحربية مع الأحباش عن طريق إغرائه بحبها .. وهو ما حدث.

ويخبر رادميس عايدة بالاستعداد لحرب الأحباش مرة أخرى ، وأنه سيخبر الملك بعد الحرب برغبته فى الزواج منها ، وينتهز والدها الفرصة ويطلب منها أن تعرف منه طريق الجيوش المصرية إلى الحبشة حتى يفاجأهم الأحباش ، ويتم نقل المعلومات إلى جيش الحبشة الذى يتمكن بفضل ما حصل عليه من معلومات من تحقيق النصر.

ثم تتضح الحقيقة ، وتتم محاكمة رادميس بتهمة الخيانة ، ويصدر الحكم عليه بالموت حياً فى القبر وتختفى عايدة ويتوقع الجميع أنها هربت وعند تنفيذ الحكم فى الصندوق الحجرى الضخم يفاجأ رادميس بأن عايدة داخل الصندوق ، وتصر على أن تموت معه لتكفر عن خطيئتها بعد شعورها بمدى الجرم الذى ارتكبته فى حق من أحبها.

وقد عرضت أوبرا عايدة فى جميع دور الأوبرا العالمية .. ولكن فى ١٩٨٧/٥/٢ شهد العالم أضخم عرض لأشهر أوبرا فى العالم (عايدة) أمام معبد الأقصر الذى بناه أمنحتب الثالث منذ ٣٥٠٠ ق.م فى أضخم عرض أوبرالى شارك فيه أكثر من ألف فنان وفنانة فى مسرح أعد خصيصاً لذلك أمام ساحة المعبد .. فى نفس المكان الذى دارت فيه أحداث الأوبرا.

ولعلها المرة الأولى على مستوى العالم أن يتحرك أبطال العمل الفنى على مساحة تقترب من ٥٠٠ متر تمثل ٦ مستويات أو ٦ خشبات مسرح تلتف حول المشاهدين من اليمين واليسار والأمام وتعلو أيضاً فوق جدار المعبد فى إبهار حركى بالغ التأثير .. ثم عرضت فى ١٩٨٧/٩/٢١ على المسرح المكشوف أمام أبو الهول بالجيزة.

والجدير بالذكر أن أول مدير مصرى لدار الأوبرا المصرية هو منصور غانم ومن بعده الفنان سليمان نجيب ، وقبلها كانت إدارتها وقفاً على الأجانب من

أمثال "درانت" الذى أدارها فى عهد الخديو إسماعيل .. وبعده " بسكوالى " من نوفمبر ١٨٨٦ إلى نوفمبر ١٩١٠ و " جارد فورنابو " من يونيو ١٩١١ إلى ١٩٣١.

وكان أول من لحن المسرحيات الغنائية من الموسيقيين العرب هو سيد درويش عندما لحن رواية " فيروز شاه " لفرقة جورج أبيض و" العشرة الطيبة " لفرقة نجيب الريحانى ثم " شهر زاد " ثم " البروكة ".

وفى ٢٨ أكتوبر ١٩٧١ كانت مأساة الأوبرا المصرية حين استيقظت مصر على رائحة احتراقها ، وكانت فجيعة مصر فيها ليس فى التكاليف المادية فقط ، لكن فى القيمة التاريخية والأثرية التى لا يمكن أن تعوض .. وبذلك أسدل الستار على أول دار للأوبرا فى أفريقيا.

وفى ١٩٨٨/١١/١٠ افتتحت دار الأوبرا الجديدة بالجزيرة بالقاهرة.

جزيرة الأساطير

جزيرة فيلة أو " لؤلؤة النيل " كما أطلق عليها المؤرخون لجمال موقعها وعظمة آثارها وتقع وسط النيل عند مدينة أسوان وعلى مساحة ٨ أفدنة.

وجزيرة فيلة الحالية ليست فى الواقع الجزيرة التى كانت عليها معابد فيلة .. ولكن فيلة الحالية هى جزيرة " إيجيلكا " سابقاً والتى كانت مجاورة لجزيرة فيلة القديمة التى غرقت فى مياه النيل بعد بناء السد العالى ، مما أضطر مصر بالتعاون مع هيئة اليونسكو الدولية إلى نقل معابد فيلة إلى جزيرة إيجيلكا فى إطار الحملة الدولية لإنقاذ آثار النوبة والتى انتهت فى ١٠ مارس ١٩٨٠ بافتتاح جزيرة فيلة الجديدة بعد نقل المعابد إليها .

وفيلة هو الاسم الذى حوره البطالمة للاسم المصرى القديم " بيلاك " الذى كان يطلق على الجزيرة منذ الفراعنة وكان معناه " النهاية " أو " نهاية المطاف " ، حيث كانت نهاية رحلة وصراع مياه النيل ودورانها عند هذه الجزيرة وبين صخورها الجرانيتية عقب كل فيضان.

وأقدم المعابد الأثرية على الجزيرة يرجع إلى الأسرة (٢٦) أى أوائل القرن السادس قبل الميلاد ، والجزيرة تحتوى على عدد من المعابد فى عصور

مختلفة ، ويبلغ عدد الأعمدة الأثرية الضخمة بها مائة عمود بالإضافة إلى ١٧٠ مقصورة و ٤٣ ألف كتلة حجرية أثرية .

وكانت فيلة ضمن مدينة أسوان تشكل آخر مدن مصر فى الجنوب كما كانت مركزاً لتجارة العاج الذى يأتيها من السودان ، وقام حكامها فى الأسرتين الخامسة والسادسة بارتياد طرق الجنوب ، وكانوا أول رحالة فى التاريخ خرجوا لاكتشاف مجاهل أفريقيا.

ومن أهم الأساطير التى ارتبطت بالجزيرة أسطورة الأميرة المصرية وردة والشاب أنس الوجود ، وتحكى قصة الأميرة وردة التى أحبت أنس الوجود وكانت تعلم أن هذا الحب لن ينتهى بالزواج ، فلم يحدث من قبل أن تزوجت إحدى أميرات القصر من عامة الشعب ، وأرادت الأميرة أن تحطم الحواجز بينها وبين أنس الوجود ، لكن والدها علم بهذا الحب فأخذها وأخفاها فى قصر كبير بجزيرة فيلة ، وأحاط القصر بالتماسيح ليمنع الاقتراب منه .. لكن الفتى العاشق لم يتوقف عن محاولة الوصول إلى حبيبته فكانت قصائده تصل إليها عبر الأسوار .

وتقول الأسطورة الشعبية أن تمساحاً مفترساً رق قلبه للفتى أنس الوجود، وعرض عليه أن يحمله إلى الشاطئ الذى يستقر عليه قصر الأميرة ، وبالفعل ينقله ، ولكن فرصة اللقاء لم تكتمل إذ علم والدها فأسرع ليطرد أنس الوجود رغم بكاء الأميرة ورغم كل توسلات العاشقين.

والأسطورة الثانية التى ارتبطت بجزيرة فيلة منذ العصر الفرعونى هى أسطورة الإلهة " إيزيس " ربة السحر والوفاء والخير .. وتقول الأسطورة أن إيزيس أرملة " أوزوريس " راحت تبنى له زورقاً لتبحث به عن أجزاء جسد زوجها رب الخير والخصب الذى عصفت الغيرة بقلب أخيه الحاسد الشرير

(ست) ، فقطع أخاه أرباً وألقاها متناثرة فى كل مكان .. وقامت إيزيس ربـــة السحر مبحرة فى مياه النيل لتجمع ما استطاعت من جسد زوجها حتى عثــرت على ساقه اليسرى عند جزيرة " بيجة " التى تلتصق بجزيرة فيلـــة .. وهنـــاك جمعت أجزاء الجسد ليبعث من جديد وحملت منه وحيدها " حـــورس " .. لكـــن أوزوريس يتركها بعد أن يئس من شرور الأرض ويصعد إلى عـــالم الخلـــود ، وعلى جزيرة فيلة تبكى إيزيس زوجها بكاءً مريراً فيفيض النيل من كثرة دموع الوفاء على زوجها .

عندما أغرق أهل الواحات
جيش قمبيز فى الصحراء

قضت مصر أثناء حكم الملك أحمس الثانى عهداً مزدهراً فى كل نواحى الحياة ، وأنشأ أسطولاً قوياً أخضع به جزيرة قبرص وأرغمها على دفع الجزية لمصر وفى العام الأخير من حياته أخذت تتجمع السحب لتنذر بوقوع غزو فارسى لمصر ، ومات أحمس الثانى فى نفس العام الذى قرر فيه ملك الفرس قمبيز احتلال مصر .

وخلف أحمس ابنه بسماتيك الثالث ، وجاء قمبيز وهاجم مدينة " بلوز " – الفرما – بحراً وزحفت جيوشه على مصر براً ، وبعد مقاومة عنيفة سقطت الدلتا فى يد الفرس ، ولجأ بسماتيك الثالث إلى منف ، ولكن قمبيز حاصرها وفتحها وأسر بسماتيك الثالث وقتله .

ونكل الفرس بالمصريين ، ودخل قمبيز مقبرة الفرعون أحمس الثانى ، وأمر بإحضار جسده المحنط من داخل القبر ، وقام بجلده ووخزه ثم أمر بحرقه رغم أن حرق الميت محرم فى كلا الديانتين الفارسية والمصرية .. وعندما دخل قمبيز منف ورأى المصريين يحتفلون بعيد الإله " أبيس " – العجل المقدس – أمر بقتل من هم على رأس الاحتفال ثم طعن العجل المقدس حتى مات متأثراً بجراحه ، وأمر بتعذيب الكهنة ، وقام بتخريب مدينة عين شمس وحرقها من كل ناحية ، كما فعل ذلك بالمسلات .. وعم السخط مصر .

وتنبأ كهنة آمون بأن حكم الفرس لمصر لن يطول وأن حياة قائدهم قمبيز سوف تنتهى بكارثة ، واستشاط قمبيز غضباً عندما بلغته هذه النبوءة فقرر الانتقام من هؤلاء الكهنة بقتلهم جميعاً ، وحرق وتدمير معبدهم.

وسار قمبيز من طيبة على رأس جيش من خمسين ألف مقاتل ، وفى قول آخر تسعين ألف مقاتل ثم أقام فى الواحة الخارجة ، أما جيشه فقد عسكر فى السهل المنبسط بين الخارجة و " واحة بيريز " وهى ما يطلق عليها الآن (باريس) خطأ ، إذ أن اسمها مأخوذ عن اسم قائد الفرس بيريز الذى أقام فى هذه الواحة وسماها باسمه ، ثم ما لبثت الأوامر أن صدرت إلى بيريز بالتحرك إلى سيوه لإحراق معبد الإله آمون ، والانتقام من الكهنة على نبؤتهم ، واتخذ الفرس من أهل الخارجة أدلاء من قصاصى الأثر ليسيروا فى طليعة جيشهم.

وضلل أدلاء الخارجة الفرس وقادوا الجيش كله إلى بحر من الرمال ، وهبت عاصفة طاغية على الجيش وهو يأخذ راحته ، واستمرت العاصفة عدة أيام كان الجيش فى خلالها يدور حول نفسه داخل العاصفة حتى نفذت منه الأقوات وابتلعت معظمه الرمال ، ولم تهدأ العاصفة حتى كان الجيش كله فى بطن بحر من الرمال بين الخارجة وسيوه .

مصر تقدم للعالم فن الكاريكاتير

كان قدماء المصريين هم أول من استخدم المبالغة فى رسم التقاطيع لتأكيد الشخصية المرسومة وسجلوا ذلك على أوراق البردى ، ويلاحظ أنها لم تكن تعتمد على تصوير الأفراد والشخصيات ، وإنما كانت عبارة عن سخرية ضاحكة من الضعف البشرى وغير موجهة إلى أشخاص بالذات.

وقد وجدت صورة فكاهية من رسم قدماء المصريين على ورق البردى، وهى تمثل أسداً وغزالاً يلعبان الشطرنج ، وثعلباً يعزف على الناى وهو يرعى الماعز ، بينما القطة تقود الأوز !!.

ومضى زمان طويل حتى جاء الإيطاليون فجعلوا من الكاريكاتير لوناً من ألوان التسلية الشعبية الخفيفة وانتقل إلى مختلف دول العالم .

وكان أول من حاول إدخال الكاريكاتير فى الصحافة المصرية هو "يعقوب صنوع" فقد كان يصدر ويحرر مجلة نقدية هزلية تسمى " أبو نظارة " ، وأصدرها بالقاهرة عام ١٨٧٧ وهى أول صحيفة كاريكاتيرية سياسية فى الوطن العربى ، وكان ينتقد فيها بشدة حكومة الخديو إسماعيل ، غير أن الحكومة ضاقت به ذرعاً فنفته إلى الخارج حيث استقر بباريس وأخذ ينشر صحيفته تحت أسماء مستعارة مثل " أبو زمارة " ويرسل منها نسخاً إلى بعض الشخصيات

المعروفة فى مصر ، وقد حرمت الحكومة تداول هذه الصحيفة وصادرتها.

ثم بعث فن الكاريكاتير على يد الصحفى المصرى أحمد حافظ عفيفى فى مجلته التى أصدرها قبل الحرب العالمية الأولى " مجلة خيال الظـــل " وكانـــت الصفحات الملونة منها تطبع فى إيطاليا.

ومن أروع الرسوم الكاريكاتيرية رسوم الفنان الأسبانى " جوان سانتيز " الذى رسم فى صحيفة الكشكول ، وقد عاونه على النجاح اختلاطـــه بالأوســـاط المصرية والأجنبية فى مصر وسرعة خاطره وقوة خيالـــه .. وحـــوالى عـــام ١٩٢٥ جاء إلى مصر فنان كاريكاتيرى أرمنى يدعى " صاروخان " قدم رسومه الأولى فى مجلة " الجديد " التى كان يصدرها محمد المرصفى وأثبت اســتعداده لتفهم الحياة المصرية ، ثم ظهر فنان تركى الأصل يسمى على رفقى فقدم لونـــاً من هذا الفن يمزج بين الزخرفة والتعبير .. وقد استطاع سانتيز وصـــاروخان وعلى رفقى أن ينشئوا مدارس للكاريكاتير المصرى تخرج فيها عدد كبير مـــن الرسامين الكاريكاتيرين المعروفين ، وبرز مـــنهم عـــدد كبيـــر مـــنهم رخـــا وعبدالسميع وزهدى وجاهين وغيرهم.

مكتبة الإسكندرية
تغير علاقة الأرض بالشمس

كانت مكتبة الإسكندرية أول مكتبة عالمية فى التاريخ .. وعلى الرغم من إنشاء مكتبات عديدة بعد ذلك فى مختلف أنحاء العالم إلا أن شهرة مكتبة الإسكندرية ظلت حتى يومنا هذا .. ومن المسلم به أنها كانت أعظم مكتبة فى التاريخ القديم على الإطلاق.

ولعل السبب وراء شهرة مكتبة الإسكندرية والاهتمام المستمر من جانب الباحثين بتاريخها هو أنها لم تكن مجرد مكتبة ، ولكنها كانت معلماً من معالم حضارة بأسرها ، كما كانت الأساس الذى ارتكزت عليه مؤسسة للبحث العلمى فى التاريخ القديم وهو المجمع العلمى بالإسكندرية والذى عرف باسم "الموسيون" .. وحول هذا المجمع ازدهرت جامعة الإسكندرية القديمة طوال سبعة قرون احتلت الإسكندرية خلالها مكان الصدارة وحملت مشعل العلم فى العالم المتحضر آنذاك .

ويرجع تاريخ تأسيس مكتبة الإسكندرية إلى بداية القرن الثالث قبل الميلاد عندما كلف بطليموس الأول – الشهير باسم بطليموس سوتر أى المنقذ – الذى تولى حكم مصر بعد الاسكندر الأكبر أحد مستشاريه " ديمتريوس الفاليرى" (السياسى وتلميذ أرسطو) بتأسيس مجمع للبحث العلمى " الموسيون " (أى معبد ربات الفنون والعلوم) ومكتبة كبرى تضم كتب العالم آنذاك ، وأنفق المال

لاجتذاب العلماء واقتناء الكتب من جميع الشعوب بالإضافة إلى اقتناء المخطوطات الأصلية للكتب.

وقد حققت جهود البطالمة أهدافها وبلغ عدد الكتب التى أمكن جمعها ما يزيد على نصف مليون كتاب ، ثم ارتفع الرقم إلى ٧٠٠,٠٠٠ كتاب .. ونظراً إلى أنه لم يكن من اليسير وضع هذا العدد الهائل من الكتب فى مكان واحد ، فقد قسم إلى مكتبتين رئيسيتين هما المكتبة الأم التى كانت ملحقة بالمجمع العلمى ، ومكتبة أخرى كانت جزءً من معبد السرابيوم ، وهكذا أصبحت مكتبة الإسكندرية بقسميها أكبر مكتبة فى العالم القديم.

وتجدر الإشارة إلى أن الكتب التى اشتملت عليها المكتبة لم تكن تشبه كتب العصر الحالى بل كانت على هيئة ملفات أسطوانية عبارة عن شرائح طويلة من ورق البردى ملفوفة على أعواد الغاب ، وكانت كلها مخطوطة باليد لأن الطباعة لم تكن قد اخترعت بعد.

وقد ارتبطت مكتبة الإسكندرية بأسماء أشهر العلماء ، فمنذ البداية كان هناك " اقليدس " الذى علم فيها مختلف فروع الهندسة ، وفيها دون كتابه الشهير : " المبادئ " وكان معاصراً للفلكى الكبير " اريستاخوس " الذى كان أول من حسب المسافات بين الشمس والقمر ، وأول من قال بدوران الأرض حول محورها وحول الشمس قبل أن يكتشفه كوبرنيكس .. وفيها أيضاً استطاع "اراتوستينيس" أن يقيس محيط الكرة الأرضية دون أن يخطئ فى أكثر من خمسين ميلاً .. وتجدد علم الطب بالإسكندرية – منذ عهد بطليموس الأول – على يد كل من " هيروفيلوس " و" اراسستراتوس " فأسس الأول دراسات فى التشريح العلمى أما الثانى فقد أعتمد على الفسيولوجيا بوجه خاص ، وكانت أهم اكتشافاته متصلة بالدورة الدموية فهو الذى اعتبر القلب عامل حركة الدورة الدموية كلها ، وقام بدراسات للجهاز التنفسى والجهاز الهضمى .

وفى مكتبة الإسكندرية وضعت أسس علوم التصنيف ويرجع الفضل لأحد مديريها وهو " كاليماخ " الذى وضع كتابه المعروف " بيناكس " وفيه تم تدوين أسماء المؤلفين وعناوين المؤلفات الموجودة بالمكتبة ، ويعد هذا الكتاب أقدم عمل ببليوغرافى فى العالم.

وفى مكتبة الإسكندرية درس " ارشميدس " الذى اشتهر بأبحاثه عن الدوائر والكرات والأجسام الاسطوانية والميكانيكا ، وعاش بها أيضاً بطليموس الإسكندرى مؤسس علم الخرائط ، وهو العالم الذى تحكم فى الفكر الفلكى والجغرافى أكثر من ألف عام.

لقد بقيت مكتبة الإسكندرية أكثر من قرنين من الزمن مركزاً للحياة الثقافية للعالم ، ثم تعرضت للحريق والتدمير عام ٤٨ ق.م ، وكان المسئول الأول عن هذه الكارثة هو يوليوس قيصر الذى وصل للإسكندرية لمساندة كليوباترا ، ونشبت معركة بحرية ، وأمر يوليوس قيصر بإحراق السفن فى الميناء إلا أن النار امتدت بسرعة واشتعل حريق هائل أتلف دار صناعة السفن وما جاورها من المبانى ومنها مكتبة الإسكندرية.

وفى عام ١٩٩٠ بدأ مشروع جديد لإحياء المكتبة القديمة .. وقد تم إنجاز هذا المشروع الكبير بافتتاح مكتبة الإسكندرية عام ٢٠٠٢ لتكون منارة للثقافة ، ونافذة لمصر على العالم ، ونافذة للعالم على مصر.

منارة الإسكندرية
أول منارة فى العالم

تعد منارة الإسكندرية أو " منارة فاروس " أشهر منارة بحرية فى تاريخ العالم وإحدى عجائب الدنيا السبع .. وقد أطلق اسمها على كل منارات العالم ، وعنها أخذت التسمية الفرنسية " فار " والتسمية الإيطالية " فارو " واشتقت منها كلمتا " فنار " و " منار " .. وقد أقامها بطليموس الثانى عام ٢٧٩ ق.م بالطرف الشرقى من جزيرة فاروس .

وكان فى خطة البطالمة أن يجعلوا من الإسكندرية أهم وأوسع ميناء بحرى تجارى وحربى فى حوض البحر الأبيض المتوسط ، ولذلك تم تكليف المهندس " سوستراتوس " لبناء هذه المنارة التى لم يشهد العالم مثلها من قبل لتكون أوضح دليل للعالم على المجد البحرى الذى تمثله مصر .

وأقيمت المنارة على صخرة فى البحر ، وبنيت من صخور متينة منحوتة صب بينها الرصاص حتى لا يتسرب إليها ماء البحر ، وكانت مكونة من عدة طوابق تكون بناءاً ضخماً على شكل برج يرتفع نحو ١٢٤ متراً ، وكان الطابق الأول منها مربع الشكل ويرتفع نحو ٦٠ متراً ويتضمن ٤٠٠ حجرة ، وقد أثار عدد الحجرات الكثيرين حتى أن المقريزى قال " يقال أن كل من دخل المنارة اختبل وضل الطريق مما بها من الغرف العدة والطبقات ".

أما الطابق الثانى فكان ثمانى الأضلاع ويرتفع بدوره نحو ٣٠ متـراً ، أما الطابق الأعلى فكان أسطوانى الشكل ويرتفع نحو ١٥ متراً ومقامـاً علـى أعمدة ضخمة من الجرانيت تحمل مجموعة من المرايا المحدبـة التـى كانـت تعكس اللهب نوراً لهداية السفن فى أعالى البحر على بعد ثلاثين ميلاً ، وفـوق القبة أقيم تمثال هائل من البرونز لإله البحر " بوسيدون " يرتفـع نحـو سـبعة أمتار.

ولسوء الحظ تكالبت الزلازل والظـواهر الطبيعيـة القاسـية وأعمـال التخريب على هذا البناء الشامخ حيث انهار فى أعقاب زلزال فى القرن الرابـع عشر الميلادى ولم يبق منه سوى الأساس الحجرى الذى أقيمت عليـه " قلعـة قايتباى " فى منتصف القرن الخامس عشر الميلادى.

حصن بابليون
والعائلة المقدسة

كان فى الأصل قلعة أقامها الملك بختنصر (بمصر القديمة الآن) عندما غزا مصر ، ولما جاء الإمبراطور الرومانى " تراجان " أقـام الحصـن علـى أساس القلعة ، وذلك فى العام المتمم للمائة من الميلاد ، وكان الحصـن مقـراً لأقوى وحدات الجيش الرومانى بمصر ، وأهم وأضـخم آثـار الإمبراطوريـة الرومانية بها .. ويقال أن الناظر من فوق الحصن كان لا يقف شئ دون بصره حتى يبلغ مدينة عين شمس .

وقد أضيفت إليه مبان أخرى فى القرن الرابع الميلادى ، ومـا زالـت بعض المبانى والأبراج الأصلية قائمة حتى الآن وهى أبراج أسطوانية الشـكل دائرية مفرغة.

وكان سمك أسوار الحصن ثمانية عشر قدماً ، وكان محيط الأسوار على شكل مربع غير منتظم وبداخله مقياس النيل ، حيث كانت مياه النيل فـى ذلـك الوقت تجرى تحت أسوار الحصن حيث كانت ترسو السـفن ، وكـان ارتفـاع الأسوار يبلغ ستين قدماً .. وكانت تزيد من قوة الحصن وخطره الحربى جزيرة الروضة التى كانت ذات حصون لأنها تقع وسط النهـر .. وكانـت المنطقـة الموجودة حول الحصن مزارع فسيحة.

ويوجد داخل أسوار هذا الحصن ست كنائس من أهم وأقدم الكنائس القبطية والأثرية فى العالم .. وأهم تلك الكنائس كنيسة أبى سرجة التى تقع وسط الحصن تقريباً ، وقد شيدت هذه الكنيسة فوق المغارة التى لجأت إليها العائلة المقدسة عندما هربت إلى مصر من مؤامرات اليهود والرومان الوثنيين.

ويوجد داخل حصن بابليون الكنيسة المعلقة ، وسميت بهذا الاسم لأنها شيدت فوق أبراج حصن بابليون على ارتفاع ١٣ متراً فوق سطح الأرض الأصلية لهذا الحصن ، وقد بنيت فى أواخر القرن الرابع الميلادى وهى أقدم كنيسة بنيت فى حصن بابليون ، وتعد أول كاتدرائية فى القاهرة .. وظلت مقراً للبابوية لمدة ٣٠٠ عام .. وأطلق عليها من قبل الكنيسة ذات السبعة مذابح والسبعة أحجبة ، وهى الكنيسة الوحيدة فى العالم التى يوجد بها هذا النظام.

وتوجد داخل الحصن كنيسة مارى جرجس .. والمتحف القبطى الذى جمع أندر تحف الفن القبطى ووثائق تاريخ المسيحية فى مصر ، وتم تأسيسه عام ١٩١٠ بعد نقل ما عثر عليه من الآثار القبطية من الكنائس والأديرة بمختلف أنحاء مصر ، وقد بنت الحكومة جناحاً جديداً للمتحف عام ١٩٣٧.

وقد اشتهر حصن بابليون فى تاريخ فتح العرب لمصر ، فقد حاصره العرب عام ٦٤١ م بقيادة عمرو بن العاص بعد أن وافاه مدد خاص بقيادة الزبير بن العوام ، حتى قبل القائد الرومانى (المقوقس) الصلح إلا أن الإمبراطور (هرقل) رفض الموافقة عليه وحاول القائد تيودور فض الحصار من الخارج ولكن استحال زحزحة العرب حتى تم تسليم الحصن فى ٦ إبريل ٦٤١م .. وواصل العرب زحفهم إلى الإسكندرية والصعيد ، وما زال يوجد بالحصن الباب الحديدى الذى يقال أن المقوقس حاكم مصر الرومانى خرج منه سراً لمفاوضة عمرو بن العاص .

وقصر الشمع هو الاسم الذى أطلقه العرب على حصن بابليون أو (باب اليوم) لما روى من أن الشموع كانت توقد على بابه فى رأس كل شهر إعلاماً للناس بأن الشمس قد انتقلت من برج إلى برج.

مصريات

عصور التاريخ المصرى :

خمسة عصور متميزة هى العصر الفرعونى ويبدأ من عام ٣٢٠٠ ق.م ويشمل حكم ثلاثين أسرة مالكة ، والعصر اليونانى الرومانى ويبـدأ مـن ٣٣٢ ق.م والعصر الإسلامى الذى يبدأ بفتح العرب لمصر وانتشار الإسلام فيها مـن عام ٦٤١م ويشمل حكم عدة دول هى دولـة الخلفـاء الراشـدين ، الأمويـة ، العباسية ، الطولونية ، العباسية الثانية ، الإخشيدية ، الفاطمية ، الأيوبية ، ودولة المماليك وتبدأ من عام ١٢٥٠ م وتنقسم إلى دولة المماليك الأتراك والمماليـك الجراكسة ، والعصر العثمانى من عام ١٥١٧ م ، ثم العصر الحديث من تاريخ الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨ م حتى الآن.

قدماء المصريين يحرمون لحم الخنزير :

اعتبر قدماء المصريين الخنزير نجساً ، وحرموا أكل لحمـه تحريمـاً قاطعاً ، ويقول فى ذلك هيرودوت " والمصريون يعتبرون الخنزيـر نجسـاً ، ولذلك إذا مس مصرى خنزيراً أثناء مروره به ، ذهب فى الحال وألقى بنفسـه

فى النهر دون أن يخلع ملابسه ، كما أن رعاة الخنازير – ولو أنهم مصريون بمولدهم – كانوا لا يدخلون دون سائر المصريين أى معبد من جميع معابد مصر ، ولا يرضى مخلوق أن يزوج أحد هؤلاء الرعاة من ابنته " .

أول مشروع لاستصلاح الأراضى فى العالم :

كان فى مصر منذ حوالى ٥٠٠٠ عام عندما قرر الملك مينا مؤسس أول أسرة حاكمة فى مصر الفرعونية أن يبنى سداً من الحجارة على النيل ليتمكن من بناء مدينة منف فى منطقة السهل ، بحيث يشكل النيل حدود هذه المدينة أو خط الدفاع عنها.

وقد قسمت المناطق الزراعية بالقرب من النيل إلى أحواض مسطحة تتصل بينها جسور من الطين والحجارة ، وكان ارتفاع هذه الجسور يصل إلى بضعة أقدام ، وتقوم القنوات والأهوسة بتحويل ماء النيل ليروى الأرض ، ويترسب الطمى عليها فتزداد خصوبة تلك الأراضى.

أقدم وثيقة فى تاريخ العالم :

حجر " بالرمو " وهو أقدم الوثائق التاريخية التى سجلت أسماء ملوك الفراعنة من الأسرة الثانية إلى الأسرة الخامسة ، وتاريخ حكم كل ملك وما أنشئ فى أيامه من عمران .

وقد سمى الحجر باسم حجر " بالرمو " إذ يضم متحف بالرمو بصقلية أكبر أجزائه ، وتوزعت أجزاؤه الأخرى فى متاحف مختلفة منها لندن والقاهرة، وإن كان فى المتحف المصرى أكثر أجزائه.

أقدم وثيقة طلاق فى العالم :

وجدها البروفيسور فيشر بين لفائف برديات طيبة ، ويرجع تاريخها إلى عصر بناة الأهرام ، وتقول الوثيقة :

" لقد هجرتك ولم تعد لى حقوق عليك كزوج ، أبحثى عن زوج غيرى ، لا أستطيع الوقوف إلى جانبك فى أى منزل تذهبين إليه ، ولا حق لى عليك من اليوم فصاعداً باعتبارك زوجة لى وشريكة لحياتى .. أذهبى فى الحال بلا إبطاء أو تراخ .. زوجك المطلق آمون جوتر " وتحتها كتب المأذون تـوت اسـمه ، ووقع معه أربعة شهود ، وختمها بختم التسجيل الرسمى.

أول قناة بين البحرين الأحمر والأبيض:

سجل تاريخ مصر الفرعونى للملك سنوسرت الثالث أحد ملوك الأسـرة الثانية عشرة العظام ، أنه أول من حفر القناة الثلاثية التى تربط البحر الأبـيض المتوسط (بحر الشمال الأخضر العظيم) بالبحر الأحمر (بحـر اروتـرى) بحفر قناة تصل كل منهما بالبحيرات المرة ، وربط البحيرات فى نفس الوقـت بنهر النيل عند مدينة منف عاصمة البلاد حتى يتمكن أسطوله الحربى وسـفنه التجارية من الانتقال من نهر النيل ومدينة منف إلى كل من مـوانى البحـرين الأبيض والأحمر.

أطباء بيطريون فراعنة :

عنى قدماء المصريين بالحيوانات وعلاجها ، وقد ورد بآثار بنى حسن ما دل على هذه العناية ، وقد اكتشف أحد علماء الآثـار عـام ١٨٨٩ بناحيـة

اللاهون بمديرية الفيوم ورقتين من أوراق البردى من عهد الأسرة الثانية عشرة، ويرجع تاريخهما إلى ألفى عام قبل الميلاد ، وقد وجد بإحدى الورقتين تشخيص لمرض بثورين وعلاجهما ، وتشخيص كذلك لمرض بكلب مصـــاب بطفيليـــات باطنة وعلاجه .. مما يدل على وجود الأطباء البيطريين فى عهد الفراعنة.

قدماء المصريين والنظريات الرياضية :

كشفت بردية (برند) التى توجد بالمتحف البريطـــانى عـــن عمليـــات حسابية لقدماء المصريين تتضمن مجموعة نموذجية للعمليات الحسابية ، وفيهـــا علاقات تشير إلى الكسور الاعتيادية والعشر والتسع والثمن ، كما وجدت بردية أخرى تكشف عن مساحات المثلث ، كما عرفوا الآحاد والعشـــرات والمئـــات والألوف ومئات الألوف ، وعرفوا الضرب بالتكرار والقسمة .

وفى الهندسة عرفوا مساحة المربع والمســـتطيل بضـــرب الطـــول × العرض ، وعرفوا الزاوية القائمة ومساحة الدائرة ونظرية اســـتخراج مســـاحة المثلث.

لماذا أقام قدماء المصريين مدنهم شرق النيل ؟ :

يلاحظ أن أغلب المدن المصرية أقيمت على الناحية الشـــرقية للنيـــل ، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب من أهمها أن قدماء المصريين قد عبدوا الشمس فى فترة من فترات تاريخهم ، وكانوا يعتقدون أن الشمس ترمز للحياة فى شروقها ، وترمز للموت فى غروبها ، ولذلك كانوا يدفنون موتاهم فـــى الغـــرب ، بينمـــا يعيشون ويقيمون مدنهم فى الشرق .. والدليل علـــى ذلـــك أن أغلـــب الآثـــار

الفرعونية مثل الأهرامات ومقابر الملوك والملكات تقع كلها على الضفة الغربية للنيل.

الواحة العظمى :

اسم كان يطلق على الواحات الخارجة وذلك لوفرة خيراتها ولينابيعها الغزيرة وغلالها التى كانت أغلى ما يباع فى روما ، وقد استطاع الرومان زراعة نحو مليون فدان حوالى عام ٧٠ ميلادية.

وبلغت فى العصر الرومانى أوج ازدهارها ، فقد كانت مخزناً للحبوب والثمار الخاصة بالإمبراطور ، وكانت تمون مصر كلها بالقمح إلى جانب تموين روما ، ثم بدأ الصراع الرهيب فى كل مكان من أرض مصر بين الحكومة الرومانية الوثنية وأقباط مصر ، واتخذت المقاومة الدينية صبغة سياسية ، ومن ثم عرفت مصر عصر الشهداء الذى تميز بالاضطهاد الدينى من جانب الرومان للمسيحية ، وفر المسيحيون إلى الواحات بعيداً عن الاضطهاد فى داخل الوادى.

مقبرة لا مثيل لها فى العالم :

مقبرة كوم الشقافة بالإسكندرية ، وهى لأسر رومانية غير معروفة ، وهى مكونة من ثلاثة طوابق بعمق ثلاثين قدماً فى باطن الأرض ، ومحاطة بسلالم حجرية (حلزونية) فى شكل دائرى حتى العمق لتصل الطوابق الثلاثة بعضها ببعض .

ويوجد بالمقبرة ٣٦٥ فجوة محفورة فى الصخر لدفن الموتى ، وبها خمسون تابوتاً كانت مخصصة لدفن الأثرياء ، وبكل طابق قاعة كانت مجهزة

لأهل الموتى الأحياء حيث كانوا يحضرون أوعية الطعام وقوارير النبيذ التـــى وجد منها عدد محطم ، ولكثرة ما وجد بالمنطقة من الشقاف المحطمـــة جـــاءت تسمية الحى بكوم الشقافة.

المصرية التى تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم

مارية التى ولدت بقرية (حفن) بصعيد مصر على الضفة الشرقية للنيل (بمركز ملوى محافظة المنيا حالياً) لأب قبطى .. وبين قصور المقوقس (جريج بن ميناء) حاكم مصر من قبل هرقل ملك الروم شبت هى وأختها سيرين كجاريتين من جوارى المقوقس.

وفى مستهل السنة السابعة للهجرة خرج من المدينة المنورة عدد من الصحابة موفدين من قبل النبى صلى الله عليه وسلم إلى الملوك يدعونهم إلى الإسلام .. ووصل إلى مصر (حاطب بن أبى بلتعة اللخمى) فاستقبله المقوقس عظيم القبط فى القصر الملكى .. وقدم حاطب الكتاب الذى كان يحمله من الرسول صلى الله عليه وسلم.

وعلم المقوقس أن نبياً قد بعث بأرض العرب ، ورد المقوقس على كتاب محمد صلى الله عليه وسلم بقوله أنه يعلم أن نبياً سيظهر ، ولكنه كان يعتقد أن ظهوره سيكون بالشام ، ثم أمر بتجهيز الهدايا لترسل إلى النبى وكان فيها ملابس وأدوات للزينة ، وعسل من بنها ، وحمار وبغلة بيضاء ، وطبيب من أطباء مصر .. وفى مقدمة كل هذا جاريتان من أعز وأجمل جوارى القصر هما مارية وسيرين يصحبهما خادم لهما يدعى مابور .

وسار الموكب فى إتجاه جزيرة العرب ، وقص حاطب لمارية وسيرين قصة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فمال قلبهما لأن تعتنقا الإسلام ، وأسلمتا بالفعل قبل أن يصلا إلى الرسول .

واختار الرسول مارية ، ووهب أختها سيرين لشاعر المسلمين حسان بن ثابت .. وأنزل الرسول مارية بدار الحارثة بن النعمان بالقرب من مساكن زوجاته ، ولكنهن غرن منها فنقلها إلى مكان يعرف بالعالية فى ضاحية من ضواحى المدينة .

وحملت مارية من الرسول صلى الله عليه وسلم ووضعت إبراهيم ، وجاء إلى النبى مولاه أبو رافع يبشره فأكرمه ، وأكرم مولاته سلمى زوجة أبى رافع التى أشرفت على ولادة إبراهيم ، وتصدق على كل فقير ومسكين من أهل المدينة .. وعهد النبى بابنه إلى مرضعة ، ودفع إليها عدداً من الماعز لترضعه لبنها ، وكان للرسول العزاء بعد أن تقدم به العمر وبعد أن لم ينجب من زوجاته جميعاً غير زوجته الأولى حديجة ، وكان السلوى له بعد أن مات جميع أولاده من خديجة ولم يبق له منهم غير ابنته فاطمة.

ولكن مارية والرسول لم ينعما بإبراهيم طويلاً ، فبعد سنة ونصف تقريباً مرض وتوفى ، وحزنا عليه حزناً شديداً .. وكسفت الشمس فى ذلك اليوم فقال المسلمون " ما كسفت الشمس إلا لموت إبراهيم " ، وسمع النبى قولهم فقال : "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله بالصلاة" .

ولم يمض على ذلك وقت طويل حتى توفى الرسول بعد أن قال وهو يوصى المسلمين : " استوصوا بالقبط خيراً ، فإن لهم ذمة ورحماً " .. وماتت مارية بعد نحو خمس سنوات من وفاة النبى ودفنت بالبقيع.

الإسلام يدخل أفريقيا من باب مصر

بعد أن فتح عمرو بن العاص فلسطين طلب إلى الخليفة عمر بن الخطاب أن يأذن له فى فتح مصر ، لما كان يعلمه عن خصبها وثرواتها وما يؤدى إليه فتحها من خير على الدولة الإسلامية ، وأهمية هذا الفتح من الناحية العسكرية لتأمين بلاد الشام من غزو الروم الذين كانوا يحيطون بالشام من الشمال ومن الجنوب ولكن عمر بن الخطاب تردد كثيراً قبل السماح لعمرو ، لما كان يخشاه على جيوش المسلمين من التوغل فى بلاد احتلها الروم منذ فترة بعيدة ، ولهم فيها الحصون والجنود ، يضاف إلى ذلك عدم رغبته فى التوسع قبل أن تثبت قدم العرب فى الشام أو فى بلاد فارس .. ولكن أمام إلحاح عمرو وتهوينه لأمر فتح مصر سمح عمر بن الخطاب له بالسير على رأس جيش عدته أربعة آلاف جندى .

وصل عمرو بن العاص من فلسطين إلى العريش فى ١٢/١٢/٦٣٩م فاستولى عليها دون مقاومة ثم واصل السير حتى الفرما (شرق بحيرة المنزلة) وكانت تعتبر مفتاح مصر من ناحية الشرق ، وتبعد عن ساحل الروم (البحر المتوسط) بنحو ميل ونصف فحاصرها عمرو شهراً حتى سقطت فى يناير ٦٤٠ م .. بعدئذ سار عمرو إلى الجنوب الغربى حتى وصل إلى مدينة القنطرة

الحالية ، ولزم العرب جانب الصحراء متجهين إلى ناحية مدينة الصالحية ، رغبة فى أن تكون الصحراء حصنهم الذى يلجأون إليه وقت الخطر ولكى يتجنبوا عبور القنوات وفروع النيل ، ومن ثم سار عمرو إلى بلبيس فاستولى عليها بعد حصار دام شهراً ، ثم واصل سيره صوب حصن بابليون فمر فى طريقه إليه بقرية (أم دنين) وكانت قرية صغيرة على النيل يقع مكانها اليوم حديقة الأزبكية وكانت بها حامية قوية فتغلب عليها العرب رغم مقتل عدد كبير منهم ، ولذلك بعث عمرو إلى الخليفة يستنجده ، وفى أثناء انتظاره المدد عبر النيل من الضفة الشرقية إلى الضفة الغربية جنوبى أم دنين فمر بمنف وسار حتى الفيوم ، وقد وصلته الأخبار بقدوم المدد عند عين شمس فعاد عمرو إلى عين شمس واستعد للهجوم على حصن بابليون.

فى هذه الفترة كان الخوف قد تملك الناس وهاجر كثيرون إلى الإسكندرية تاركين أرضهم وبيوتهم ، وكان لابد لعمرو من أن يسير إلى الإسكندرية وراء هذه الأفواج الهاربة ، ولكن وقفت أمامه عقبتان أولهما أن الوقت كان صيفاً وعلى التحديد فى شهر أغسطس والنيل أخذ فى الفيضان والماء يعلو سريعاً ، والبلاد لا يمكن السير فيها ، وثانيهما أن هناك روماً كثيرين فى حصن بابليون ولا يستطيع عمرو أن يخلف وراءه الحصن وبه جنود كثيرون من الروم مما كان يشكل خطراً جسيماً يهدد ظهره عند تقدمه إلى الإسكندرية.

عزم الروم على الدفاع عن الحصن ، ولما كان الوقت صيفاً والفيضان مرتفعاً والخندق المحيط بالحصن مليئاً بالمياه ، وليس فى مقدور المسلمين مهاجمة الحصن ، فقد كان الروم يأملون أن يطول الحصار فتسنح الفرصة لوصول إمدادات من الإسكندرية ، وكان جند الحصن كلهم من الروم إلا قليلاً من القبط كانوا فى خدمتهم ، وبلغ عدد الجنود حوالى ستة آلاف جندى وكان به

كثير من الزاد والذخائر ، وأخرج من الحصن عن طريق النهر عدد كبير من غير الجند من أهل مصر والأديرة المجاورة ليوسعوا على الجنود.

قرر عمرو محاصرة الحصن وكان يعلم أن الحصار سيطول ، وكان يرى أن الفيضان لن يدوم أكثر من شهرين يستطيع خلالهما مناوشة الروم بقصد إضعاف روحهم ، وكان مطمئناً إلى أنه من الصعب وصول إمدادات إلى الحصن لشدة التيار ، وأنه إذا عادت حالة النهر إلى ما كانت عليه قبل الفيضان فإن اقتحام الحصن سيكون أمراً يسيراً.

مضى من الزمن شهر والحصار حول الحصن ، والعرب لا تهن لهم عزيمة ، وبدأ فيضان النيل يقل ومستوى المياه ينزل ، والمدد الذى توقعه من بالحصن لم يصل ، ورأى القائد العام لقوات الروم وخليفة هرقل على مصر أن الموقف ليس فى صالحهم ، فرأى أن تجرى مفاوضات سرية وأن يتولاها المقوقس بنفسه ، فيعرض على العرب مقداراً من المال مقابل مغادرة البلاد ، واستقر الرأى على أن ينطلق المقوقس مع بعض أصحابه إلى جزيرة الروضة سراً ، ويفاوضوا عمرو فيما اتفقوا عليه.

ومن جزيرة الروضة بعثت رسالة إلى عمرو تقول " إنكم قوماً قد ولجتم فى بلادنا ، وألححتم على قتالنا ، وطال مقامكم فى أرضنا ، وإنما أنتم عصبة يسيرة ، وقد أظلتكم الروم وجهزوا إليكم ، ومعهم من العدة والسلاح ، وقد أحاط بكم هذا النيل ، وإنما أنتم أسارى فى أيدينا ، فابعثوا إلينا رجالاً منكم نسمع كلامهم فلعله أن يأتى الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب ، وينقطع عنا وعنكم القتال قبل أن تغشاكم جموع الروم ، فلا ينفعنا الكلام ولا نقدر عليه ، ولعلكم لن تندموا إن كان الأمر مخالفاً لمطالبكم ورجائكم" .

وانتظر المقوقس أن يعود رسله ومعهم رد عمرو ، ولكن عمرو حجز

رسل المقوقس ليطلعهم على رجال المسلمين ، وعادوا بعد يـومين ومعهـم رد عمرو يقول فيه " ليس بينى وبينكم إلا إحدى ثلاث خصال ، إما دخلتم الإسـلام فكنتم إخواننا وكان لكم ما لنا ، وإما أبيتم فأعطيتم الجزيـة عـن يـد وأنـتم صاغرون ، وإما جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين " .

وسأل المقوقس رسله عن القوم فأجابه رئيسهم " رأينا قوماً الموت أحب إلى أحدهم من الحياة ، والتواضع أحب إلى أحدهم من الرفعة ، ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة ، إنما جلوسهم على التراب وأكلهم على ركبهم ، وأميرهم كواحد منهم ، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد منهم مـن العبـد ، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد ، يغسلون أطرافهم بالماء ويخشـعون فى صلاتهم " .

ولم يجد المقوقس ما يقوله بعد ما سمعه سوى قوله " والذى يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ، وما يقدر على قتالهم أحد ، ولئن لم نغتـنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعـد اليـوم إذا أمكنـتهم الأرض واستطاعوا الخروج من وضعهم " .. وبعث المقوقس إلى عمرو يطلب من يفاوضهم ، وبعث إليه عمرو عشرة من المسلمين ، وحاول المقوقس إقناعهم بقبول مبلغ من المال وترك مصر ، ولم يجد رداً منهم إلا أن يختار إحدى ثلاث خصال كما قال عمرو.

ولما يئس المقوقس دعا أصحابه ونصحهم بقبول الصلح مع المسـلمين وقال لهم " أما دخولكم فى غير دينكم فلا آمركم به ، وأما قتالهم فأنا أعلم أنكـم لن تقدروا عليهم ولن تصبروا صبرهم ، ولابد من الثالثة " ولكـنهم رفضـوا ، واختلف كبار الروم وطلبوا أن يهادنهم العرب شهراً ليروا فيه رأيهم ، ورفض عمرو طلبهم وأمهلهم ثلاثة أيام ، وعلم أهل الحصن بالمفاوضات ، وثاروا على

المقوقس وأبوا كل شئ إلا القتال .. وفى اليوم التالى لانتهاء الهدنة هاجم الروم عمرو وجنوده على غرة ، إلا أن المسلمين استطاعوا تدارك الموقف ، وقـاتلوا الروم قتالاً شديداً عنيفاً وتكاثروا عليهم ، واضطروهم إلى التقهقر والتراجع إلى داخل الحصن بعد أن قتل منهم عدد كبير .

وعاد المقوقس إلى قومه وطلب الإذعان لدفع الجزية ، وتم الصلح بين العرب والروم فى نوفمبر ٦٤١ م على أن تبقى الجيوش حيث هـى ، ويظـل الحصن مع الروم ، وأن يفرض على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط دينارين على كل نفس ممن بلغ منهم الحلم ، وليس على الشيخ الكبير ولا علـى الصغير الذى لم يبلغ الحلم ولا على النساء شئ ، وأن يوافق هرقل علـى هـذا الصلح .. وأخذ المقوقس على عاتقه مهمة إقناع الإمبراطور بالقبول ، ولكنه لم يستطع ، وبذلك انتهت الهدنة وعاد القتال .. وكان النيل يهبط سريعاً وتهبط معه المياه التى فى الخندق حول الحصن ، وتهبط معه أيضاً مشـاعر القـوم فـى النصر، وآمالهم وشجاعتهم .. ولما فرغ الخندق من الماء تملك الروم الخـوف والفزع ، وحين انتهى الشتاء كانت مناوشات عديدة قد وقعـت بـين العـرب والروم .

وطالت مدة حصار حصن بابليون وبلغت سبعة أشهر ، وضاق العرب بهذه الشهور الطويلة التى انقضت دون فتح الحصن ، وكان الزبير بن العـوام أشد العرب حماسة ، وفى إحدى الليالى تقدم على رأس كتيبة تحت جنح الليل ، واقترب من جدار الحصن ، ووضع سلماً على السور ، وعلاه دون أن يفطـن إليه أحد بعد أن أتفق مع أصحابه أن يرقوا السلم إليه وأن يجيبـوه إذا سـمعوا تكبيره ، وفعلاً صعد وهو وأصحابه فوق السور وكبـروا وأجـاب المسـلمون خارج الحصن تكبيرهم ، فلم يشك الروم فى أن العرب قـد اقتحمـوا الحصـن فهربوا ، واتجه الزبير إلى باب الحصن ففتحه ، واندفع المسلمون إلـى داخلـه

واستولوا عليه وأسرع قائد الحصن يسأل عمرو الصلح وقبول التسليم على أن يأمن كل من هناك من الجند على أنفسهم ، وقبل عمرو الصلح على أن يغادر الجند الحصن خلال ثلاثة أيام ، وأما الحصن وما فيه من ذخائر وآلات حرب فيأخذه العرب غنيمة حرب ، وبسقوط حصن بابليون فقد الروم سيطرتهم على أكثر من نصف مصر.

سار عمرو بعد ذلك نحو الإسكندرية متتبعاً شاطئ الفرع الغربى للنيل ، وكانت تقع عليه سلسلة من الحصون فاستولى عليها جميعاً ، وحاصر الإسكندرية لمدة أربعة شهور ، وفى أثناء ذلك وصل المقوقس مبعوثاً من إمبراطور الروم قسطنطين بن هرقل لعقد الصلح مع العرب ، وانتهى الأمر بكتابة عقد الصلح وتتضمن شروطه أن يدفع كل من فرضت عليه الجزية دينارين كل سنة ، وأن تعقد هدنة مدتها أحد عشر شهراً تنتهى فى سبتمبر ٦٤٢م ، وأن يحتفظ العرب بمراكزهم مدة الهدنة وألا يباشروا أعمالاً حربية ضد الإسكندرية كما يكف الجنود الروم عن كل عمل عدائى ، وألا يتعرض المسلمون للكنائس بسوء وألا يتدخلوا فى أمور المسيحيين ، وأن ترحل الحامية عن الإسكندرية بحراً بأموالهم وأمتعتهم ، وألا يحاول الروم استرداد مصر وأن يبقى اليهود بالإسكندرية ، وأن يبقى من الروم ١٥٠ جندياً و٥٠ مدنياً كرهينة لتنفيذ المعاهدة.

وبالرغم من الشرط السادس وهو ألا يحاول الروم استرداد مصر فقد نقضوه ، وبعث قسطنطين بجيش كبير للاستيلاء على الإسكندرية إلا أن عمرو طارد الروم حتى أجلاهم عنها ، ولم يجد العرب بعد ذلك صعوبة فى إخضاع بقية مدن الوجهين البحرى والقبلى ، وبذلك خضعت البلاد نهائياً لحكم العرب ، ثم أنطلق الإسلام من مصر إلى برقة ثم تونس ثم شمل أفريقيا حتى المحيط الأطلنطى ليعبر بعد ذلك إلى الأندلس شمالاً وإلى باقى أفريقيا جنوباً.

أول مدينة إسلامية فى أفريقيا

بعد أن فتح عمرو بن العاص مصر عام ٢١ هـ - ٦٤١ م ، أراد أن يتخذ الإسكندرية مركزاً لحكمه ، غير أن الخليفة عمر بن الخطاب منعه من ذلك حتى لا يفصل ماء بينه وبين المسلمين وقال له " لا تجعل بينى وبينكم ماء ، متى أردت أن اركب إليكم راحلتى حتى أقدم عليكم قدمت " .. وعلى ذلك وقع اختيار عمرو بن العاص على السهل الشمالى لحصن بابليون ويحده جبل المقطم من الشرق والنيل من الغرب ، وكان يعسكر فيه بجنوده أثناء فتح الحصن ، ورأى عمرو أن هذا المكان يصلح لإقامة مدينته الجديدة " الفسطاط " .. ويذكر فى هذا المجال أن اختيار الفسطاط كان أفضل من الإسكندرية وذلك إرضاء للمصريين الذين كرهوا عمرو فيها لأنها كانت ترمز إلى ظلم الرومان واضطهادهم لهم ، بالإضافة إلى توسط موقعها لمصر .

والفسطاط كلمة عربية تعنى " الخيمة " ذلك لأن عمرو بن العاص عند فتح الحصن المعروف باسم قصر الشمع ، وبعد الاستيلاء عليه ضرب فسطاطه (خيمته) بالقرب منه ، فلما قصد التوجه إلى الإسكندرية لفتحها أمر بنزع فسطاطه للرحيل فإذا بحمام قد أفرخ فيه فأمر بترك الفسطاط مكانه وسار إلى الإسكندرية ثم عاد إلى فسطاطه ونزل الناس من حوله ، ومن هنا سميت المدينة

التى أنشئت بالفسطاط لتصبح أول مدينة إسلامية فى أفريقيا وثالث مدينة شيدها المسلمون بعد البصرة والكوفة .. وهناك قصة أخرى تقول أن كلمة فسطاط محورة عن اللفظ اليونانى " فساطم " الذى يطلقه الرومان على معسكراتهم الحربية أو المدن الحصينة ، ونقل هذا اللفظ محوراً بمعرفة العرب بكلمة فسطاط.

وكان جامع عمرو بن العاص هو أول ما أنشأ فى الفسطاط وقد تقاسمت القبائل منطقة الفسطاط فيما بينها وسميت كل منطقة باسم القبيلة التى أخذتها ، ولم يمض زمن طويل على تخطيط الفسطاط حتى صارت غاية فى العمارة ، واتخذ عمرو بن العاص الدار التى أقامها بالقرب من المسجد مقراً للحكم ، واتخذها الولاة من بعده سكناً للإمارة وكانت أكثر دور الولاة شهرة دار عبدالعزيز بن مروان التى بناها عام ٦٨٧ م وسماها " دار الذهب ".

وقد مرت الفسطاط بعصور من الازدهار ، وقد أعجب كل من دخلها من الرحالة بها وبهر بعمارتها ومساجدها وحماماتها وأسواقها ، وثراء أهلها وأجمعوا على أن المدينة كانت تزخر بالمساجد والشوارع والحمامات وأشهرها "حمام جنادة " الذى قيل أن رسم دخوله كان ٥٠٠ درهم فى يوم الجمعة .. وكانت أسواق الفسطاط تعج بالبضائع والتحف والحلى والذهب والحرير وقد أشترى " خمارويه " من هذه الأسواق ما قيمته ٧٠٠ ألف دينار لابنته قطرالندى التى ذاع صيت زفافها عبر التاريخ.

وقد ظل اسم الفسطاط حتى القرن الثالث عشر الميلادى ، عندما بدأ يختفى وحل محله اسم مدينة مصر ، ثم عرفت بعد ذلك باسم مصر القديمة ، وقد احترقت مدينة الفسطاط عام ١١٦٩م بأمر الوزير شاور ليحول بذلك بين الفرنجة وبين الوصول إليها واستمرت النيران تأكل المدينة أربعة وخمسين يوماً.

وفيما بعد أصبحت مدينة الفسطاط جزءً من مدينة القاهرة التى تأسســت عام ٩٦٩ م واتسعت تدريجياً حتى شملت الفسطاط ضمن حدودها.

أول مسجد فى أفريقيا

جامع عمرو بن العاص بالفسطاط .. ذلك أنه فى عام ٢١ هـ (٦٤١ - ٦٤٢ م) حينما تم لعمرو بن العاص تحرير مصر من الرومان ، وأسس مدينة الفسطاط ، وبعد تطهير الإسكندرية من فلولهم ، أقام أحد قواده " قيسيه بن كلثوم" فى حديقة فى شمال حصن بابليون ، وأتخذ عمرو داره على مقربة من هذا المكان من الناحية الشرقية.

وفى هذا الوقت بعث الخليفة عمر بن الخطاب إلى حكام البلاد التى حررها الإسلام يأمرهم ببناء المساجد لإقامة صلاة الجمعة ، وقد اختار عمرو لمسجد الفسطاط مكاناً يشرف على النيل هو مكان حديقة قيسيه ، وعرض عليه أن يعوضه عن ذلك فأبى أن يقبل وتبرع بالأرض.

بنى عمرو جامعه بطول خمسون ذراعاً وفرش أرضه بالحصى وسقفه بسقف من الجريد حمل على ساريات من جذوع النخل دون أن يجعل له صحناً ، كما لم يجعل له مئذنة ولا محراباً مجوفاً ولا منبراً بالمعنى الصحيح ، وفتح للجامع فى كل من جوانبه الثلاثة الشرقى والبحرى والغربى بابان .. ولم يكن بالجامع زخرفة من الداخل أو الخارج.

وكان المسجد فى أول أمره يستخدم مكاناً للاجتماعات العامة ، علاوة

على إقامة الشعائر الدينية فيه ، وكان الحاكم يقوم فيه بالوعظ ويصلى بالناس صلاة الجمعة ، فكان اجتماع المسلمين فى هذا اليوم فرصة لإعلان الآراء العامة ، وصار المسجد مكاناً لتبادل الآراء فى الصالح العام .

وقد أدخلت على المسجد تعديلات كثيرة فى العصور التالية ، وازدادت مساحته أيضاً .. كما تعرض للعديد من الكوارث منها الحريق الذى شب فيه عام (٨٨٨ م) والحريق الذى أشعله " شاور " عام ١١٦٩ م فى مدينة الفسطاط اجتناباً لوقوعها فى أيدى الفرنجة ، عندما أغار " آمورى " ملك أورشليم " بيت المقدس " على مصر ، واحترق المسجد ولم يبق منه سوى الحوائط وبعض العقود .. وفى عام ١٣٠٣ م حدث زلزال ألحق ببناء المسجد ضرراً بالغاً .. وقد أعيد بناء المسجد أكثر من مرة حتى صار فى صورته الحالية.

عند جزيرة الروضة ...
بنى أول أسطول بحرى إسلامى

بنت مصر هذا الأسطول فى العقود الأولى من التاريخ الهجرى ، حيث كانت تصنع بمصر السفن الحربية لأسطول الدولة الأموية ، وكان الجزء الأكبر من هذه السفن يصنع فى " دور الصناعة " أو ترسانات عند جزيرة الروضة .. ثم تسير فى النيل إلى البحر .. وبهذه السفن كسب المسلمون موقعة ذات الصوارى عام ٣٤ هـ - ٦٥٥ م وهى موقعة حاسمة انتزعت السيادة فيها على الجزء الشرقى من البحر المتوسط من البيزنطيين وأسلمتها للمسلمين عدة قرون.

وفى هذه المعركة كان الجانب المصرى من الأسطول تحت قيادة والى مصر عبد الله بن سعد ، وأقلعت من مصر مائتا سفينة وأقلع من الشام عدد غير معروف ، وكانت سفن الأسطول البيزنطى خمسمائة سفينة .. وتفصيل ذلك أن معاوية بن أبى سفيان الذى كان والياً على الشام فى عهد خلافة عمر بن الخطاب كان يشعر بالحاجة إلى ضرورة وجود أسطول يشد أزره ، وقد ألح على عمر بن الخطاب فى غزو البحر ، وكتب إليه يستأذنه فى فتح قبرص ويقول " يا أمير المؤمنين ، إن بالشام قرية يسمع أهلها نباح كلاب الروم وصياح ديوكهم ، وهم تلقاء ساحل من سواحل حمص " ، ولكن عمر لم يوافق حرصاً على أرواح المسلمين .

فلما توفى عمر بن الخطاب استطاع معاوية أن يظفر بموافقة عثمان بن

عفان ، على شن غارة تأديبية على قبرص ، وكان ذلك عام ٦٤٩ م ، وفى السنة الثانية استولى المسلمون على أرواد ، وفى عام ٦٥٥ م عقد لواء النصر للعرب فى الموقعة البحرية الكبرى التى تسمى "ذات الصوارى " وذلك تجاه ساحل ليكيا وكان لهذا النصر البحرى أهمية بالغة ، إذ لم يمض زمن طويل حتى كان العرب يغزون صقلية ويهددون القسطنطينية نفسها .. وكان أن سيطر المسلمون على الجزء الشرقى من البحر المتوسط.

ثم ساهم المصريون فى بسط سيطرة المسلمين على الجزء الأوسط من البحر المتوسط عندما انشأوا ميناء تونس ، فعندما استقر الأمر للمسلمين فى شمال أفريقيا ، أرسل حاكم تونس إلى عبد الله بن عبد الملك بن مروان كى يساعده فى إنشاء ميناء جديد للمسلمين بدلاً من ميناء قرطاجنة الذى تهدم بسبب الحروب ، فأرسلت مصر ألف بحار مصرى بعائلتهم ، وانشأوا ميناء تونس.

أكبر مساجد مصر

جامع احمد بن طولون بالقاهرة ، وهو يعد واحداً من أكبر مساجد العالم الإسلامى إذ تبلغ مساحته مع الفضاء الذى يحيط به ستة أفدنة ونصف ، ويعتبر جامع احمد بن طولون أول مسجد قائم بمصر حتى الآن منذ إنشائه ، إذ أن مسجدى عمرو بن العاص والعسكر قد عفا عنهما الزمن ، فالأول أحدثت به تغييرات شتى أتت على المسجد الأصلى ، والثانى ضاعت معالمه ضمن ما ضاع من مدينة العسكر ، أما مسجد احمد بن طولون فلا يزال حتى اليوم محتفظاً بتفاصيله المعمارية .

وقد أتم احمد بن طولون بناء جامعه عام ٨٧٨ م ، وقد بنى على قطعة من الأرض الصخرية عرفت قديماً باسم " جبل يشكر " وقيل إنه أراد أن يبنى بناءً إذا احترقت مصر بقى وإن غرقت بقى ، وقد بناه على نظام بناء جامع سامراء تلك المدينة العراقية التى شب فيها .. وقد بنى بن طولون جامعه على دعائم بدلاً من الأعمدة ، ويقال أنه طلب ذلك حتى لا يأخذ أعمدة رخامية من الكنائس.

ويتميز هذا المسجد بمنارته الوحيدة من نوعها من مصر ذات السلم الخارجى ، وهى مبنية بالحجر المنحوت نحتاً رائعاً من الخارج ، وهى مكونة

من أربع طبقات الأولى مربعة والثانية مستديرة والثالثة على شكل مثمن ، أمـــا الرابعة فتعلوها طاقية تكون معها شكل مبخرة.

العروس الأسطورة

قطر الندى .. واسمها أسماء بنت خمارويه ابن احمد بـــن طولـــون .. عاشت بالقطائع بقصر الإمارة الذى بناه جدها احمد بن طولون مؤسس الدولـــة الطولونية ثم وسعه أبوها خمارويه حين آلت إليه ولاية مصر .. وكان من أروع المبانى الإسلامية وكانت جدرانه موشاة بالذهب ومزخرفة بنقوش غائرة ، وكان يقع فى وسط حديقة كبيرة كانت تغرس زهورها فى أصص مزينة على أشــكال الحروف والكلمات العربية ، وكان بها أشجاراً نادرة وبيوتاً للطيــور وحديقــة للحيوان ، وكان أكثر ما يثير بها هو بركة الزئبق التى كانت فى أحــد أجــزاء القصر يتماوج عليها فراشه ، وقد وضع فوق قرب منفوخة وشد بحبال حريرية إلى أعمدة من الفضة وعلى هذا الفراش كان ينام الملك ليطرد الأرق ، وقد عثر على آثار هذه البركة .

وقد لمع اسم قطر الندى واختارها الخليفة المعتضد العباسى زوجاً لـــه عام ٨٩٤ م وكانت مصر من الولايات التابعة له ، ولذلك غالى خمارويه فـــى إرضاء الخليفة بتجهيزها ، وساعده على ذلك حالة مصر فى ذلك الوقـــت فقـــد كانت تستند إلى بيت مال ثرى للغاية.

ولا تزال قصة هذا الزواج مضرب الأمثال ، فلقد أمهرها الخليفة بمليون

درهم عدا التحف والجواهر الثمينة وغيرها ، وكلف جهازها خمارويه مليـون دينار ، وكان من بين جهازها دكة من أربع قطع من الذهب مشبوك فـى كـل طرف قرط معلق فيه حبة من الجواهر لا تقدر بثمن ، ومائة (هـاون) مـن الذهب يدق فيها العود والطيب.

وأمر خمارويه أن يبنى لابنته على رأس كل مرحلة من مراحل المسافة بين القطائع فى مصر وبغداد فى العراق قصر تنزل فيه ، حتى أصبحت هـذه القصور وكأنها مدينة واحدة تمتد من شاطئ النيل لشاطئ دجلة ، أعـدت فيهـا المخادع وعلقت الستائر وهيأت الموائد والخدم والجوارى حتى تستمتع العروس بكل ما تحتاج إليه من وسائل الراحة وكأنها فى قصر أبيها.

١٩ مدينة فى العالم تحمل اسم القاهرة

يوجد ١٩ مدينة فى مختلف أنحاء العالم تحمل اسم القاهرة منها ١٣ فى الولايات المتحدة الأمريكية ، و ٢ فى كندا ، و٢ فى إيطاليا ، وواحدة فى فرنسا، عدا القاهرة الأولى عاصمة مصر .

وتعود قصة القاهرة إلى أكثر من ألف عام مضت ، ففى يوم ٧ شعبان ٣٥٨ هـ - ٦ يوليو ٩٦٩ م ، وبعد أن أتم جوهر الصقلى قائد جيوش الفاطميين فتح مصر شرع فى بناء مدينة جديدة لتكون معسكراً لجنده ، ولتصبح عاصمة الدولة الفاطمية بعد انتقال الخليفة الفاطمى إليها من المهدية فى تونس .

وترجع تسمية القاهرة بهذا الاسم إلى أن المدينة كلها كانت قد أحيطت بالحبال ، وعلقت عليها أجراس كثيرة ، وطلب جوهر الصقلى من المنجمين أن يستطلعوا نجوم السماء ، وعندما يبزغ نجم سعيد تدق جميع الأجراس فى وقت واحد ليوضع أساس المدينة فى هذه اللحظة تفاؤلاً بمستقبل سعيد ومرموق لها .. غير أنه حدث مالم يكن فى الحسبان حيث حط أحد الطيور على الحبال فدقت الأجراس ، ووضع العمال الأساس على الفور ، وطلب القائد من المنجمين معرفة النجم الموجود فى ذلك الوقت فكان أن ظهر الكوكب القاهر (المريخ الآن) ولما رفع الأمر للخليفة المعز عند قدومه إلى مصر وافق على أن تنسب

المدينة لكوكب القاهر ، ومن هنا أطلق اسم القاهرة ، وأضيف اسم المعزية إليها نسبة للمعز لدين الله الفاطمى.

ولكن البعض يشكك فى صحة قصة قرع الأجراس ، ويروى أن تلك المدينة الجديدة التى أنشأها جوهر سميت بالمنصورية أول الأمر تيمناً باسم المنصور بالله الخليفة الفاطمى ، وحين قدم المعز لدين الله إلى مصر عام ٩٧٢م سميت القاهرة ، وقيل أن سبب هذه التسمية أن المعز لدين الله خطب فى الجيش أثناء تأهبه لفتح مصر حيث قال لجوهر " لتدخلن فى خرابات بن طولون وتبنى مدينة تقهر الدنيا " ولهذا السبب عند قدوم المعز إلى مصر أطلق على المدينة الجديدة "القاهرة ".

وتم تخطيط القاهرة بحيث يتوسطها قصر الخليفة ويكون هذا القصر مركزها ، وقد أراد المعز أن يجعل القاهرة مدينة الخاصة ، وأن تبقى الفسطاط مدينة العامة ، فأحيطت القاهرة بسور مستطيل الشكل غير منتظم الأضلاع ، طول الضلع الممتد من الشرق إلى الغرب ١١٠٠ م وطول الضلع الممتد من الشمال إلى الجنوب ١٢٠٠ م وقد بلغت مساحة القاهرة فى عهد المعز حوالى ٤٠٠ فدان ، وجعل للسور ثمانية أبواب أهمها باب الفتوح الواقع فى منتصف الضلع الشمالى من السور ، وباب زويلة الواقع فى منتصف الضلع الجنوبى ، وكان يصل ما بين البابين الطريق الرئيسى الذى أطلق عليه (ما بين القصرين) وهذا الطريق كان يقسم القاهرة إلى قسمين متساويين تقريباً ، ثم قسمت القاهرة إلى حارات كل منها نسب إلى قوم أو قبيلة كانت فى صحبة جوهر الصقلى .

وقد بنى الفاطميون فى القاهرة قصوراً كثيرة داخل المدينة وخارجها ، وأسوة بجامع عمرو بن العاص فى الفسطاط وجامع بن طولون فى القطائع أنشأ جوهر الجامع الأزهر فى القاهرة ، وانتهى من بنائه عام ٩٧٢ م.

وفى عهد المماليك بلغت القاهرة شأناً كبيراً من الناحيتين العمرانية والأدبية وأصبحت محط أنظار العالم كله ، خاصة بعد أن بنى حولها جميعاً سوراً عظيماً عام ١١٧٦ م.

وقد تعرضت القاهرة لغزوات كثيرة ، وعلى الرغم من ذلك احتفظت بطابعها الشرقى الإسلامى على مر الزمن ، فقد هاجمها الصليبيون فى القرن الثانى عشر ، وحكم فيها المماليك من القرن الثالث عشر إلى القرن السادس عشر ، ثم أعقبهم الأتراك العثمانيون من ١٥١٧ -١٧٩٨م ، ثم الفرنسيون ١٧٩٨ - ١٨٠١ م ، ثم البريطانيون ١٨٨٢ - ١٩٣٦ م حيث اجلوا عنها إلى أن تم جلاؤهم عن مصر كلها فى ١٨ يونيو ١٩٥٦.

وتعد القاهرة أكبر مدينة فى أفريقيا والعالم العربى ، وإحدى أكبر مدن العالم .

أبواب القاهرة

عندما أقام جوهر الصقلى القاهرة أحاطها بسور برسم مستطيلاً غير منتظم الأضلاع ، وكان مبنياً من كتل ضخمة ، وكان عرض الجدران يزيد قليلاً عن مترين ، وكان غرض جوهر من إقامة هذا السور حول المدينة حمايتها من هجمات أعداء الفاطميين وخاصة القرامطة وأعوانهم من الأخشيديين.

وقد فتح جوهر الصقلى ثمانية أبواب فى السور وجعل فى كل ضلع من أضلاعه بابين:

ففى الضلع الشمالى يوجد باب الفتوح ، وكان يقع بالقرب من الركن الجنوبى الغربى لمسجد الحاكم ، وباب النصر وكان يقع عند امتداد شارع بين السيارج والتقائه بشارع باب النصر.

وفى الضلع الشرقى كان يوجد باب البرقية ، وكان موقعه تحت تلال البرقية المقابلة لشارع الدراسة ، وينسب إلى جماعة من الجنود أتوا من برقة مع جيش جوهر فى حملته لفتح مصر، وباب القراطين الذى كان يقع بالقرب من باب المحروق الحالى فى نهاية درب المحروق بقسم الجمالية ، ويقول المقريزى أن الباب المحروق عرف بهذا الاسم لأن المماليك أحرقوه عام ٦٥٢هـ عندما علموا بقتل أميرهم أقطاى ، وكانوا قد حاولوا الخروج منه ليلاً ، وكان مغلقاً كما

هى العادة فى ذلك الوقت فأوقدوا فيه النار حتى سقط من الحريق ، وخرجوا منه ومنذ ذلك الحين عرف باسم الباب المحروق.

وفى الضلع الغربى كان يوجد بابان هما باب سعادة وينسب إلى سعادة بن حيان غلام المعز لدين الله وأحد قواده ، وباب القنطرة وكان يقع على مدخل شارع أمير الجيوش الجوانى ، وقد عرف بهذا الاسم لأن جوهراً بنى هناك قنطرة فوق الخليج المصرى لكى يمر فوقها الجيش إلى ميناء المقس لرد غارات القرامطة .

وفى الضلع الجنوبى كان يوجد بابا زويلة وهما نسبة إلى قبيلة من البربر بشمال أفريقيا أنضم جنودها إلى جيش جوهر عندما حضر لفتح مصر ، وكان موضع البابين يقع عند مسجد بن البناء وهو الذى يعرف باسم زاوية العقادين بجوار سبيل العقادين بشارع المعز لدين الله ، وسماها العامة زاوية سام بن نوح وقد بنى المسجد المذكور الحاكم بأمر الله ، وقد أزيل بابا زويلة الأصليان وبنى بدر الجمالى بدلاً منهما باب زويلة الكبير القائم إلى اليوم ويسميه العامة بوابة المتولى حيث كان يجلس فى مدخله " حسبة القاهرة " أى متولى تحصيل ضريبة الدخول إلى القاهرة .

وكان أهم الأبواب فى عهد جوهر باب الفتوح فى منتصف الأسوار الشمالية وباب زويلة فى منتصف الأسوار الجنوبية ، وكان يصل بينهما طريق رئيسى يطلق عليه اسم (ما بين القصرين).

وقد اندثرت بعض أسوار القاهرة وأبوابها ، وبقى منها ثلاثة هى باب زويلة والنصر والفتوح ، وقد أعاد بناؤها بدر الجمالى أمير الجيوش بين عامى ١٠٨٧ م – ١٠٩٢ م ، وكان باب النصر أول باب أقامه بدر الجمالى ، وعليه نقش كتابى منحوت على الحجارة يسجل تلك السنة .

وقد قام صلاح الدين الأيوبى بترميم أسوار القاهرة ، وحاول أن يجعل على القاهرة والفسطاط والقلعة سوراً واحداً ، وزاد بعض القطع فى سور القاهرة ، فزاد القطعة التى من باب القنطرة إلى باب الشعرية ومن باب الشعرية إلى باب البحر ، كما زاد قطعة مما يلى باب النصر إلى باب البرقية والى درب بطوط والى خارج باب الوزير ليتصل بسور القلعة .. وقد توفى صلاح الدين الأيوبى قبل أن يكتمل بناء السور.

وقد أشار كتاب ورحالة أوربيون من القرنين ١٨ ، ١٩ إلى أن هذه الأبواب لم يروا نظائر لها فى أى مكان إبداعاً وتكاملاً ورسوخاً ، ولا أقدم منها عمراً.

أقدم جامعة دينية فى العالم

عندما أسس جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله الفاطمى مدينة القاهرة عام (٣٥٨ هـ - ٩٦٩ م) بنى الجامع الأزهر ، واستغرق بناؤه حوالى سنتين، وأقيمت فيه لأول مرة الصلاة فى (٧ رمضان ٣٦١ هـ - ٢٢ يونيو ٩٧٢ م) واكتسب هذا المسجد شهرة واسعة على مر العصور ، وأصبح أشهر مسجد فى العالم الإسلامى ، وأقدم جامعة تدرس فيها العلوم الدينية والعقلية .

وقد أختلف المؤرخون حول السبب فى إطلاق اسم الأزهر على هذا المسجد ، ففريق منهم يقول أن قصوراً زاهرة كانت تحيط بالمسجد عندما أنشئت مدينة القاهرة ومن ثم سمى بالأزهر ، وذهب فريق ثان إلى أن سبب تسميته هذا الاسم هو التفاؤل بما يكون له من مكانة سامية بازدهار العلوم فيه ، وفريق ثالث يقرر أنه سمى بالأزهر نسبة إلى فاطمة الزهراء ابنة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام إشادة بذكرها لأن الفاطميين ينتسبون إليها ، ويبدو أن هذا الرأى الأخير هو الأصح .

وقد بدأ الأزهر يكتسب الطابع العلمى بعد ثلاثة أعوام ونصف عام من إنشائه ففى رمضان ٣٦٥ هـ - أكتوبر ٩٧٥ م ، وفى عهد الخليفة المعز لدين الله جلس قاضى القضاة أبو الحسن على بن النعمان القيروانى بالجامع الأزهر ،

وقرأ كتاباً يعد مصدراً من مصادر الفقه الشيعى هو كتاب "الاختصار" الذى وضعه والده أبو حنيفة النعمان ، وقد ألقى البحث فى جمع حافل من العلماء الذين كتبت أسماؤهم احتفالاً بهذه المناسبة ، وكان المحاضر من أقطاب الشيعة وهو أول من لقب بقاضى القضاة فى مصر ، وكانت هذه أول حلقة للدرس بالجامع الأزهر ثم توالت حلقات بنى النعمان بالأزهر ، وكانت حلقاته دينية ذات أهداف سياسية.

وفى بداية عهد الخليفة العزيز بالله خطى الأزهر خطوة هامة فى الدراسات الجامعية ، إذ جلس يعقوب بن كلس وزير المعز ثم العزيز ، وقرأ كتاباً ألفه فى الفقه الشيعى وسماه (الرسالة العزيزية) ، ثم تطورت الدراسة بالأزهر على يد ابن كلس إذ عين سبعة وثلاثين فقيهاً للقراءة والدرس ، ورتبت لهم الدولة مرتبات شهرية ثابتة وأنشأت لهم داراً للسكن بجوار الأزهر .

وكان الأزهر فى العصر الفاطمى عنصراً هاماً من عناصر الحياة الفكرية ، وكانت تعقد فيه إلى جانب الحلقات الدراسية مجالس الحكمة للنساء ، وكان له الطابع الرسمى ففيه كان جلوس القاضى فى أيام معينة ، وفيه كان مركز المحتسب العام ، وظل الأزهر يؤدى هذا الدور فى ظل الدولة الفاطمية قرابة قرنين من الزمان .

وقد أصبح الأزهر منذ أن تهاوت مراكز الثقافة الإسلامية سواء فى بغداد أو فى الأندلس فى أواخر القرن التاسع الهجرى مركز الإشعاع الفكرى فى العالم الإسلامى وأعظم مركز للدراسات الإسلامية والعربية.

وكانت حلقات العلم التى عقدت بالأزهر منذ البداية تتسم بكثير من سمات الحياة الجامعية كالمناقشات العلمية الحرة التى كانت طابع هذه الحلقات ، والإجازات الدراسية والفخرية ونظام المعيدين والأساتذة الزائرين وغيرها من

مظاهر الحياة العلمية التى عرفها الأزهر منذ قرون وكانت أساساً للنظم والتقاليد الجامعية التى عرفت بعد ذلك فى الشرق وفى الغرب ، ومن ثم أعتبر الأزهر أقدم جامعة دينية فى العالم.

وفى عهد الأيوبيين لم يفقد الأزهر صفته الجامعية برغم تعطيل صفته كمسجد جامع وإبطال صلاة الجمعة فيه حوالى مائة عام ، وإنما سارت الدراسة به على المنهج الذى كانت تسير عليه فى عهد الفاطميين وغلبت عليها الصبغة الدينية واللغوية ، وعلى امتداد عصر المماليك (١٢٥٠ -١٥١٧ م) اتسعت رسالة الأزهر العلمية تجاه العالم الإسلامى ، فقد شهد هذا العصر انكماشين خطيرين على خريطة العالم الإسلامى نتيجة الزحف المغولى فى وسط آسيا وتقلص الحكم الإسلامى فى الأندلس ، وكان الأزهر هو الموئل الطبيعى لعلماء الأقطار الذين اضطروا إلى ترك أوطانهم ، وبهم استطاع الأزهر أن يتقدم فى رسالته العلمية حتى وصل بهذه الصفوة من علماء المسلمين إلى ذروة مجده العلمى فى القرنين الثامن والتاسع الهجريين ١٤ ، ١٥ الميلاديين .

وتجدر الإشارة إلى دور الأزهر فى مجال دراسة ونشر العلوم الطبيعية بمختلف فروعها المعروفة ، فقد اتجه بعض العلماء إلى دراسة الطب والرياضة والفلك والهندسة والجغرافيا والتاريخ ، وظلوا يحرصون على هذه العلوم حتى فى أشد عهود التدهور والجمود السياسى والفكرى.

وفى ظل الدولة العثمانية ذات الطابع الدينى فى سياستها مضى الأزهر يؤدى رسالته فى المجالين الدينى والتعليمى ، وكان يتمتع باستقلال مالى عن الحكومة بفضل حصيلة الأوقاف مما أتاح للعلماء حرية مطلقة فى اختيار الدراسات والبحوث والكتب التى تستخدم فى التعليم بالأزهر ، وبذلك كانت الحرية بأوسع معانيها هى الطابع الذى ميز الأزهر أثناء الحكم العثمانى مما

أضفى عليه شخصية مستقلة لها كيانها واحترامها وجعل منه مركزاً إسلامياً عربياً قائداً للفكر الإسلامى ، يجتذب إليه كبار العلماء الذين تصدروا الحلقات الدراسية به كما اجتذب الأزهر كثيراً من طلاب العلم من مختلف أنحاء العالم الإسلامى .. ومما هو جدير بالذكر أن العثمانيين لم يعينوا أى عالم عثمانى فى منصب شيخ الأزهر طوال الحكم العثمانى ، بل تركوا هذا المنصب الرفيع يشغله العلماء المصريون.

وعندما تعرضت مصر للغزو الفرنسى ١٧٩٨ م ، نظر بونابرت إليه على أساس أنه أشهر جامعة فى العالم الإسلامى ، وقرر فى مذكراته التى كتبها فى منفاه بجزيرة سانت هيلانة (أن الأزهر يقابل جامعة السربون فى باريس) ونظر إلى علماء الأزهر نظرة إجلال واحترام على أساس أن لهم صفتين الأولى أنهم الصفوة الممتازة من الطبقة المستنيرة فى البلاد والثانية أنهم زعماء الشعب .. وفى اليوم الأول لدخوله القاهرة كون بونابرت ديواناً لحكم العاصمة من تسعة أعضاء جميعهم من كبار شيوخ الأزهر برئاسة الشيخ عبد الله الشرقاوى شيخ الأزهر ، وكان تشكيل الديوان على هذا النحو دليلاً على أهمية الجامع الأزهر ومكانة علمائه واعترافاً بزعامته.

ومع ذلك كان الجامع الأزهر ملتقى المعارضين للاحتلال الفرنسى ومركزاً للثورة ، ولذلك فقد تألفت لجنة من رجاله لتحريكها برئاسة الشيخ محمد السادات .. وعندما اندلعت ثورة القاهرة ضد الفرنسيين رأى شيخ الأزهر وكبار العلماء أن استمرار الدراسة متعذر فى مثل هذا الجو وأن من الأفضل إغلاق الجامع نهائياً .. ولما تم إجلاء الفرنسيين عن مصر بعد احتلال دام ثلاثة أعوام عادت الحياة إلى الأزهر وفتحت أبوابه واستقبل طلابه وعلماءه.

ولما تولى محمد على حكم مصر عام ١٨٠٥ م واتجه إلى إقامة الدولة

الحديثة بدأ اتجاهه الجديد بالاعتماد على الأزهر ، فقد كان أعضاء البعثات العلمية التى أوفدها محمد على إلى أوربا من رجال الأزهر ، وكان نتيجة ذلك أن قامت النهضة العلمية الحديثة فى مصر على يد هذه الطليعة من الأزهريين .

ولما قامت الثورة العرابية كان كثير من زعمائها المفكرين من علماء الأزهر وطلابه ، وكان زعيم الثورة العرابية ممن تلقوا العلم فى الأزهر ، وبرز من صفوف الأزهر فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين رجال تزعموا الحياة السياسية والفكرية فى مصر مثل محمد عبده والمنفلوطى وسعد زغلول الذى قاد ثورة ١٩١٩ ضد الاحتلال الإنجليزى ، وقد قام أساتذة الأزهر وطلابه بإذكاء روح الثورة ، وكان أبرز ما حدث فى هذا الدور اجتماع العلماء المسلمين والقساوسة الأقباط فى أروقته ، وكان المسلمون والأقباط يتناوبون الخطابة من منبر الأزهر .

ومن الجدير بالذكر أن أول قانون نظامى للأزهر صدر عام ١٨٧٢ م لرسم كيفية الحصول على الشهادة العالمية وحدد موادها ، وفى عام ١٩٣٠ صدر القانون الثانى الذى ينظم الدراسة فى الأزهر معاهده وكلياته ، وفى ١٩٦١ صدر قانون تطوير الأزهر وبمقتضاه قامت فى رحابه جامعة الأزهر .. وقد كان الأزهر هو واضع اللبنة الأولى للإسكان الطلابى فى العالم حيث استمر طوال العصور المختلفة معهداً يأتيه الطلاب من كل صوب من أنحاء العالم الإسلامى ، وكان لكل طائفة " رواق " يعرفون به فى الجامع الأزهر ، وبمرور الأيام أصبحت لا تفى بالغرض فأنشأت الحكومة المصرية عام ١٩٥٩ مدينة ناصر للبعوث الإسلامية لتستقبل الوافدين من دول آسيا وأفريقيا وأوربا وأمريكا .

كما يذكر أن الشيخ محمد عبد الله الخراشى هو أول شيوخ الأزهر ..

وقد ولد بقرية " أبو خراش " بشبراخيت بمحافظـــة البحيـــرة عـــام ١٦٠١ م ، وتخرج على يديه علماء كثيرون جاوزوا المائة من أعلام عصره وقـــد تـــولى بعضهم مشيخة الأزهر ، وكان متواضعاً يذهب إلى السوق ويحمـــل حاجياتـــه بنفسه ، وكان واسع الثقافة خاصة فيما يتعلق بعلوم التفسير والفقه على مـــذهب الإمام مالك .. وقد توفى عام ١٦٩٠ م .. وقبله لم تكن مشيخة الأزهر منصـــباً رسمياً بل كان السلاطين والأمراء يشرفون على الأزهر ويديرون شئونه.

مصر تهدى العالم لعبة التنس

يقول المؤرخ مالكوم وايتمان الإنجليزى أن اسم لعبة التنس مأخوذ من اسم مدينة مصرية اسمها (تنيس) كانت مشهورة بصناعة قماش خاص ، وعندما جاء الصليبيون نزل بعضهم فى هذه المدينة ووجدوا أطفالها يلعبون رياضة يستعملون فيها كرة قماشية مصنوعة فى مدينة تنيس ، ونقلوا الكرة القماشية إلى أوروبا وسموها تنس بول أى كرة مدينة تنيس كما نقل اسم المضرب من المصريين وسمى (راهات) وهى تعنى بالعربية لحف النخيل .

ويعد الاتحاد المصرى للتنس من أقدم الاتحادات فى العالم حيث تأسس عام ١٩٢٣ ، ورغم ذلك فقد بدأ التنس فى مصر قبل هذا التاريخ بسنوات فبدأت بطولة مصر الدولية عام ١٩٠٧ وهى بذلك تعتبر أقدم البطولات العالمية فى الفردى بعد البطولات الأربع الكبرى وهى ويمبلدون بإنجلترا التى تأسست عام ١٨٧٧ ، وفلا شينج ميدو بأمريكا ١٨٨١ ، ورولان جاروس بفرنسا ١٨٩١ ، وأستراليا ١٩٠٥ .. وعبر تاريخها الطويل لم تتوقف بطولة مصر الدولية سوى ثلاث مرات فقط الأولى فى الفترة من ١٩١٥ إلى ١٩١٨ بسبب الحرب العالمية الأولى ، والثانية من عام ١٩٤٠ إلى ١٩٤٥ بسبب الحرب العالمية الثانية ، والثالثة عام ١٩٨٦ بسبب أحداث الأمن المركزى والتى أدت إلى إلغائها بعد

دورها التمهيدى .. وقد حصل لاعبو مصر على بطولة مصر الدوليـــة أربـــع مرات عبر تاريخها وحصل عليها عدلى الشافعى ١٩٤٦ وإســماعيل الشــافعى أعوام ١٩٦٩ ، ١٩٧٣ ، ١٩٧٤ .

ويعد إسماعيل الشافعى أبرز لاعبى التنس فى مصر الذى اســتطاع أن يهزم البطل السويدى الأسطورة بيورن بورج فى بطولة ويمبلدون للناشئين وأن يبقى لفترة طويلة بين أفضل عشرة لاعبين فى العالم .. وهو أول عربى يفــوز ببطولة ويمبلدون للناشئين .

أما أول بطولة للفرق في العالم وهى بطولة كأس ديفيز الذى تأسس عام ١٩٠٠ فقد بدأ اشتراك مصر فيها عام ١٩٢٩ وحققت مصر عام ١٩٨٥ أفضل إنجازاتها فى البطولة حيث وصلت إلى الدور قبل النهائى بعــد فوزهــا علــى المجر.

قلعة الجبل

هى القلعة التى بناها صلاح الدين الأيوبى فى الطرف الشمالى من جبل المقطم لتكون مقراً لحكومته ومعقلاً لجيشه الكبير ، ونقطة دفاعية يصد منها غارات المعتدين على مصر .. ويذكر أنه سبق لملوك مصر فى العصر الفرعونى وفى العصر الرومانى وفى العصر الإسلامى أن أقاموا فوق هذه الصخرة وفوق ما يقابلها من جبل المقطم تحصينات قوية للدفاع عن المنطقة التى تحيط بها.

وقد بدأ فى بناء القلعة عام ١١٧٦ م ، وتوفى صلاح الدين قبل إتمام البناء ، وتمت فى عهد الملك الكامل عام ١٢٠٨م .. وقد عهد صلاح الدين ببناء تلك القلعة إلى وزيره بهاء الدين قراقوش الذى اشتهر بالشدة والصرامة ، ولم يبقى من منشآت صلاح الدين بالقلعة سوى بعض أجزاء السور والأبواب نظراً للتعديلات الكثيرة التى أدخلت عليها.

وكان لهذه القلعة سور وأبراج وثلاثة أبواب ، وصارت القلعة منذ أن تم بناؤها مقراً للدواوين السلطانية ودور الحكومة .. وكانت تشتمل على كثير من القصور والمساجد والمدارس والحمامات ، وكان بها دار الوزراء وديوان الإنشاء وديوان الجيش ودار النيابة وبيت المال وخزانة السلطان الخاصة والدور

السلطانية ، والجب والأبراج التى كان يحبس بها الأمراء والمماليك الخارجون على السلطان .

غير أن القلعة لم تظل على وضعها الذى كانت عليه فى عهد الدولة الأيوبية ، فقد أدخلت عليها تغييرات فى عهد المماليك وفى أيام محمد على حتى أخذت شكلها الحالى الذى نراه عليها الآن .. فقد أصلح جانباً كبيراً من سورها وأبراجها وأبوابها وأنشأ جامع محمد على وقصر الجوهرة ودار المحفوظات والمقابل للباب الجديد الذى أنشئ عام ١٨٢٥ م.

وأقيم بالقلعة قصر ضخم يسمى بقصر الحريم ويشرف على جبل المقطم والحطابة ، ويرجع عهده إلى عام ١٨٢٧ م حيث أقيم لتسكنه نساء محمد على ، ويتألف هذا القصر من ثلاثة أجنحة يشغل المتحف الحربى الآن الجناح الأوسط ومعظم الجناح الشرقى .

وقد اتخذت القلعة مقراً للملك وأقام بها ملوك مصر حتى عصر الخديو إسماعيل ، ثم نقل مقر الملك إلى عابدين منذ عام ١٨٧٤ م ، وفى عام ١٨٨٢ م احتل الإنجليز القلعة وأصبحت تقيم بها حامية من جنودهم.

وكان قصر الجوهرة بالقلعة والذى يعتبر تحفة فنية رائعة هو المقر الرسمى للحكومة منذ إنشائه عام ١٨١١ م ومكاناً لاستقبال السفراء الأجانب ، ويعتبر أقدم قصر رسمى لحكام مصر السابقين.

مصر تكسو الكعبة المشرفة
حتى عام ١٩٦٢

حتى عام ١٩٦٢ م كانت كسوة الكعبة المشرفة ومحملها من أهم معالم رحلة الحج المصرية منذ بدء رحلات الحج .. وكانت السلطانة شجر الدر أول ملكة مصرية كست الكعبة المشرفة ، وذلك عندما ذهبت لأداء فريضة الحج عام ١٢٥٠ م وهو العام الذى بدأ فيه الاحتفال بالمحمل السلطانى ، وتولت مصر منذ ذلك الحين الصرف على تكاليف تطريز الكسوة السنوية للكعبة حتى عام ١٩٦٢م حيث أنشأت المملكة العربية السعودية مصنعاً خاصاً لذلك.

وكسوة الكعبة المشرفة كما تؤكد الدراسات التاريخية ، كانت من أهم الأعمال التى قام بها المصريون حتى قبل الإسلام وقبل الفتح الإسلامى لمصر ، نظراً لشهرة مصر فى صناعة النسيج الذى عرف عبر التاريخ بالنسيج (القطبى) أى مصرى ، ويطلق عليه دائماً نسيج (القبطيات) وهو نسيج مشهور ، بل مستمر فى شهرته حتى الآن تحت مسميات أخرى ، وقد يستغربها البعض ، لأن طريقة النسيج المصرية القديمة والمتوارثة عن الفراعنة هى التى اخذها الفرنسيون ونفذوا بها نوعين شهيرين من النسيج هما (الجوبلان) و(الإبيسون).

وقد بدأ تنفيذ كسوة الكعبة بعد محمل شجرة الدر فى قصر السلطان وأشهرهم قصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون فى القلعة ، ثم انتقلت ورشة

تطريز الكسوة بعد ذلك إلى بيت أيوب جاويش بجوار مسجد السيدة زينب ثم انتقلت إلى حارة المقاصيص ، وكان لها وقف عبارة عن أرضى ثلاث قرى هى بيسوس وسندبس وأبى الغيط للصرف على الكسوة ، حتى جاء محمد علي ، وحل الوقف ، وأمر أن تتولى الحكومة الإنفاق على تنفيذ الكسوة ونقل تصنيعها إلى درب الخرنفش بباب الشعرية فى قصر أحد الأمراء من أقاربه ، وأنشأ قاعات القصبجية الذين يقومون بحياكة وتطريز الكسوة ، وورشاً لسحب خيوط الذهب والفضة المستخدمة فى الزينة ، وقد نظم العمل فى دار الكسوة على مدى أحد عشر شهراً تبدأ من عيد الأضحى وتنتهى ببداية احتفالات المحمل.

وفور انتهاء تطريز الكسوة واتمام استعدادها تخرج فى محمل بهيج ينتظره الناس ، وقيل أن بعض الأعيان كانوا يستأجرون منازل على مساراته لا يدخلونها إلا يوم المحمل لمشاهدته ويتركونها فى باقى العام.

ويدور محمل الكسوة فى القاهرة مرتين الأولى بعد منتصف شهر رجب، ويكون دورانه فى يوم الاثنين أو الخميس ، ويظل المحمل فى ليلة الدوران داخل باب النصر بالقرب من باب جامع الحاكم ، وكان هو الباب الرسمى للدخول والخروج من القاهرة ويحمل فى الصباح ليسير تحت القلعة ، ثم يتجه إلى الفسطاط فى مصر القديمة ، ثم يعود إلى القلعة مرة أخرى ثم يحمل إلى جامع الحاكم ليبقى هناك حتى شهر شوال .

والدورة الثانية تكون فى نصف شهر شوال ليقوم بنفس الدورة ، ولكنه يعود من القلعة إلى باب النصر دون الذهاب إلى الفسطاط ، ومن باب النصر إلى الريدانية (العباسية) ليأخذ طريق السفر للحجاز .. وقد استبدل فى فترات تاريخية حديثة مسجد الإمام الحسين لبقاء المحمل بدلاً من جامع الحاكم ليعرض خلال هذه الفترة على الناس .

المعركة التى أنقذت العالم من الدمار

فى النصف الأول من القرن الثالث عشر خرجت من قلب القارة الأسيوية جيوش ضخمة من التتار الذين نجح جنكيز خان فى توحيد قبائلهم بعد حرب متواصلة ، ومن ثم انطلقت تلك الموجات البشرية ، المخربة خارج حدودها واكتسحت ببشاعة ما صادف طريقها ، ودمرت وخربت وقتلت مئات الألوف من البشر .. وغزوا تركستان وما وراء النهر وإيران ، وسقطت بغداد فى أيديهم واتخذوا طريقهم إلى حلب واحتلوها عام ١٢٦٠م ، وأسرعت دمشق وغيرها إلى الاستسلام لهولاكو ، وبذلك خضعت سوريا لسيطرة التتار ولم يبق خارجاً عن حكمهم فى الجانب الشرقى العربى إلا مصر والحجاز واليمن .

فى هذه الفترة كانت الدولة الأيوبية قد انتهت ، ودخلت مصر فى حوزة مماليك هذه الدولة الذين سموا بالمماليك البحرية ، وكان أول هؤلاء السلطان عزالدين أيبك التركمانى الذى تولى حكم مصر عام ١٢٥٠م ، وتزوج شجرة الدر ، ولما قتل تولى الملك بعده ابنه على ولقب بالملك المنصور ، وهو صبى لا يزيد عمره عن احدى عشر عاماً فقام بأمر الدولة الأمير سيف الدين قطز ، وقد وقعت فى عام ١٢٥٨م كارثة سقوط بغداد فى يد التتار ، وزالت الخلافة العربية ، فخلع قطز الملك الصغير وتولى هو الملك عام ١٢٥٩ م ولقب بالملك المظفر.

وقد واجه قطز منذ بدء حكمه تهديد التتار لمصــر ، إذ أنهــم بعــد أن استولوا على بغداد وقتلوا الخليفة المستعصم استولوا علـــى ســوريا بأســرها ، وتقدموا نحو غزة يخربون وينهبون ويدمرون كل ما يقع فى طريقهم.

وأرسل هولاكو رسله إلى قطز يحملون إنذاراً له بالخضوع والتسليم فى خطاب شديد اللهجة جاء فيه " يعلم الملك المظفر قطز وسائر أمراء دولته وأهل مملكته بالديار المصرية وما حولها من الأعمال ، أنا نحن جند الله فى أرضه ، خلقنا من سخطه ، وسلطنا على من حل به غضبه ، فلكم بجميع البلاد معتبر ، وعن عزمنا مزدجر ، فاتعظوا بغيركم وأسلموا إلينا أمركم ، قبــل أن ينكشــف الغطاء فتندموا ويعود عليكم الخطأ .. فنحن لا نرحم من بكى ولا نرق لمن شكا، وقد سمعتم أننا قد فتحنا البلاد وطهرنا الأرض من الفساد وقتلنا معظم العبـاد ، فعليكم بالهرب وعلينا الطلب ، فأى أرض تؤويكم وأى طريق تنجيكم وأى بلاد تحميكم .. فما لكم من سيوفنا خلاص ولا من مهابتنا مناص .. سيوفنا صواعق وعددنا كالرمال ، فالحصون لدينا لا تمنع والعساكر لقتالنا لا تنفع ودعاؤكم علينا لا يسمع .. فقد أنصفناكم إذ راسلناكم وأيقظناكم إذ حذرناكم " .

وكان رد قطز أن قطع رؤوس رسل هولاكو وعلقها على باب زويلة ، وجمع جيش مصر وزحف إلى العريش ثم بلغ حدود فلسطين قبــل أن يجمــع التتار قواتهم ، وكان يعسكر معظمها فى سهل البقاع بين جبال لبنــان ودمشــق بقيادة قائدهم الكبير " كتبغا نوين ".

وارتفعت الروح المعنوية عندما تمكن الظاهر بيبرس (وكان فى ذلــك الوقت أحد قواد قطز) بطليعة الجيش من طرد حامية المغــول مــن غــزة .. وزحفت الجيوش المصرية حتى وصلت وعسكرت بالقرب من شرق عكا .

وفى عين جالوت التى تقع بوادى جالوت غرب بحيرة طبرية المطلــة

على وادى نهر الأردن التقى جيشا مصر والمغول يوم الجمعة ٣ سبتمبر ١٢٦٠م .. اقبل كتبغا معتمداً على قوته ، وكان قطز قد عبأ الجيش فى كمين ، ثم امتطى جواده وثبت مع نفر قليل من شجعان الفرسان ، وقابل كتبغا مع عدة آلاف من الفرسان ، وقذف التتار سهامهم وحملوا على المصريين فتراجع قطز، وتعقبه التتار ، وعندما بلغوا الكمين انقض المصريون من ثلاث جهات على جنود المغول ، وقاتلوهم قتالاً مستميتاً من الفجر حتى منتصف الليل ، ثم تعذرت المقاومة على جيش المغول ولحقت بهم الهزيمة آخر الأمر ، وظل كتبغا يكافح بشدة إلى أن كبا جواده فأسر وحمل مكبلاً إلى قطز ، وحكم عليه بالموت.

وسرعان ما أخلى التتار دمشق وحلب وغيرهما من المدن السورية ، ولاذوا فارين معتصمين بقمم الجبال ، وطاردهم المصريون وأفنوا أعداداً كبيرة منهم ، وهرب من سلم منهم إلى الشرق ، ولم تكن تلك الهزيمة هى الأخيرة للمغول على يد المصريين بل لقد اصطدمت بهم جحافل المماليك فى معارك شتى وهزمتهم .

إن موقعة عين جالوت أنقذت العالم المتحضر كله من الدمار ، إذ كانت أول هزيمة تحل بالمغول لأول مرة فى تاريخهم ، مما كان سبباً فى زوال ذلك الاعتقاد الخاطئ بأن التتار لا يقهرون ، ولم تقم لهم بعد هذه المعركة قائمة .. ولو انتصر التتار فى ذلك اليوم لفعلوا بمصر كما فعلوا فى البلاد الأخرى ، ولتغير التاريخ .

وقد قدم إلى مصر فى أوائل عصر السلطان الظاهر بيبرس طائفة من التتار واعتنقوا الدين الإسلامى ، وازداد عددهم فى عهد السلطان العادل ، واتخذوا حى الحسينية مقراً لهم.

خان الخليلى

يقع إلى جوار المكان الذى كان يشغله القصر الشرقى الكبير الذى أنشأه " جوهر القائد " وهو يشغل المكان الذى أعد فيه جوهر القائد المقبرة التى أنشأها لتضم رفات سلاطين الفاطميين وأسلاف المعز وخلفائه ، وسميت " تربة الزعفران ".

وقد سمى بخان الخليلى نسبة إلى الأمير جهاركس الخليلى ، الذى نبش قبور المقبرة وجمع عظامها وألقاها على التلال خارج القاهرة بدعوى أن الفاطميين كانوا كفاراً لا يستحقون الاحترام .. وبالرغم من هذا الاعتداء على رفات الموتى وعدم احترام ما فى القبور ، فإنه وقف الخان وغيره من عقارات وجعل ريعها خبزاً يوزع على فقراء مكة المكرمة ، وفى عام ١٤٠٤ م استبدل الخبز نقوداً.

ومما يذكر أن هذا الأمير قتل بدمشق عام ١٣٨٩ م وتركت جثته عارية فى الفضاء تنهشها الوحوش.

وفى عام ١٥١١م هدم السلطان الغورى خان الخليلى ، وأنشأ مكانه محلات ووكالات يتم الوصول إليها من ثلاث بوابات ، إثنتان متقابلتان وتنتهيان

من أعلى بمقرنصات وزخارف غاية فى الإبداع ، والثالثة فى الطرف الغربى المؤدى إلى المشهد الحسينى .

ويتمتع خان الخليلى بشهرة سياحية عالمية ، ويقصده السائحون من جميع أنحاء العالم ، لاقتناء ما يباع فيه من تحف ذهبية ونحاسية وأقمشة شرقية ومصنوعات شرقية من العاج والصدف والرخام.

أول دولة عربية عرفت الصحافة

تعتبر مصر أول بلد عربى عرف الصحافة ، فعندما جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر عام ١٧٩٨ م أحضرت معها مطبعتين واحدة بحروف لاتينية والثانية بحروف عربية ، وأصدرت صحيفتين فرنسيتين هما " لوكورييه دى ليجبت " أى " بريد مصر " وصدر العدد الأول منها فى ٢٩ أغسطس ١٧٩٨ ، وكانت هذه الصحيفة شبه رسمية ، تصدر لجنود الحملة الفرنسية وتتضمن مواداً إعلامية تعمل على التخفيف من وحشة اغتراب الجنود ، ورفع روحهم المعنوية، والثانية صحيفة " لاديكاد ايجيبسين " أى " العشرية المصرية " لأن علماء الحملة كانوا يعتزمون إصدارها كل عشرة أيام ، وقد تخصصت فى معالجة المواد العلمية والأدبية والقانونية دون السياسية ، وكان فى نيتهم إصدار صحيفة عربية باسم " التنبيه " ولكن تحرج موقفهم فى مصر حال دون ذلك .

ولما رحلت الحملة أخذت معها المطابع والحروف ، وظلت مصر دون مطابع حتى عام ١٨١٩ حين أسس محمد على والى مصر مطبعة بولاق ، وفى عام ١٨٢٧ أصدر محمد على أمره بإصدار " جرنال الخديو " وقد كان فى الواقع يهدف إلى إصدار نشرة خاصة لاطلاعه هو نفسه ونفر من خاصته على شئون البلاد وماليتها ، ولكنه لم يلبث أن لمس حاجة الشعب إلى الاطلاع على

أعمال الحكومة فأمر بتوسيع نطاق جرنال الخديو .. الذى تحول إلى صحيفة الوقائع المصرية وهى الجريدة الرسمية الأولى فى مصر والبلاد العربية ، وقد صدر العدد الأول منها فى نهاية ١٨٢٨ ، وكانت تصدر بالعربية والتركية فى البداية ثم اقتصرت على العربية بعد ذلك .

وأول صحيفة يصدرها فرد فى مصر كانت صحيفة فرنسية اسمها "لومونيتور إجيبسيان " أى " الرائد المصرى " أصدرها رجل فرنسى " كامى تورل " عام ١٨٣٣ بتشجيع من محمد على الذى جعلها جهازاً من أجهزة الدعاية له .. أما أول صحيفة يصدرها مواطن مصرى فكانت " وادى النيل " وأصدرها عبد الله أبو السعود عام ١٨٦٧.

وفى عام ١٨٦٥ أصدر د. محمد على البقلى باشا وإبراهيم الدسوقى مجلة " يعسوب " وهى أول مجلة طبية فى الوطن العربى وصدرت فى السنة نفسها " الجريدة العسكرية المصرية " حيث لم تستطع الوقائع المصرية وحدها أن تنفرد بنشر التفاصيل التى تتصل بهذا الجيش .

وتوالى بعد ذلك إصدار الصحف والمجلات وأبرزها "روضة المدارس" عام ١٨٧٠ وكان يديرها رفاعة رافع الطهطاوى ، وكان لروضة المدارس طابعها الثقافى المتميز ، فقد كانت صحيفة ديوان المدارس ، وكانت توزع على التلاميذ مجاناً ، كما كانت محفلاً لكل كتاب العصر وعلمائه .

وفى عام ١٨٧٦ أصدر اللبنانيان سليم وبشارة تكلا جريدة الأهرام فى الإسكندرية ثم نقلت عام ١٨٩٨ إلى القاهرة حيث بلغت فى فترة قصيرة من الزمن شأناً بعيداً من التقدم والانتشار وكانت أسبوعية ثم أصبحت يومية ، وكانت أول صحيفة عربية تستخدم آلات الجمع السطرى العربى .

وأول صحيفة كاريكاتورية فى العالم العربى هى " أبو نظارة " ليعقوب

صنوع وصدرت عام ١٨٧٧ ، وقد صادرت الحكومة جريدته لغلوه فـي النقـد والتجريح ضد رجال الدولة والسياسيين الأجانب ونفته إلى بـاريس ، وهنـاك استأنف إصدارها تحت أسماء " أبو زمارة " و " أبو صـفارة " و " الحـاوى " وذلك لتفلت من الرقابة.

وفى عام ١٨٨١ صدر أول قانون للمطبوعات فى مصر ، وكـان أول تشريع يحدد واجباتها ويقيد حقوقها ، وقد اشتمل على ٢٣ مادة كان أهمها إيداع مبلغ (١٠٠ جنيه) مقابل الحصول على الترخيص ، وكان من حق الحكومـة الامتناع عن إعطاء الترخيص أو نزع الترخيص فى أى وقـت تشـاء كـذلك حرمت ورود الصحف من الخارج .

وبدأت الصحافة بعد الاحتلال البريطانى لمصر مرحلة جديدة حيث رأت سلطات الاحتلال ألا تقف دون حريـة الصـحافة ، فألغـت العمـل بقـانون المطبوعات حيث كان الإنجليز فى أمان بعد النكسة التى أصابت الثورة العرابية وإحساس المصريين بالإحباط ، ولما اشتدت الحركة الوطنية مرة أخرى أحيـت قانون المطبوعات وحالت دون دخول مجلة العروة الوثقى التى يصدرها جمـال الدين الأفغانى ومحمد عبده فى باريس عام ١٨٨٤ .

وفى عام ١٨٨٦ صدرت فى أسيوط أول صحيفة محلية فى مصر وهى صحيفة " النزهة " وأصدرها جورجى خياط وخليل إبراهيم ويوسـف تـادرس وهى نبذة نصف شهرية ثم تحولت بعد ذلك إلى أسبوعية .

وظهرت فى هذه الفترة صحف تدافع عن حقوق الباب العالى فى مصر، وصحف تدافع عن مصالح فرنسا فيها وأخرى تدافع عن الإنجليـز ، غيـر أن الوطنيين لم يلبثوا أن انشأوا صحيفة المؤيد عام ١٨٨٩ م وكان صاحبها الشيخ على يوسف ، وكان لها مراسلون فى عدد من عواصم الشرق والغرب وكانـت

أول صحيفة فى مصر تستخدم طابعة روتاتيف (دوراة) وذلك عام ١٩٠٦ .. وفى عام ١٨٩٢ وبعد أن عاد عبد الله النديم إلى مصر أصدر مجلته الأسبوعية " الأستاذ " فتم نفيه من مصر فنزح إلى يافا ، بعد أن أغلق صحيفته وودع قراءه .. وفى عام ١٩٠٠ أصدر مصطفى كامل " اللواء " .

ولما انتهت الحرب العالمية الأولى وتفجرت ثورة ١٩١٩ صدرت الصحف الحزبية فكان لحزب الاتحاد الموالى للسراى صحيفة الاتحاد ولحزب الوفد عدة صحف أهمها " البلاغ " و " كوكب الشرق " و " الجهاد " و "روزاليوسف" و " المصرى " ، ولحزب الأحرار الدستوريين " السياسة " وعندما انشق احمد ماهر ومحمود فهمى النقراشى عن الوفد وكونا الهيئة السعدية أصدرا صحيفة " الدستور " و " الأساس " وأصدر الحزب الوطنى "العلم المصرى" و"الدفاع الوطنى" وأصدر حزب الشعب صحيفة " الشعب " وجماعة مصر الفتاة " الصرخة " ولما تحولت إلى حزب أصدرت صحيفة "مصر الفتاة" وأصدر الأخوان المسلمون جريدة " الأخوان المسلمين " وأصدرت الكتلة الوفدية "الكتلة" .

وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية كانت صحف قديمة قد اختفت وظهرت صحف جديدة كان أبرزها " أخبار اليوم " لمصطفى أمين وعلى أمين عام ١٩٤٤ ، وبعد ثورة ١٩٥٢ توقفت صحف كثيرة عن الصدور لإلغاء الأحزاب ، وأصدرت الثورة بعض الصحف والمجلات منها الجمهورية ومجلة التحرير .. وتمهيداً للقوانين الاشتراكية التى صدرت فى يوليو ١٩٦١ صدر فى ٢٤ مايو ١٩٦٠ قانون تنظيم الصحافة نقلت بمقتضاه ملكية دور صحف "الأهرام" و " الهلال " و " روزاليوسف " و " أخبار اليوم " إلى الاتحاد القومى الذى حل محله بعد ذلك الاتحاد الاشتراكى .

ولما صدر قانون الأحزاب عام ١٩٧٣ وقامت الأحزاب التـــى ســـمح القانون بقيامها أصدرت صحفاً أسبوعية وكان أهمها " مايو" والتى تحول اسمها بعد ذلك إلى " الوطنى اليوم " عن الحزب الوطنى الديموقراطى و"الأحرار" عن حزب الأحرار و " الأهالى " عن حزب التجمع الــوطنى التقــدمى الوحــدوى و"الشعب" عن حزب العمل الاشتراكى و " الوفد " عن حزب الوفد الجديد ، ثــم تتابع إصدار الأحزاب التالية صحفاً لها.

الحجر الذى وضع أساس
علم الآثار المصرية

حجر رشيد .. ففى أثناء الحملة الفرنسية على مصر وفى أغسطس ١٧٩٩ م عثر الضابط الفرنسى "بيير فرانسوا بوشارد " بالصدفة على حجر من البازلت فى حائط لقلعة جوليان برشيد عندما كان جنود الحملة يحفرون الخنادق بالقرب من مصب نهر النيل برشيد .. ولذلك عرف بحجر رشيد .. ويبلغ ارتفاعه ١١٣سم وعرضه ٧٥سم وسمكه ٢٧ سم .

وكان الغرض من الحجر أن يكون وثيقة عامة وأثراً يسجل عليه الكهنة المصريون الشكر لبطليموس لأنه عمل على إراحتهم من الضرائب وكان ذلك عام ١٩٦ ق.م ويحتوى الحجر على ثلاث كتابات ، هى الهيروغليفية للكهنة ، والديموطيقية للعامة ، واليونانية لليونانيين الموجودين فى مصر (كان اليونانيون يحكمون مصر فى ذلك الوقت) .. ثم سقط الحجر ودفن بين الأطلال حتى تم اكتشافه.

وترجع أهمية حجر رشيد إلى أنه كان الأداة التى استطاع بها جين شامبليون فى عام ١٨٢٢ أن يحل رموز الكتابة المصرية مما وضع الأساس للعلم المعروف " بعلم الآثار المصرية " وفتح مجالاً واسعاً للبحث فى هذا الميدان ، وكانت الطريقة التى تمكن بها شامبليون من حل رموز الكتابة

المصرية القديمة هى أنه أكتشف أن الاسمين بطليموس وكليوباترا مكتوبان بالأحرف الهيروغليفية والحروف اليونانية على الأثر نفسه ، فاستطاع بذلك تحديد أصوات اثنى عشر رمزاً من الرموز المستعملة فى كتابة هذين الاسمين ، وأثبت أنها حروف هجائية ، وحينئذ تمكن شامبليون من قراءة عدة أسماء من أسماء الملوك والملكات ، ولم يكن ليستطيع قبل أن يصل إلى هذه المرحلة الاستفادة من حجر رشيد الذى مكنه من زيادة عدد ما يعرفه من الرموز الهيروغليفية ومن معرفة معانى الكلمات ، وقبل أن يموت عام ١٨٣٢ كان قد وضع مؤلفاً صغيراً فى قواعد الهيروغليفية وأعد معجماً صغيراً فى هذا المجال .. ويوجد حجر رشيد الآن فى المتحف البريطانى بمدينة لندن.

محمد على ....
وحلم مصرى الملامح

مهما قيل فى شخص محمد على ومهما قيل فى عصره ، فإن محمد على هو الذى أدخل مصر والبلاد العربية فى العصور الحديثة ، أنشأ دولة وحكومة ثابتة مستقلة شملت معظم الدول العربية ، وأنشأ من ما يشبه العدم جيشاً ضخماً حديث العدة والإعداد ، وبنى أسطولاً قوياً واجه الدول الكبرى وحقق انتصارات باهرة ، وأصلح الإدارة والاقتصاد ، وضاعف الأراضى المزروعة أكثر من مرتين ، وشيد المستشفيات وشق الترع ، وأدخل مصر والعرب فى عصر التصنيع .

تولى محمد على حكم مصر عام ١٨٠٥ م ، ووجد أن إصلاح أمور الدولة يبدأ بإصلاح الجيش ، وجاءت الفرصة عام ١٨٢٠ بعد أن فرق الجيش القديم فى أماكن بعيدة ، وكانت الخطوة الأولى افتتاح المدرسة الحربية فى أسوان التى زودها محمد على بالضباط والمعلمين ممن تشبعوا بالنظام العسكرى الجديد ، وتم إعداد ألف ضابط فى هذه الكلية خلال ثلاث سنوات شكلوا النواة الأولى للجيش المصرى الحديث .

ثم انطلق محمد على فى مشروعه فأنشأ المستشفى العسكرى الأول ثم مدرسة الطب ثم المدرسة الحربية للمشاة ثم مدرسة أركان الحرب بالخانكة ، وقد دعم محمد على تدريب جيشه بإرسال فرقه إلى ميادين القتال المختلفة فى

الجزيرة العربية والسودان وبلاد اليونان ، وفى مطلع ١٨٢٤ كـان قـد أنشـأ معسكراً كبيراً للجيش فى الخانكة كان يضم ما يقرب من ٢٥ ألف من الجنـود النظاميين ، وأرسل عدداً من المصريين إلى أوربا لإكمال دراسـتهم الحربيـة ليحلوا محل المدربين الأجانب ، وتوسع فى إنشاء المدارس العسكرية وترجمـة الأنظمة العسكرية الفرنسية إلى اللغة العربية ، وكانت كافة تنظيمـات الجـيش المصرى مماثلة لجيش نابليون تماماً .

ثم انشأ أول الترسانات العسكرية فى القلعة لتزويد الجيش بالأسلحة ، ثم انشأ إلى جانبها مصانع أخرى ، مثل مصنع البنادق فـى الحـوض المرصـود ومصنع البارود بجزيرة الروضة ، وفى عام ١٨٣٩ بلغ التعداد العـام للجـيش المصرى ما يقرب من ربع مليون جندى ، وهو رقم عظيم للغاية بالقياس إلـى جيوش الدول العظمى فى ذلك الزمان.

وقد اهتم محمد على بالأسطول البحرى فبدأ فى تشكيل نواته عام ١٨١٠ عندما أنشأ ترسانة بولاق ، وظل يعتمد على شراء بعض السفن الحربيـة مـن أوربا حتى حدثت موقعة نافارين الشهيرة ، وقرر محمد علـى بعـدها تشـييد أسطول جديد بأيد مصرية حتى لا يكون أسطوله رهن الإرادة الأوربية ، فبـدأ العمل فى إنشاء ترسانة الإسكندرية عام ١٨٢٩ وما هى إلا سنوات حتى كـان لمصر أسطول بحرى قوى وكانت ترسانة الإسكندرية واحدةً من أعظم المنشآت الحربية .

ورأى محمد على أن بناء الجيش الحديث لا يكون دون اقتصـاد قـوى فأنشأ عدة مصانع لصب الحديد وغيره من المعادن ، ومصانع لجميـع أنـواع الأقمشة ، وتطورت فى عهده صناعة الغزل والنسيج تطوراً ملحوظاً ، وبعد أن كانت لوازم المصانع تستورد من الخارج أصبحت تصـنع محليـاً ، وأدخلـت

الآلات البخارية فى المصانع ، وأرسل بعثات من العمال الفنيين للاطلاع على أحوال الصناعة فى أوربا واكتساب المهارات ، ولتطوير صناعة الحرير عنيت الدولة بغرس أشجار التوت وتطوير مصانع الصباغة والألوان .. واهتمت الدولة بتطوير صناعة سبك الحديد وألواح النحاس والمواد الغذائية ، والعناية بزراعة قصب السكر وتصنيعه .

ومع ازدهار الصناعة اتسع نطاق التجارة وازداد حجم الصادرات ولاسيما من القطن ، وقد وفر ذلك الاعتمادات اللازمة لتطوير الصناعة وبناء الدولة، وقد ساعد الأسطول التجارى الذى أنشأته السلطات المصرية إلى جانب الأسطول الحربى فى توسيع رقعة التجارة حتى بلغ مجملها خمسة ملايين جنيه سنوياً ، وقد اقتضى ذلك تطهير البحر الأحمر وجميع خطوط المواصلات البحرية من القراصنة ، كما اقتضى ذلك العناية بالطرق الداخلية ، وكان من نتائج ازدهار الصناعة والتجارة أن قامت الحكومة ببناء القناطر ، وشق الطرق، وتشييد المستشفيات ، وبناء المدارس ، وإنشاء الخطوط التلغرافية ، وتنظيم البريد ، وإنشاء دار المحفوظات لحفظ الوثائق .

وكان محمد على قد بدأ فى السنة التالية لتوليه السلطة إصلاحاته الزراعية ، فقام بشق العديد من الترع التى أحيت الكثير من الأراضى الزراعية وسهلت المواصلات وزادت مساحة الأراضى المزروعة من مليون فدان عام ١٨٢١ إلى ٣ مليون فدان عام ١٨٣٣ ، وكان القطن المعروف فى مصر من النوع الردىء ، فشجع على زراعة نوع من القطن النادر طويل التيلة فأحدث بذلك إنقلاباً فى ميدان زراعة القطن.

وقد أدرك محمد على أن تأسيس الدولة الحديثة لا يتم إلا عبر التعليم ، وكانت الخطوة الأولى استقدام المدرسين الأجانب وإرسال البعثات إلى الخارج

من أجل إعداد كوادر من المتعلمين تعليماً عالياً ، وقد بدأ محمد على باختيار بعض المتخرجين من الأزهر لإمداد المدارس العالية ، وقد أصبح الكثيرون منهم فى غضون سنوات قليلة أساتذة بارزين ، وانشأ محمد على مدرستين للهندسة فى القلعة وبولاق ، ومدرسة للطب فى أبى زعبل حيث يوجد المستشفى العسكرى والحق بها حديقة لزراعة النباتات لاستخراج العقاقير منها ، ثم قسمت الدراسة فيها إلى قسمين لتخريج الأطباء والصيادلة ، ثم انشأ مدرسة القابلات والولادة ، كما انشأ مستشفى خاصاً للنساء.

كما انشأ محمد على مدرسة الترجمة (الألسن فيما بعد) عام ١٨٣٦ وكان لها شأن كبير فى النهضة الفكرية بالعالم العربى ، كما انشأ مدرسة المعادن فى مصر القديمة ، ومدرسة المحاسبة بالسيدة زينب ، ثم مدرسة الفنون إلى جانب مدرسة الزراعة بنبروة أولاً ثم بشبرا بعد ذلك ، ومدرسة الطب البيطرى برشيد، ثم فى أبى زعبل ثم فى شبرا ، وانشأ مطبعة بولاق لتمد هذه المدارس بما تحتاجه من كتب ومؤلفات .

لقد أراد محمد على أن يقيم دولة عربية مستقلة تضم كافة الدول العربية وتكون نواتها مصر ، وكاد أن يحقق ما أراد لولا تدخل الدول الأوربية ، فقد استطاع تحقيق ما عجزت عنه الدولة العثمانية وأخمد الحركة الوهابية ، وبسط نفوذه على سائر أنحاء الجزيرة العربية ، ووصلت الجيوش المصرية إلى اليمن والخليج العربى ثم بدأ تدخل بريطانيا ، كما ضم السودان ، وقاد حملته إلى بلاده المورة فى اليونان لإخماد ثورة اندلعت هناك لولا تدخل الدول الأوربية التى حطمت الأسطول المصرى عام ١٨٢٧ ، واستطاعت الجيوش المصرية بعد ذلك أن تبسط سيطرتها على الشام واصبح الطريق مفتوحاً إلى الاستانة مما أذهل الدول الأوربية التى تدخلت كالعادة ، وضغطت بريطانيا وفرنسا عليه لقبول

صلح كوتاهيه ١٨٣٣ وأعطى محمد على بمقتضاه حكم بلاد الشام وابنه إبراهيم حكم (أطنة)على ألا يكون لهما الحق فى توريثهما من بعدهما.

وهكذا قامت بفضل جيش مصر الحديث دولة عربية تمتد من أطنة شمالاً إلى غندكرو بالسودان جنوباً ومن الخليج العربى شرقاً إلى برقة غرباً ، ولم يبق سوى العراق التى حاول محمد على لولا دسائس الإنجليز .. وعندما استأنف السلطان العثمانى الحرب ضد محمد على عام ١٨٣٩ وحلت الهزائم الفادحة بجيوشه وأصبح الأمر لمحمد على لا محالة ، عملت إنجلترا على تأليب الدول ضد مصر وعقد اتفاق فى لندن عام ١٨٤٠ ونص على أن يعرض السلطان على محمد على أن يكون له حكم مصر حكماً وراثياً وولاية عكا طول حياته ، وأن يكون لولاة مصر حقوق فى إدارة البلاد تحت سيادة الدولة العثمانية، فإذا لم يقبل محمد على هذه الشروط فى عشرة أيام يحرم من ولاية عكا ، فإذا لم يقبل فللسلطان الحق فى اتخاذ أى طريق تشير به عليه مصالحه الخاصة ومصالح حلفائه ، وتعهدت الدول الاوربية بمساعدة السلطان فعلياً ضد محمد على .. وكان هذا الاتفاق كارثة على مصر وعادت الدول العربية بعد ١٨٤٠ إلى ما كانت عليه من الانقسام.

أول مطبعة فى مصر

مطبعة بولاق .. ذلك أن الحملة الفرنسية بعد أن رحلت عن مصر عام ١٨٠١ أخذت معها مطابعها ، وظلت مصر بلا مطابع حتى ١٨١٩ حين أسس محمد على والى مصر مطبعة بولاق ، وطبعت فى البداية قاموساً عربياً إيطالياً، وفى عام ١٨٢٨ طبعت جريدة الوقائع المصرية .. وقد تأسس بعدها عدد من المطابع الصغيرة منها مطبعة مدرسة الطب بأبى زعبل ، ومطبعة الطوبجية (المدفعية) بطره ، ومطبعة ديوان الجهادية ومطبعة ديوان الخديوى ومطبعة القلعة وغيرها .

وقد مرت فترة من الركود بمطبعة بولاق ، وفى ٧ أكتوبر ١٨٦٢ أهداها سعيد باشا لعبد الرحمن رشدى بك الذى بدأ تجديدها ، ولما تولى إسماعيل حكم مصر اشتراها من صاحبها لحساب الدائرة السنية وجلب لها محركاً بخارياً وهو أول محرك بخارى يستخدم فى مطبعة مصرية ، كما أضيفت لها طابعة للطبع بالألوان وقامت فى تلك الفترة بطبع الطوابع الأولى للبريد المصرى ، واستحقت مطبوعات بولاق الميدالية الفضية فى معرض باريس الذى أقيم عام ١٨٦٧ .. وفى عام ١٨٧٤ تم طبع أول كتاب باللغة الإيطالية بمطبعة بولاق وهو " النخبة الترجمانية فى اللغة التليانية " ، وفى يونيو ١٨٨٠ انتقلت ملكية المطبعة إلى الحكومة المصرية.

ويلاحظ أن الأفراد المصريين لم ينشئوا مطابع قبل ١٨٣٧ عندما بدأوا التعرف على الأهمية التجارية لها ، أما الأجانب فقد انشأوا مطبعة في الإسكندرية حوالى عام ١٨٢٤.

وعرفت القاهرة أول مطبعة أفرنجية عام ١٨٤٢ وهى مطبعة "ميلونى"، وفى عام ١٨٦٠ أسس " أنطون موريس " بالإسكندرية مطبعة جلب لها أول طابعة أتوماتيكية عرفتها مصر .. وفى عام ١٨٦٧ أسس " بناسون " بالإسكندرية أول مطبعة حجرية فنية أجنبية بمصر .

وفى عام ١٨٦٦ أنشئت أول مطبعة لطبع صحيفة هى مطبعة وادى النيل التى أنشئت أساساً لطبع صحيفة وادى النيل ، وقد طبعت هذه المطبعة إلى جانب ذلك بعض الكتب منها كتاب " القراءة والكتابة للعميان " وهو أول كتاب من نوعه يصدر فى مصر والبلاد العربية .

وفى عام ١٨٧٢ أنشئت مطبعة أركان حرب الجيش المصرى بالقلعة وهى من أوائل المطابع فى الشرق العربى التى طبعت بالألوان ، وفى عام ١٨٩٨ أنشئت مطبعة مصلحة المساحة وهى أول مطبعة فى مصر تقتنى طابعة أوفست ، وقد نالت مطبوعاتها الدبلوم والميدالية الذهبية فى المعرض الدولى الذى أقيم فى مدينة " لييج " ببلجيكا عام ١٩٣٠.

وكانت مطبعة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية التى بدأت نشاطها فى عام ١٨٩٨ هى أول مطبعة فى مصر استخدمت الحروف الهيروغليفية.

وفى عام ١٩٠٦ اشترى الشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد لجريدته أول مطبعة دائرية (روتاتيف) فى الشرق العربى .. وكانت مطبعة الهلال أول دار صحفية أدخلت طباعة (الروتغرافور) أى الطباعة الغائرة.

هذا الرجل دوّن تاريخ مصر

هو عبد الرحمن حسن الجبرتى (١٧٥٤ – ١٨٣٥) .. أرسله والـده وهو طفل إلى مدرسة السنانية القريبة من منزلهم بالصنادقية ليحفظ فيها القرآن الكريم ، وأتم حفظه فى سن الحادية عشرة ، ثم التحق برواق الشـام بـالأزهر ليتعلم أصول الدين على مذهب الحنفية ، وتزوج الجبرتى فى الرابعة عشرة من عمره ، وبعد موت أبيه ورث عنه ثروة ضخمة مادية وأدبية .

وكان الجبرتى يعمل فى ديوان القضايا حين دخل الفرنسيون مصـر ، وقد اختاره الجنرال مينو آخر قواد الحملة الفرنسية عضواً فى الديوان الثالـث الذى أنشأه هذا القائد ، ومن أهم مؤلفات الجبرتى كتابه " عجائب الآثـار فـى التراجم والأخبار " أرخ فيه الأحداث يوماً بيوم ، ولقد وقعت أجل الأحداث فـى عصره من قبيل دخول الفرنسيين مصر إلى فترة كبيرة من عهد حكـم محمـد على، فدون فى تاريخه كل ما جد فى تلك الفترة حسب ما رآه ومـا سـمعه ، وأعقب كل سنة بتراجم من مات فيها من الأمراء وكبار العلماء والأعيان ، وقد ترجم هذا الكتاب إلى الفرنسية.

وعند الجبرتى دون المؤرخون جميعاً نشعر أننا نعيش فى بيئة مصرية خالصة ، نجد الأسماء والأماكن والعطفات والدروب التى لا نزال نرى الكثيـر

منها ، وهو يأخذنا دائماً كي نعيش بين هذه الأماكن ونشهد بأعيننا وعواطفنا هذه الوقائع والأحداث ، كما نجد التعبيرات المصرية الخالصة والأمثال المصرية البحتة التى خلفتها البيئة المصرية ، وتفاصيل كثير من ثورات شعب مصر فى وجه حكام مصر الظالمين ، وهو لم يسجل مواقف المكافحين من سادة القوم وزعمائهم فحسب بل سجل مواقف لأولاد البلد فى القاهرة والأقاليم.

وقد نال كتاب عجائب الآثار فى التراجم والأخبار تقديراً كبيراً من الباحثين والعلماء ، فقد ترجم قسم منه إلى اللغة التركية بأمر من السلطان سليم الثالث وهو القسم الخاص بالحملة الفرنسية ، وقد ترجم الكتاب كله إلى الفرنسية فى تسعة أجزاء.

كان الجبرتى يدين بولاء واحد ، هو ولاءه لمصر وحدها وهذا سر ما نجده من مظاهر التناقض فى تدوينه لأحداث عصره وتسجيله سير العظماء من رجاله ، فهو تارة يبدو صديقاً مدافعاً عن المماليك يمدحهم ويذكر مآثرهم وأخلاقهم وصفاتهم بإكبار وتعظيم ، وتارة يسخط على أعمالهم وأخلاقهم وصفاتهم ، وهو على كراهيته القوية الواضحة المتأصلة لمحمد على يسجل له بعض ما أقدم عليه من عمل صالح كان يرى فيه الجبرتى منفعة لمصر ، وهو على صدق تدينه وإيمانه يمدح فى مناسبات كثيرة الفرنسيين وقائدهم ، ولكن هذا تناقض ظاهر فقط فقد كان الجبرتى يعيش الأحداث والرجال بمقاييس الصدق والحقيقة والخير ، فهو يمدح للمماليك ما يصنعون من خير ويذم لهم ما يقترفون من شر ، وذلك حاله مع الفرنسيين .

وقد أصيب الجبرتى بمحنة قاسية فى آخر حياته ، ففى فجر أحد الأيام كان ولده خليل عائداً من قصر محمد على فى شبرا – حيث كان يعمل فلكياً – خرج عليه جماعة وأخذوا يضربونه حتى قضوا عليه وخنقوه ثم ربطوه بحمار ،

فلما أصبح الصبح عرفه الناس ووجدوا على صدره دفاتر مكتوبة وأسطرلاباً لرصد النجوم ، وقد قيل أن رجال محمد على هم الذين قتلوه للخلاف الموجود بين محمد على والجبرتى .. ولقد تحطمت حياة الجبرتى بموت ابنه على هذه الصورة ، وكان قد فرغ منذ شهور من تهذيب كتابه الخالد وانشغل بعدها فى تدوين كتاب عن أحداث " الثورة اليونانية " كما وضع كتاب " مظهر التقديس فى ذهاب دولة الفرنسيس "وترجم إلى الفرنسية والتركية .

وترك الجبرتى القراءة والكتابة والتأليف ، وعاش فى حزن وصمت حتى ذهب بصره ثم توفى .

وقد بقى تاريخ الجبرتى بالعربية محجوباً أو ممنوعاً حتى أذن الخديوى توفيق بطبعه ، فطبع لأول مرة بالمطبعة الأميرية عام ١٨٨٠م.

أول خط سكك حديدية فى الشرق

كانت مصر هى أول دولة فى الشرق تمد خطاً لسكة حديد ، وبدئ فـــى إنشائه عام ١٨٢٥ م ، وتم افتتاحه عـــام ١٨٥٤ وهـــو الخـــط بـــين القـــاهرة والإسكندرية ، ثم مد إلى طنطا عام ١٨٥٥ حتى تم توصيله إلى القاهرة فى عام ١٨٥٦ وأشرف على إقامته الإنجليزى روبرت ستيفنسن ابن جورج ستيفنســـن مخترع القاطرة البخارية .. وما أن تم مد هذا الخط حتى بدئ فى مد خط جديد من القاهرة إلى ميناء السويس عبر الصحراء وتم افتتاحه لحركـــة النقـــل فـــى نوفمبر ١٨٥٨ ، وبذلك اكتملت الحلقة التى ربطت بين البحر الأحمر والبحـــر المتوسط ، وسهلت الاتصال بين الشرق والغرب.

أما الوجه القبلى فقد بدئ فى مد شبكة الخطوط الحديدية إليه فـــى عـــام ١٨٦٧ م حيث وصلت إلى ملوى فى عام ١٨٧٠ ثم توالى مد باقى الخطوط .. أما خط حلوان فقد أنشئ بين عامى ١٨٧٠ و ١٨٧٢ وقد قامت الحكومة فى عام ١٩٥٦ بكهربة الخط وإنشاء خط إضافى له فى سفح الجبل الشرقى ليخصـــص لسير قطارات البضائع التى تخدم المصانع المنشأة بالقرب من حلوان.

ومما يذكر أن أول خط حديدى فى العالم قد مد بين مـــدينتى ســـتوكتن ودارلنجتن بإنجلترا عام ١٨٢٥ ، واشرف على إقامته جورج ستيفنســـن الـــذى

أطلق على قاطرته البخارية اسم" الروكت " وكانت سرعتها ٣٥ ميلاً فى الساعة وهى محفوظة الآن فى متحف لندن لوسائل النقل .

وفى متحف السكك الحديدية بميدان رمسيس بالقاهرة الذى أفتتح عام ١٩٣٣ يوجد نماذج عديدة تبين تطور النقل والسكك الحديدية فى مصر والعالم من فجر التاريخ وخاصة عند قدماء المصريين ، فهناك نموذج مجسم يبين كيف كان الفراعنة ينقلون تمثالاً يزن ستين طناً على زحافة بنظام هندسى بديع ، ونماذج تبين وسائل المواصلات والنقل فى عهد الإغريق والرومان ، وأقسام أخرى تعرض مجموعة كبيرة من النماذج تشرح تطور القاطرات الأولى فى العالم ومصر ، ومن بينها نموذج لأول فكرة للقاطرات التى ظهرت عام ١٧٨٣، وأخرى لأول قاطرة سارت بمصر عام ١٨٥٤ ، كما يوجد نماذج وصور للمحطات القديمة والحديثة وأنواع كبارى السكك الحديدية وتطورها وتاريخها.

وفى ١٩٨٧/٩/٢٧ تم افتتاح مترو أنفاق القاهرة وهو أول مترو أنفاق بأفريقيا والعالم العربى ، وأمتد فى مرحلته الأولى من حلوان إلى رمسيس ، ثم تتابع إنشاء مرحلتيه الثانية والثالثة فى محاولة لربط أطراف القاهرة ببعضها.

أول مجلس نيابى فى مصر

مجلس شورى النواب الذى اجتمع لأول مرة فى ٢٢ أكتوبر ١٨٦٦ فى فترة حكم الخديوى إسماعيل ، ويبدو أن هدف إسماعيل من وراء إنشـاء هـذا المجلس كان تحقيق المزيد من السيطرة على كبار الأعيان الذين تكـون مـنهم المجلس وكسب تأييدهم السياسى ودعمهم المالى له ، وتحسين صورة عهده أمام المحافل الأوربية والبنوك التى كان يقترض منها .

وتألف المجلس من ٧٥ عضواً ينتخبون لمدة ٣ أعوام ، ويكون الانتخاب حسب تعداد السكان فى كل منطقة ، وتتمثل الهيئة الناخبة فـى مشـايخ الـبلاد وعمدها فى المديريات والأعيان فى القاهرة والإسكندرية ودمياط ، ولـم يكـن يمثل هذه المدن الثلاث الكبرى سوى ستة أعضاء ، وهكذا سيطرت عناصر من كبار ملاك الأرض على المجلس ولم يكن للصناع أو التجار أو المتعلمين وجود يذكر فيه.

واشترط فى النائب أن يكون مصرياً ممن يتصفون بالرشد والكمال ، لا يقل عمره عن ٢٥ سنة ، ولا تكون قد صدرت ضده أحكام جنائية أو طرد من وظائف الحكومة أو حكم عليه بالإفلاس وألا يكون من الفقراء المحتـاجين ، أو من موظفى الحكومة والعسكريين ، كما وضع شرط معرفة القراءة والكتابة على

أن يطلق بالنسبة للناخبين بعد ٣٠ سنة مراعاة لظروف انتشار الأمية فى البلاد ، ويتمتع أعضاء المجلس بالحصانة الجنائية أثناء دورة إنعقاده إلا إذا ارتكب أحدهم جريمة القتل ، ويعقد المجلس دورته لمدة شهرين كل سنة من منتصف ديسمبر إلى منتصف فبراير ، ويكون اختيار رئيس ووكيل المجلس من حق الخديوى .

وكان المجلس لا يناقش سوى المسائل التى تعرضها الحكومة عليه ، كذلك فإن سلطة المجلس استشارية وليست قطعية ، ومن ثم فإن ما يصدر عنه هو بمثابة توصيات ليست ملزمة للخديوى وإنما ترفع له وهو يمتلك سلطة إصدار القرار.

وفى ١٧ مايو ١٨٧٩ تقدم محمد شريف باشا بمشروع اللائحة الاساسية التى تعد أول مشروع دستور نيابى برلمانى فى مصر ، وفى ٢ يوليو قدم إلى المجلس مشروع اللائحة الانتخابية.

وحسب مشروع اللائحة الاساسية فقد كان للمجلس الذى يتكون من ١٢٠ عضواً سلطة البرلمانات الحديثة مثل اقرار حق الميزانية والقوانين واعتبار النظارة (الوزارة) مسئولة أمامه ، وحق النواب فى توجيه الأسئلة والاستجوابات إلى النظار (الوزراء) ، كما أعطى المجلس حق انتخاب رئيسه ووكيله وحق الحكم فى صحة انتخاب نوابه دون تدخل أى جهة أخرى.

أما النائب فهو يمثل الأمة بأسرها وليس دائرته الانتخابية فقط ، ومنع الجمع بين النيابة والنظارة والنائب حر فى إبداء رأيه ويتمتع بالحصانة البرلمانية .. وأعطت اللائحة للخديوى الحق فى حل المجلس والدعوة إلى انتخابات جديدة فى حالة الخلاف بين المجلس والنظارة ورفض الأخيرة الاستقالة .

ولكن هذا التطور سرعان ما أوقف نتيجة للتدخل الأوربـــي وإصـــدار السلطان فرماناً بخلع الخديوى إسماعيل وتنصيب الأمير توفيق بدلاً منه فى ٢٦ يونيو ١٨٧٩ ، وقام الخديوى بفض مجلس شورى النواب وعطل الحياة النيابية ما يزيد على عامين ، ورفض التصديق على اللائحة الأساسية ، ثم رضخ لذلك فى النهاية بعد تصاعد حركة أحمد عرابى فى ٩ سبتمبر ١٨٨١ ودعا لانتخاب أعضاء مجلس شورى النواب تبعاً لأحكام اللائحة الأساسية.

وبعد الاحتلال الإنجليزى لمصر أقامت سلطة الاحتلال نظامـــاً للحكـــم يضمن مصالحها فصدر القانون النظامى فى أول مايو ١٨٨٣ والذى يعد نكسة فى التطور الدستورى لمصر .. ونص على تعدد المجالس وهى مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، ولا يمكن القول بأن ذلك يعد أخذاً بنظام المجلسين، فهذا يفترض اختلاف طريقة تكوين كل مجلس بينما كان الوضـــع أن مجلـــس شورى القوانين يدخل بكامل هيئته فى تكوين المجلس الآخر كما أن رئيس الأول هو رئيس الثانى ، بالإضافة إلى الطبيعة الاستشارية للمجلس فى الغالب.

وفى أول يوليو ١٩١٣ صدر قانون نظامى جديد يسمح بتمثيل متوسطى ملاك الأراضى الزراعية ، وألغى مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، وأنشئت الجمعية التشريعية التى لم تختلف كثيراً عن التنظيمات السابقة من حيث مقوماتها وأسسها وطبيعتها الاستشارية .. وكانت الجمعية تتكون من ٨٣ عضواً تعين الحكومة منهم سبعة عشر لتمثيل الأقليات والمصالح ويكون مـــن بيـــنهم الرئيس وأحد الوكيلين ، وهكذا أدخل القانون تمثيل الطوائف التى قصـــد بهـــا تمثيل الأقليات الدينية والمصالح الاقتصادية والطائفية مما يكرس الفروق الدينية والاجتماعية ، وعقدت الجمعية التشريعية دورتها الأولى فى ٢٢ يناير ١٩١٤.

وقد نص دستور ١٩٢٣ على أن الاختصاص التشريعى فى يد البرلمان

– أى مجلس النواب والشيوخ – والملك بحيث لا يصدر قانون إلا إذا أقره البرلمان وصدق عليه الملك .

وتكون البرلمان – حسب المذكرة التفصيلية للدستور – من مجلسين تحوطاً من إمكانية استبداد البرلمان إذا كان مكوناً من مجلس واحد ، وتلافياً للخطأ والتسرع إذ يقوم كل من المجلسين بمراجعة أعمال الآخر وتصحيح الأخطاء ، ولكن المذكرة لم تشر إلى حقيقة أن مجلس الشيوخ كان أقل ديموقراطية فى تكوينه وأكثر تعبيراً عن الطبقات الثرية فى المجتمع ، كما تميز بأن للملك حق تعيين خمسى أعضائه ولذلك يرى البعض أن السبب الأساسى لاتباع نظام المجلسين هو إحداث التوازن بين الاتجاهات الديموقراطية والشعبية للنواب ، والاتجاهات الاستبدادية للقصر والطبقات التى رأت فى الحركة الشعبية خطراً على مصالحها .. وبخصوص العلاقة بين المجلسين فلا يصدر قانون إلا بموافقة المجلسين وفى حالة الخلاف بينهما يسقط القانون باستثناء الميزانية فيعقد اجتماع مشترك للمجلسين فى هيئة مؤتمر ويؤخذ التصويت بالأغلبية المطلقة.

ولكل منهما حق اقتراح القوانين باستثناء حق اقتراح إنشاء الضرائب أو زيادتها فقد قصر على الملك ومجلس النواب ، كذلك فإن مناقشة الميزانية يجب أن تبدأ فى مجلس النواب ، وهو الذى يستطيع سحب الثقة بالوزارة .. ولا يجوز الجمع بين عضوية المجلسين كما لا يجوز الجمع بين عضوية أى منهما وتولى الوظائف العامة ، ولم يحدد الدستور عدد أعضاء المجلسين ولكن ربط بين عدد الأعضاء وعدد سكان البلاد ، فعضو مجلس الشيوخ المنتخب ينوب عن ١٨٠ ألفاً من السكان وعضو مجلس النواب ينوب عن ٦٠ ألفاً.

ولكن تعثر تطبيق دستور ١٩٢٣ من الناحية العملية ، فقد تم حل مجلس النواب أكثر من مرة ، بل أن جميع المجالس التى شكلت فى ظله لم تكمل مدتها الدستورية.

وألغى دستور ١٩٢٣ بصدور دستور ١٩٣٠ إلا أن الأخير أيضاً لم يعمر طويلاً بسبب تزايد الضغط الشعبى ورفض مصر كلها له ، فألغى عام ١٩٣٤ وتم حل مجلسى البرلمان اللذين قاما فى ظله وتم إعادة العمل بدستور ١٩٢٣.

ورغم ذلك نجد أن مجالس النواب التى جاءت فى ظل دستور ١٩٢٣ قد تعرضت للحل أكثر من مرة .. وظل الحال على هذا المنوال حتى تم حل البرلمان فى يناير عام ١٩٥٢ عقب حريق القاهرة وظلت مصر بدون برلمان حتى قيام ثورة يوليو فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وأعلن مجلس قيادة الثورة من ديسمبر ١٩٥٢ سقوط دستور ١٩٢٣.

فى ١٩٥٦/١/١٦ أعلن دستور ١٩٥٦ الجديد .. وعلى أساس هذا الدستور شكل أول مجلس نيابى فى ظل ثورة ٢٣ يوليو وبدأ جلساته فى ٢٢ يوليو ١٩٥٧ .. وقد أطلق عليه اسم " مجلس الأمة " ، واستمر هذا المجلس حتى ١٩٥٨/٢/١٠.

وعقب قيام الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ صدر دستور مارس المؤقت وشكل مجلس أمة مشترك ، واستمر حتى ١٩٦١/٦/٢٢.

وفى مارس ١٩٦٤ صدر دستور مؤقت وفى ظله تم قيام مجلس أمة منتخب مكون من ٣٥٠ عضواً بالإضافة إلى عشرة أعضاء يعينهم رئيس الجمهورية.

وفى ١٩٧١/٩/١١ تم وضع الدستور الدائم ، وفى ظله جرت انتخابات مجلس الشعب الذى عقد أولى جلساته فى ١٩٧١/١١/١١ وهو أول مجلس يستكمل مدته الدستورية وهى خمس سنوات كاملة .

وفى عام ١٩٧٦ تم إجراء انتخابات جديدة فى ظل نظام المنابر السياسية

التى تحولت فيما بعد إلى أحزاب سياسية بموجب قانون نظام الأحزاب السياسية فى مصر الذى صدر عام ١٩٧٧.

وفى ١٩٧٩/٤/٩ وافق الشعب فى استفتاء عام علـــى إنشـــاء مجلـــس الشورى ، الذى عقد أول اجتماعاته فى ١٩٨٠/١١/١.

عندما مات مائة ألف مصرى
من أجل قناة السويس

إن فكرة شق قناة تربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر فكرة قديمة .. وكانت تعود إلى الحياة بين الحين والحين ، ولكن اتساع التجارة بين أوربا والهند والشرق الأقصى حفز الناس على التفكير فى طريق أقصر ، حيث كانت السفن المتجهة من أوروبا إلى الهند تدور حول أفريقيا ، وكان من الطبيعى أن يكون الإنجليز هم أول من يفكرون فى حفر قناة السويس بسبب اتساع تجارتهم ، ولكن الفرنسيين هم الذين سبقوا إلى العمل رغبة فى ترسيخ أقدامهم فى الشرق. فعندما غزا نابليون مصر عام ١٧٩٨ م قام بإجراء مسح للمنطقة إلا أنه صرف النظر عندما أكتشف وجود فرق قدره ١٠ أمتار فى المنسوب بين البحر المتوسط والبحر الأحمر ، مما جعل الأمر يبدو مستحيلاً ولكن تبين بعد ذلك أن هذا الاكتشاف كان خاطئاً.

وفى ٧ نوفمبر ١٨٥٤ استطاع الفرنسى فرديناند ديلسبس – الذى كان يعمل قنصلاً مساعداً لحكومته فى الإسكندرية – أن يتقرب من محمد سعيد باشا الذى تولى عرش مصر ، فاتصل به وعرض عليه مشروع حفر قناة السويس التى تمتد من ميناء بور سعيد فى البحر المتوسط إلى ميناء السويس فى خليج السويس المؤدى إلى البحر الأحمر .. وتمكن فى ٣٠ ديسمبر ١٨٥٤ من أن يحصل على امتياز حفر القناة .

وفى ١٨٥٦ تكونت الشركة العالمية لقناة السويس البحرية وساهمت فيها مصر وتركيا وفرنسا وأخذت مصر ٤٤% من الأسهم ، ووقع الاختيار بين عديد من التصميمات على التصميم الذى أعده مهندس إيطالى لامع يسمى "لويجى نيجريللى" .

وقد تعهدت الحكومة للشركة بتقديم العمال بالسخرة .. وفى ٢٥ إبريل ١٨٥٩ بدأ العمال المصريون يحفرون القناة دون أن يتقاضوا أجراً ، وكان يرسل منهم لهذا العمل ستون ألف كل شهر ، وفى وقت لم يكن يزيد مجموع سكان مصر كلها على أربعة ملايين نسمة ، ومات من هؤلاء العمال تحت الانهيارات الرملية ما يزيد على المائة ألف دون دفع أى تعويض عنهم ، ووضعت البلاد تحت تصرف الشركة جميع وسائل النقل البرى والنهرى تستخدمها دون أن تدفع أجراً ، وقامت الجهود المصرية فى كل من ترسانة القاهرة والإسكندرية بإعداد المشروعات اللازمة لإكمال حفر القناة .

ولمصر يعود الفضل الأول فى تمويل عمليات حفر القناة ، فقد بدأت الشركة برأس مال لا يتجاوز ١,٥ مليوناً من الجنيهات ، ولكن تكاليف حفر القناة وصلت إلى ما يزيد على ١٦ مليون جنيه ، فتحملت مصر الفرق كاملاً ، ثم لم تستطع الشركة الحصول على تمويل خارجى ببيع أسهمها فى الأسواق الدولية ، فاشترت الحكومة المصرية هذه الأسهم ، ثم تدخلت مرة أخرى لمساعدة الشركة حين توقف العمل بها قبل افتتاحها بستة أشهر عندما دفعت مصر ١,٥ مليون جنيه ، ولم تكتف الشركة بذلك بل تحت ستار بعض المحاولات من جانب حكام مصر لتعديل جانب من الشروط المهينة فى عقد الالتزام تقاضت الشركة من مصر حوالى ٣,٥ مليون جنيه مقابل إلغاء السخرة واسترداد بعض الأراضى الصحراوية الزائدة عن حاجة القناة .. ولولا هذه الجهود المصرية ما أمكن لمشروع قناة السويس أن يشق طريقه.

وفى ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ أقيم احتفال أسطورى بمناسبة انتهاء أعمال حفر قناة السويس ، حيث غادر ميناء بورسعيد أسطول مؤلف من ٢٠ سفينة يتقدمه اليخت الإمبراطورى الفرنسى " إيجل " الذى اقل فرديناند ديلسبس والإمبراطورة أوجينى زوجة نابليون الثالث ، وقد سار الأسطول يتهادى فى القناة حتى نهايتها حيث وصل إلى السويس ثم أقيمت الحفلات أثر هذا الافتتاح.

وبعد أن رفضت بريطانيا فى البداية المساهمة فى شركة قناة السويس ، إلا أنها تراجعت بعد أن وضحت أهميتها بل أن الملكة فيكتوريا كرمت ديلسيبس ومنحته وسام " نجمة الهند " وأخذت تتحين الفرصة حتى واتتها بعد وقوع مصر فى الديون ، واشترت حصة مصر فى الشركة عام ١٨٧٥ بـ ٤ مليون جنيه ، وأصبحت تملك أغلبية الأسهم ، ومنحت الشركة حق أداره القناة ٩٩ سنة ثم احتلت بريطانيا مصر.

وفى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ تم تأميم شركة قناة السويس بعد أن انسحبت الولايات المتحدة وبريطانيا من مشروع تمويل السد العالى ورفض البنك الدولى تمويله ، وفى ذلك الوقت كان دخل مصر من القناة مليون جنيه فى حين كان مجموع دخل القناة ٣٥ مليون جنيه .. وعلى الرغم من إعلان مصر بأنها ستمنح الدول المالكة التعويض المناسب ، إلا أن إنجلترا وفرنسا وإسرائيل قامت بشن العدوان الثلاثى على مصر فى ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ فى محاولة لاستعادة الصفة الدولية السابقة للقناة ولكنهم لم يلبثوا أن أذعنوا للأمر الواقع .. وفى عام ١٩٦٧ نتيجة للعدوان الإسرائيلى على مصر أقفلت قناة السويس وظلت كذلك حتى افتتاحها للملاحة فى ٥ يونيو ١٩٧٥ بعد انتصار مصر فى حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .. لتعود أقرب شريان ملاحى يربط الشرق بالغرب.

أول من نادى بتعليم المرأة

رفاعة رافع الطهطاوى (١٨٠١ - ١٨٧٣).. ولد فى طهطا فى صعيد مصر ، وتنقل بين مدن الصعيد ، وحفظ شيئاً من القرآن الكريم ، وبعد وفاة والده أرسلته والدته إلى القاهرة حيث ألتحق بالأزهر وتلقى العلم من شيوخه ، وظل فى الأزهر ثمانية أعوام ، ولما تخرج فيه اشتغل بالتدريس فى الجامع . وكان فى هذه الفترة يسافر إلى بلده حيث يلقى بعض الدروس على الطلاب .

وفى عام ١٨٢٤ م عين رفاعة الطهطاوى إماماً وواعظاً فى الجيش . وفى عام ١٨٢٦ اختير إماماً لتلاميذ البعثة المصرية المسافرة إلى باريس . فاشتغل بتعلم اللغة الفرنسية وآدابها ، وانصرف إلى الترجمة فنقل عدداً من الكتب الأدبية والتاريخية والجغرافية والرياضية والعسكرية ، وسجل رحلته فى كتاب " تخليص الابريز فى تلخيص باريز " وفيها رسم صوراً من حياته فى باريس والحياة الاجتماعية فى فرنسا فى القرن التاسع عشر .

وقد أصيب رفاعة بضعف فى عينه اليسرى أثناء إقامته فى باريس للمذاكرة والتحصيل ، حتى نصحه الطبيب بعدم القراءة ليلاً ، ولكنه لم يمتثل لأوامره حتى لا يعوق ذلك تقدمه .

وعاد رفاعة الطهطاوى إلى مصر عام ١٨٣١ ، وعين مترجماً فى

مدرسة الطب بأبى زعبل ، وكان يرأسها كلوت بك ، وبعد عامين نقل إلى مدرسة التوبجية مترجماً ، وعندما أنشئت مدرسة الألسن عين مديراً لها وأستاذاً بها ، ثم ألحق بالمدرسة قلم الترجمة ، وقد بلغ عدد الكتب التى ترجمها خريجوا المدرسة حوالى ألفى كتاب ، وكان لحركة الترجمة هذه أبعد الأثر فى النهضة الفكرية فى القرن التاسع عشر.

ولما تولى عباس الأول الحكم كان الطهطاوى قد أقدم على ترجمة "دستور فرنسا" ونشره مفسراً ما جاء فيه من بنود عن " حقوق العوام " ، وبوشاية من بعض المشايخ المتعصبين أوغروا صدر عباس على رفاعة الطهطاوى ، وكان دليلهم هذا الكتاب ، وهدفهم إبعاده عن التعليم خوفاً على طرق تدريسهم التقليدية من المدرسة التربوية الحديثة التى كان يبشر بها فى مدرسة الألسن التى ما لبث أن أغلقها عباس هى الأخرى فيما أغلق من مؤسسات كثيرة ، وإذا بعباس ينتزعه من مدرسة الألسن ويختار له نظارة أول مدرسة ابتدائية مصرية فى الخرطوم.

وبعد وفاة عباس الأول وتولى سعيد بسبعة أيام فقط صدر أمر بإعادة رفاعة الطهطاوى إلى مصر ، وعين وكيلاً للمدرسة الحربية ثم ناظراً لها فمديراً لمدرسة الهندسة ومدرسة العمارة مع الاحتفاظ بقلم الترجمة ، ولكن هذه المدارس جميعاً لم تلبث أن ألغيت فظل رفاعة الطهطاوى بلا منصب حتى عهد إسماعيل ، حين تم إعادة قلم الترجمة من جديد فعين عضواً فى " قومسيون المدارس " وهو المجلس الأعلى الذى كان يشرف على التعليم والحركة التربوية.

وقد قام رفاعة الطهطاوى بجهود كثيرة فى ميدان الصحافة ، فعمل على تنظيم جريدة الوقائع المصرية ، وهى أول صحيفة عربية فى مصر والعالم العربى ، كما قام بالإشراف على مجلة " روضة المدارس " وباشر تحريرها ابنه على بك فهمى.

ولاحظ رفاعة الطهطاوى أن كتب النحو المستخدمة فى المدارس جارية على الأسلوب العتيق ولا تصلح للعصر الحديث ، فوضع كتاباً جديداً أسماه "التحفة المكتبية فى القواعد والأحكام والأصول النحوية بطريقة مرضية" وحاول فى هذا الكتاب أن يبسط القواعد النحوية ويخلصها من الشوائب والتعقيدات وعرضها فى شكل جداول حتى يتمكن الطلبة من حفظها.

كما ألف رفاعة كتاباً فى تعليم المرأة أطلق عليه " المرشد الأمين للبنات والبنين" ، وقد يكون ظهور مثل هذا الكتاب اليوم حدثاً عادياً ، أما ظهوره عام ١٨٧٢ فقد كان حدثاً غير عادى ، إذ تناول فكرة تعليم المرأة بالتحليل والتفصيل وضرب الأمثلة من التاريخ فى وضوح وجلاء ، وروى أخبار كثير من النساء الشهيرات ، وكتب فصلاً بعنوان " تشريك البنات مع الصبيان فى التعلم والتعليم وكسب العرفان جاء فيه " ينبغى صرف الهمة فى تعليم البنات والصبيان معاً لحسن معاشرة الأزواج ، فتتعلم البنات القراءة والكتابة والحساب ونحو ذلك .. فإن هذا مما يزدهن أدباً وعقلاً ويجعلهن بالمعارف أهلاً فيعظمن فى قلوبهم، ويعظم مقامهن لزوال ما فيهن من سخافة العقل والطيش " .

بهذه الروح كان رفاعة الطهطاوى أول من دعا إلى تعليم المرأة ، والتحرر من قيود الجهل والخروج إلى نور المعرفة.

المرأة المصرية ... ومسيرة تحضر

تمتعت المرأة المصرية بمكانة عالية طوال التاريخ ، ففى العصر الفرعونى نالت حقوقها المختلفة ، وتبوأت المراكز والسلطة ، ومثلت كياناً له وجوده الراسخ فى المجتمع ، فقد شهدت الحضارة المصرية القديمة ملكات تمتعن بمكانة مرموقة وكان من نسلهن أولئك الذين أشادوا أول حضارة ، وأول حرب لتحرير البلاد من الاستعمار ، وأول إمبراطورية عرفها التاريخ القديم ، مثل حتب - حرس زوجة الملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة أم الملك خوفو بانى الهرم الأكبر، ولها آثار قيمة عثر عليها فى مقبرتها بالجيزة ، والملكة حنت كاوس والتى يرجح أنها كانت من بنات الملك منقرع وقد تكون هى بعينها نيتوكريس التى تردد اسمها فى كتب التاريخ وقد أطلقت على نفسها لقب "ملك الوجهين القبلى والبحرى" ، والملكة سبك نفرو رع التى تولت الحكم عقب وفاة أخيها الملك امنمحات الرابع ، واياح حتب أم الملك أحمس الأول ، والملكة حتشبسوت صاحبة معبد الدير البحرى ، والملكة تى زوجة الملك امنحتب الثالث وشريكته فى توجيه سياسته والتى كانت من بنات الشعب ، والملكة نفرتيتى زوجة اخناتون ، والملكة تويا أم الملك رمسيس الثانى .

وفى العصر الحديث شهدت مصر دعوات متكررة لإعادة المرأة المصرية إلى مكانتها اللائقة ، وكانت أولى هذه الدعوات دعوة رفاعة

الطهطاوى لتعليم المرأة ورفع سن الزواج حتى تتمكن من التعليم ، والتى جاءت فى كتابه " المرشد الأمين للبنات والبنين " عام ١٨٧٢، والذى جاء مواكباً لافتتاح أول مدرسة للبنات فى مصر والتى أنشأتها زوجة الخديو إسماعيل جشمت هانم أفندى وهى المدرسة السيوفية ١٨٧٣ ــ السنية فيما بعد سنة ١٨٨٩ ــ ودعوات جمال الدين الأفغانى الذى طالب بإعطائها مكانتها ، ومحمد عبده الذى نادى بضرورة تربية البنات وتعليمهن ، ودعوة قاسم أمين فى كتابيه "تحرير المرأة ١٨٩٩" و " المرأة الجديدة ١٩٠١ " واللذان كانا بمثابة الثورة على أوضاع المرأة .

وتدعمت حركة إيقاظ المرأة المصرية بالصحافة النسائية التى انطلقت منذ عام ١٨٩٢ على يد هند نوفل صاحبة مجلة " الفتاة " بالإسكندرية ، ولويز حبالين صاحبة مجلة الفردوس النسائية ١٨٩٨، ولبيبة ماضى وملكة سعد فى مجلة الجنس اللطيف (١٩٠٨ ــ ١٩٢١) ، ولبيبة هاشم صاحبة مجلة فتاة الشرق (١٩٠٦ــ ١٩٣٩) .

وظهرت بوادر تحرير المرأة على يد المثقفات فتنشد عائشة التيمورية أشعارها ، وتكون ملك حفنى ناصف أول من نالت شهادة الابتدائية عام ١٩٠٠ ودبلوم المعلمات فى مصر ١٩٠٣ ، وأتقنت اللغات ونظمت الشعر ، ومارست نشاطها الأدبى ، وكانت صاحبة أول صوت نسائى يدوى مطالباً بحقوق المرأة كاملة فى المؤتمر الإسلامى بهليوبوليس عام ١٩١١ ، ونشرت كتابها "النسائيات" الذى جمع أفكارها .

وشاركت النساء الأرستقراطيات فى المجال الثقافى ، واعتبر صالون الأميرة نازلى فاضل المحور الذى تجمع فيه مؤيدو وأنصار تحرير المرأة ، وأصبحت المؤسسة الثقافية التى شكلت الأفكار الحديثة ، كما مثل صالون مى زيادة نفس الاتجاه .

وأسهمت الجامعة المصرية الأهلية فى هذه النهضة منذ نشأتها ، فقد فتحت أبوابها فى أيام معينة للمرأة محاضرة ومستمعة ، وكان من المحاضرات ملك حفنى ناصف ولبيبة هاشم ومى زيادة ونبويه موسى وهى أول مصرية تحصل على شهادة البكالوريا عام ١٩٠٧ وأول امرأة تعمل معلمة للغة العربية وأول ناظرة مصرية ، وبلغ عدد المترددات على المحاضرات الصباحية بكلية الآداب ٣٥ سيدة فى العام الجامعى ١٩٠٩ــ ١٩١٠ .

ومنذ بداية القرن العشرين كان للفتيات نصيب فى البعثات التعليمية وانعكست هذه الأوضاع على حالة التعليم ، حيث أنشئت العديد من المدارس الابتدائية للبنات ، وأنشئت مدرستان للمعلمات بالقاهرة والإسكندرية ، وخفضت المصروفات لإتاحة الفرصة للراغبات .

وبدأت النواة الأولى للمشاركة الاجتماعية للمرأة وذلك بتكوين الجمعيات، فأنشئت " جمعية الاتحاد النسائى التهذيبى " ، وانصبت مهمتها على تلك المحاضرات التى ألقيت فى الجامعة ، وسعت هدى شعراوى ــ وهى سيدة أرستقراطية من صعيد مصر ابنة محمد سلطان رئيس المجلس النيابى فى عهد الثورة العرابية وزوجة على شعراوى أحد زعماء ثورة ١٩١٩ــ إلى تأسيس جمعية " الرقى الأدبى للسيدات المصريات " .

كانت ثورة ١٩١٩ بداية انطلاق المرأة المصرية وتغيير أوضاعها ، وكان أول عمل تقوم به تنظيم مظاهرة فى ١٦ مارس ١٩١٩ اشترك فيها ٥٣٠ سيدة وفتاة وعلى رأسهن زوجات زعماء الثورة ومتظاهرات جئن من الأقاليم وطالبات المدارس ، وقد تم الإعداد لهذه المظاهرة ببيت هدى شعراوى ، وفى ٢١ مارس ١٩١٩ تكررت المظاهرة ، وفى ١٢ ديسمبر ١٩١٩ عقد إجتماع نسائى بزعامة هدى شعراوى فى الكنيسة المرقصية بالقاهرة والتى اختيرت عن

فهم وذكاء لتبرهن على الوحدة الوطنية حيث أعلن سخطهن على وزارة يوسف وهبة ولجنة ملنر ، وفى ١٦ يناير ١٩٢٠ سارت مظاهرة نسائية من باب الحديد إلى عابدين هاتفة ضد الاستعمار متصدية للجنود الإنجليز ... وصاحب تـأليف الوفد المصرى تشكيل لجنة الوفد المركزية للسيدات ، ثم أسست هدى شعراوى الاتحاد النسائى المصرى عام ١٩٢٣ .

وكما سبق الإشارة فإن الجامعة الأهلية فتحت أبوابها للمرأة المصـرية كمستمعة فى البداية ، وبدأت فى قبولها كطالبة اعتباراً من عـام ١٩٢٩ حـين التحق بها ١٧ طالبة فى كليات العلوم والآداب والطب والحقـوق ، فـى عـام ١٩٣٢ التحقت بطب الأسنان ، وفى عام ١٩٣٥ بالتجارة ، وفى عـام ١٩٣٦ بالصيدلة ، وفى عام ١٩٤٥ بالهندسة والزراعة والطب البيطرى ، وبلغ عـدد الطالبات فى الجامعة ٣١٢ طالبة عام ١٩٣٥ ، وفى عام ١٩٤٣ بلغ عـددهن ٣٠٠٠ طالبة فى كلية الآداب وحدها .

وجاءت نتائج الدفعة الأولى مشرفة للمرأة المصـرية فجـاءت سـهير القلماوى فى المركز الأول فى قسم اللغة العربية بكلية الآداب ، وفاطمة فهمـى الأولى فى قسم الإجتماع ، وزهيرة عبد العزيز الثانية ، وحصلت عفيفة اسكندر على دبلوم الآثار فكانت ثالث امرأة فى العالم فى هذا المجال .

وكانت الدكتورة سهير القلماوى أول امرأة مصرية تحصل على درجـة الدكتوراه ، حيث نالت درجتها العلمية من السوربون عام ١٩٤١ ، وكانت فيما بعد أول رئيسة لقسم اللغة العربية بكلية الآداب .

وقد شهدت هذه الفترة خروج المرأة المصرية للحياة العامة فقد شـهدت الكابتن لطيفة النادى أول مصرية تطير بطائرة وكان ذلك عام ١٩٣٣ فى سباق الطيران الدولى بين القاهرة والإسكندرية ، وشهدت عائشة مـراد أول سـباحة مصرية للمسافات الطويلة بين دمياط وراس البر عام ١٩٣٩ .

وفى عام ١٩٤٨ أسست د. درية شفيق أول حزب سياسى نسائى وهو حزب " بنت النيل " وكانت قد حصلت على درجة الدكتوراه من السوربون فى الفلسفة ، وطالبت بتعيين المرأة وطالبت بتعيين المرأة فى النيابة ، وتعديل قانون التجنيد الإجبارى حتى يمكن تجنيد المرأة ، وأسست مجلة بنت النيل .

ومنذ قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ أدت المرأة المصرية دوراً بارزاً فى الحياة السياسية والاجتماعية ، فقد شهد عام ١٩٥٤ تعيين عزيزة حسين لتكون أول امرأة مصرية وعربية تعين عضواً فى وفد مصر بالجمعية العامة للأمم المتحدة، ثم رأست لجنة دراسة أوضاع المرأة التابعة للأمم المتحدة عام ١٩٦١ .. وتحتل عزيزة حسين منذ ذلك اليوم مكانة راقية عالمياً بين الرائدات .. ومؤخراً تم اختيارها لتكون ضمن أهم (٢٧) سيدة على مستوى العالم كان لهن دوراً مهماً فى إحداث تغييرات سياسية واجتماعية فى مجال التنمية .

وكان أهم ما تضمنه دستور ١٩٥٦ منح المرأة المصرية حقوقها السياسية والقيادية الكاملة لأول مرة ، وكانت راوية عطية أول نائبة فى مجلس الأمة عام ١٩٥٧ ، وكانت د. حكمت أبو زيد الحاصلة على درجة الدكتوراه من جامعة لندن أول وزيرة مصرية وعربية حين تقلدت منصب وزيرة الشئون الاجتماعية عام ١٩٦٢ .

كما كانت صفية المهندس أول رئيسة للإذاعة المصرية من ١٩٧٥ ــ ١٩٨٢ ، وتماضر توفيق أول رئيسة للتليفزيون المصرى من ١٩٧٧ ــ ١٩٨٠، وأختيرت د. عائشة راتب كأول سفيرة لمصر فى الدنمارك عام ١٩٧٩ ، ثم فى ألمانيا بين عامى ١٩٨١ ــ ١٩٨٤ ، وانتخبت د. آمال عثمان كأول وكيلة لمجلس الشعب عام ١٩٩٧ .

أول سلام وطنى مصرى

اهتم المؤرخون للدولة المصرية القديمة بالحديث عن الموسيقى فى قصور الملوك الفراعنة ، ولكنهم لم يتحدثوا عن الموسيقى الرسمية أو اللحن الذى يعزف عند قدوم الملك لإحدى الاحتفالات الرسمية وربما كان ذلك لعدم وجود لغة تكتب بها الموسيقى فى ذلك الوقت .

وكان أول سلام وطنى مصرى حفظت لنا ألحانه المتميزة هو السلام الوطنى الذى بدأ عزفه فى عهد الخديو إسماعيل وظل هو السلام الوطنى حتى ١٩٦٠ .. ولم تحفظ كتب التاريخ الموسيقى الطريقة التى أصبحت بها هذه الموسيقى سلاماً وطنياً ، ويقول البعض أن الموسيقى الإيطالى " فيردى " كتب ألحان هذا السلام ، وعزف للمرة الأولى عام ١٨٧٢ ، ويقول البعض الآخر أن ألحان هذا السلام ليست إلا المقدمة الموسيقية (الكانتاتا) التى قدمت لأول مرة فى افتتاح دار الأوبرا وعزفت للمرة الأولى عام ١٨٦٩.

وفى سنة ١٩٦٠ صدر قرار جمهورى بإتخاذ سلام وطنى جديد وهو المؤسس على لحن كمال الطويل لنشيد " والله زمان يا سلاحى " للسيدة أم كلثوم، ولم يكن هناك كلمات مصاحبة للحن لذا كان يطلق عليه السلام الجمهورى .. وفى عام ١٩٧٤ صدر قرار جمهورى بالاكتفاء بعزف الجزء الأول منه فقط ،

إلا أنه أجرى تعديل آخر عام ١٩٧٥ بالعودة لعزفه بالكامل كما كان.

وفى عام ١٩٧٩ صدر قرار جمهورى بتعديل السلام الجمهورى لجمهورية مصر العربية إلى اللحن الخالد لفنان الشعب سيد درويش " بلادى بلادى " والذى أعاد توزيعه الموسيقار محمد عبد الوهاب ، ثم صدر فى ديسمبر ١٩٨٢ قرار جمهورى بمراعاة أن تصاحب كلمات المقطع الأول من نشيد "بلادى بلادى" النوتة الموسيقية فى جميع الاحتفالات الشعبية والوطنية ، وأن يقتصر السلام الوطنى على عزف النوتة بغير نشيد فى حالة استقبال الرؤساء والوفود الأجنبية ، وفى غير ذلك من الأحوال التى تقتضى عزفه مع السلام الوطنى لدولة أجنبية.

قصر عابدين

كان فى الأصل قصراً صغيراً تملكه "حسن شاه خاتون " أرملة محمد بك عابدين أحد أمراء المماليك ، وقد أوقفته واشتراه الخديو إسماعيل من أصحاب الاستحقاق فى الوقف مقابل ١٨٠ فداناً بعزبة برحكيم بالدقهلية ، وكتبت بذلك حجة شرعية باسم الخديو شخصياً ، وقد بناه الخديو بمبالغ وصلت فى ذلك الوقت إلى حوالى ٧٠٠ ألف جنيه بخلاف نفقات تأثيثه بأفخر الأثاث والتحف بما لا يقدر بثمن.

وقد بدأ العمل فى بناء قصر عابدين عام ١٨٦٣ م وافتتح عام ١٨٧٤ م وظل منذ ذلك الحين المقر الرسمى للدولة بدلاً من قصر الجوهرة بالقلعة.. وأقيم على مساحة قدرها ٢٤ فداناً تشغل الحديقة منها ١٩ فداناً ، وتبلغ مساحة القصر نفسه خمسة أفدنة .

وقد أقام الخديو إسماعيل فى أحد جوانب القصر ثكنات الحرس الخديوى، ثم فتح شارع عابدين وشارع عبد العزيز وجعلهما من الطرق المؤدية إلى القصر وخطط منطقة عابدين كلها وردم ما كان حولها من برك مثل بركة الناصرية وبركة السقايين وبركة الفوالة ، ثم أدخلت تعديلات بعد ذلك حيث هدم

حى الفوالة الذى يقع خلف بنك مصر ، وأنشئ حى أرض شريف مكان ســراى محمد شريف باشا رئيس نظار مصر الأسبق .

وكان الحى الرئيسى فى عابدين حينذاك هو شارع البلاقسة وما يحيط به ويتفرع عنه من حارات ، وكان حى الشيخ عبد الله فى ذلك الوقت جبانة أزيلت ولم يبق من معالمها غير مسجد الشيخ عبد الله وضريح الشيخ ريحان ومــدفن عماد الدين صاحب الشارع الشهير المجاور لضريحه ، وقد كان عماد الدين هو الخادم الخاص لصلاح الدين الأيوبى .

أول وزارة فى مصر

نظارة نوبار باشا التى تشكلت فى ١٨٧٨/٨/٢٨م .. ويذكر أنه كان مسموحاً فقط للسلطان العثمانى فى تركيا بإطلاق اسم الوزارة فى تركيا ، أما فى البلاد التابعة فهى مجرد نظارة .. ويرجع سبب تشكيل هذه النظارة إلى أنه نظراً لتدهور الأوضاع الاقتصادية فى عهد إسماعيل واستمرار الضغط الأوربى لضمان الانتظام فى سداد الديون ، أوصت لجنة التحقيق العليا وهى لجنة أوربية فى يناير ١٨٧٨ ببحث أسباب العجز فى الإيرادات واقتراح أوجه العلاج ، بتغيير نظام الحكم وبضرورة نزول الخديو عن سلطته المطلقة ، وكان مبعث هذا الاقتراح رغبة إنجلترا فى زيادة قبضتها وسيطرتها على مصر .. وبالفعل تكونت نظارة نوبار باشا وقد شكلها من رياض باشا للداخلية وراتب باشا للجهادية وعلى باشا مبارك للأوقاف والمعارف العمومية ، واحتفظ لنفسه بنظارتين هما الخارجية والحقانية (العدل) ، وبعد مرور شهر أصدر الخديو مرسوماً بتعيين مستر ريفرس ويلسون الإنجليزى ناظراً للمالية ومسيو دى بليز الفرنسى ناظراً للأشغال العمومية ، وهنا يتضح أن إنشاء نظام الوزارة فى مصر لم يكن دعماً للحركة الدستورية بل تكريساً للنفوذ الأجنبى بمعنى أنه حد من سلطة الخديوى من أجل مصلحة القوى الأجنبية.

وكان من القرارات التى اتخذتها هذه النظارة تسريح ٢٦٠٠ ضابط مما أشعل المعارضة لها فى خارج وداخل مجلس شورى النواب ، وقام الضباط بمظاهرة فى ١٨ فبراير ١٨٧٩ مما أدى إلى إعفاء النظارة فى ١٨٧٩/٢/٢٣.

ومن الجدير بالذكر أن نوبار باشا لم يكن مصرياً ، بل كان أرمنياً ولد فى أزمير عام ١٨٢٤ ، وتعلم فى فرنسا وسويسرا ، ثم جاء إلى مصر وعمل فى الترجمة ، ثم سكرتيراً خاصاً لإبراهيم باشا ، ثم سكرتيراً لعباس باشا ، ثم مديراً للسكة الحديد فى عهد سعيد ، ثم رسولاً لإسماعيل فى أوروبا لحل المشكلات (الممثل الشخصى) وكان صاحب فكرة المحاكم المختلطة ، وعندما تقرر إنشاء الحكومات تم اختياره أول رئيس للحكومة المصرية.

وفى ١٨٧٩/٤/٧ كلف محمد شريف باشا بتأليف أول نظارة مصرية خالصة تكون مسئولة أمام مجلس شورى النواب تحت ضغط من جميع القوى السياسية فى مصر ، وهو الضغط الذى تبلور فى لائحة وطنية فى نفس الشهر وطالب بتشكيل نظارة مصرية بلا أجانب.

ويرجع أصل الوزارة إلى مجموعة الدواوين التى أنشأها محمد على ، وعدل فى تكوينها عدة مرات ، وكانت تتكون أساساً من مجموعة من الموظفين، وفى البداية أنشأ محمد على الديوان العالى والذى سمى أحياناً بالديوان الخديوى أو ديوان الوالى أو ديوان المعاونة ومقره القلعة ، وتكون من عدد من كبار الموظفين ورأسه نائب الوالى ليقوم بالتداول فى شئون الحكم قبل التنفيذ ، كما أوجد الوالى لكل مجال من مجالات الحكم ديواناً مثل ديوان الجهادية وديوان البحرية وديوان الأشغال وديوان المدارس وديوان التجارة وكانت بمثابة فروع من الديوان العالى .

وفى عام ١٨٣٤ أنشئ المجلس العالى ويتكون من نظام الدواوين وعدد

من كبار الموظفين واثنين من العلماء يختارهم شيخ الجامع الأزهر واثنين من التجار يختارهم كبير تجار العاصمة ، واثنين من ذوى المعرفة بالحسابات ، كما يضم اثنين من الأعيان عن كل مديرية ، ومدة عضوية المجلس سنة ، وأكد محمد على ضرورة استماع رئيس المجلس إلى الآراء المختلفة وألا يتحدث قبل الأعضاء حتى لا يتأثروا برأيه وأن تكون المناقشة جادة وفى إطار حر.

وفى عام ١٨٣٧ أصدر محمد على القانون الأساسى (السياستنامة) وأشار فيه إلى أن النظام الأمثل لمصر يتطلب تركيز السلطات فى يد الحاكم ، وأن تكون جميع المصالح المتعلقة بالأمور الداخلية مرجعها إلى ديوان واحد ، وحدد اختصاصات الحكم فى سبعة دواوين عرفت باسم دواوين العموم ، وفى عام ١٨٤٧ استكمل البناء الحكومى بإنشاء ثلاثة مجالس أخرى .

وكانت الدواوين أجهزة فنية معاونة ذات صفة استشارية ، ولم يكن لها سلطة اتخاذ القرار التى ركزت فى يد الوالى ، واستمر هذا الوضع أساساً فى الفترة التى تلت محمد على باستثناء بعض التعديلات التنظيمية ، فقام عباس باشا بإعادة تكوين المجلس الخصوصى ، كما أعاد سعيد باشا تنظيم الدواوين فى أربعة فقط .

وأول وزارة تألفت فى ظل الاحتلال الإنجليزى كانت تحت رئاسة محمد شريف باشا (أغسطس ١٨٨٢ – يناير ١٨٨٤) وكانت هى النظارة التى تلقت التبليغ الإنجليزى الشهير ومؤداه أن على النظارة والمديرين المصريين ضرورة اتباع نصائح ممثلى حكومة جلالة الملكة أو التخلى عن مناصبهم ، حتى قدمت النظارة استقالتها نتيجة الخلاف مع الإنجليز حول موضوع إخلاء السودان.

ومع إعلان الحماية الإنجليزية على مصر عام ١٩١٤ تغير اسم النظارة إلى الوزارة دون أن يترتب على ذلك تغير فى الاختصاصات .. ولم يكن تغيير

الاسم مسألة شكلية بل حمل معنى قطع العلاقة مع الدولة العثمانية ، فقد كان سبب عدم لجوء مصر إلى تسمية الوزارة راجعاً إلى شيوع تسمية الوزارة العثمانية ولم يكن من المقبول أن يستخدم التابع والمتبوع نفس الاسم .

وأول وزارة سياسية فى تاريخ مصر هى وزارة عدلى يكن باشا (مارس ١٩٢١ - ديسمبر ١٩٢١) فالوزارة خلال فترتى الاحتلال والحماية لم يكن لها وجود سياسى أو إرادة سياسية مستقلة ، وإنما ارتبطت دائماً بالخديو أو سلطة الاحتلال ، ولكن نتيجة تصاعد الحركة الوطنية واعتراف إنجلترا بمبدأ القبول بإنهاء الحماية تغيرت طبيعة الوزارة لأن هدفها أصبح إجراء المفاوضات مع الإنجليز لتحديد شكل العلاقة بين البلدين .

وأطول وزارة فى التاريخ المصرى هى وزارة مصطفى فهمى باشا (نوفمبر ١٨٩٥ - نوفمبر ١٩٠٨) وكانت أطول الوزارات عمراً وأكثرها إذعاناً لرغبات الإنجليز وأشدها ممالاة لهم ، ومع بداية عهد الوفاق بين الخديوى وسلطة الاحتلال ١٩٠٧ - ١٩١١ استقال مصطفى فهمى ، واختار الخديوى بطرس باشا غالى رئيساً للحكومة فى نوفمبر ١٩٠٨ .. وأقصر الوزارات عمراً فى تاريخ مصر هى وزارة أحمد نجيب الهلالى الثانية (٢٢ يوليو ١٩٥٢ - ٢٤ يوليو ١٩٥٢) وهى آخر وزارات مصر قبل الثورة.

كان يوماً ....

" حامى حمى الديار المصرية "

أحمد عرابى .. ولد فى ٣١ مارس ١٨٤١ بقرية " هرية رزنة " علــى مقربة من الزقازيق بمديرية الشرقية ، كان أبوه شيخ البلد ، تعلم احمد عرابــى مبادئ القراءة والكتابة فى كتاب القرية ، وتدرب على الكتابة والأعمال الحسابية على يد صراف البلدة نحو خمس سنوات ، ثم أرسله أبوه إلى الجامع الأزهــر عام ١٨٤٩ ومكث فيه أربع سنوات ، ورجع إلى بلدته قبل أن يتم دراسته.

وعندما بلغ الرابعة عشرة من عمره انتظم فى سلك الجندية وتدرج فــى الجيش حتى وصل إلى رتبة القائمقام عام ١٨٦٠ وكان أول مصرى يصل إلى هذه الرتبة .. ثم فصل احمد عرابى فى عملية لتقليص عدد الجيش ثم عاد مــرة أخرى إليه .. وفى عهد الخديو إسماعيل شهد احمد عرابى ظلم رؤساء الجــيش الشراكسة والأتراك ومحاباة صغار الضباط الشراكسة لأنهم من مماليك أو أبناء مماليك العائلة الخديوية ، ومنذ ذلك الحين بدأ يبث فى نفوس الضباط الــوطنيين فكرة الاتحاد والمطالبة بحقوقهم ، وفى يونيو ١٨٧٩ رقى عرابى إلــى رتبــة أميرالاى وعين على آلاى المشاة الرابع الذى كان مركزه القــاهرة ، ويعــرف بآلاى العباسية وظل يشغل هذا المنصب حتى شبت الثورة العرابية – التى نسبت إليه – عام ١٨٨١.

وكانت أول بادرة للثورة العرابية الشكوى التى قــدمها احمــد عرابــى

وعبدالعال حلمي وعلي فهمي باسم الضباط المصريين إلى رياض باشا للمطالبة بعزل عثمان رفقي الشركسي ناظر الحربية والذي كان يتحيز للضباط الشراكسة والأتراك ، وبدلاً من فحص الشكوى قرر مجلس النظار في ٣١ ينـــاير ١٨٨١ محاكمة الضباط الثلاثة أمام مجلس عسكري وأصدر ناظر الحربية أمراً بالقبض عليهم وسجنهم في ثكنات قصر النيل ، ولم يكد يتم القبض حتـــى هجـــم الآلاى الأول (وكان مقره بقشلاق عابدين) واقتحم الجنود الـــديوان وأطلـــق ســـراح الضباط الثلاثة ، وسار الجميع إلى قشلاق الآلاى الأول بعابدين ، وهناك انضم إليهم آلاى طره ، وكان من نتيجة احتشاد الجنود بأسلحتهم على هذا الوجـــه أن أذعن الخديو لمطالب عرابي فعزل عثمان رفقي وأسندت نظارة الحربيـــة إلـــى محمود سامي البارودي عضو الحزب الوطني ، وصديق الضباط (الفلاحين) وأكبر شعراء القرن التاسع عشر في العالم العربي.

ولكن الخديو ما لبث أن غضب على البارودي فقدم استقالته ، وشـــددت الحكومة قبضتها على الضباط وحرمت عليهم الاجتماعات ، وكان لحادثة قصر النيل في أول فبراير ١٨٨١ أثرها البالغ في الأمة التي وجـــدت فـــي عرابـــي ضالتها المنشودة ، ووجدت رجلاً تكمن قوته في إخلاصه وجرأتـــه وبلاغتـــه الخطابية وتدينه وتعبيره عن آمال الأمة وآلامها ، وأخذ عرابي يجمع التوقيعات لعريضة شاملة تهدف إلى زيادة عدد الجيش ، وإعادة الحياة النيابيـــة وإســـقاط نظارة رياض .

وفي ٩ سبتمبر ١٨٨١ توجه عرابي على رأس الجيش فـــي مظـــاهرة عسكرية انضمت إليها جموع الشعب التي وفدت من الأقاليم لمناصرة عرابي ، وذلك لعرض مطالب الجيش على الخديوي ، وقال عرابي كلمته المشهورة وهو ممتطياً صهوة جواده " لقد خلقنا الله أحراراً ، ولم يخلقنا تراثاً وعقاراً ، فـــو الله الذي لا إله إلا هو لن نورث ولن نستعبد بعد اليـــوم " وأمـــام الضـــغط أذعـــن

الخديوى، وسقطت نظارة رياض ، وعهدت النظارة إلى محمد شريف باشا وتم إجراء انتخابات عامة وأطلقت الحريات وأعيد المنفيون إلى البلاد ، وحين بلغ المد الثورى غايته تنكر الخديوى للحكم الدستورى ، وكان أن سقطت نظارة شريف ، وأجبر الخديوى على اختيار البارودى رئيساً للنظارة التى عرفت فيما بعد بنظارة الثورة وتولى فيها عرابى نظارة الحربية فى ٤ يناير ١٨٨٢.

وحينذاك تدخل الاستعمار ممثلاً فى إنجلترا وفرنسا للقضاء على هذا النصر السياسى للأمة مما دفع الدولتان إلى الاتفاق على التدخل المسلح فى شئون البلاد بدعوى إنقاذ عرش الخديوى ، وقامت الدولتان فى ١٩ مايو ١٨٨٢ بمظاهرة بحرية فى ميناء الإسكندرية وفى ١١ يونيو ١٨٨٢ حدثت مذبحة الإسكندرية عقب أن قتل رجل مالطى من رعايا بريطانيا أحد المصريين ، وقد أدت هذه المذبحة إلى ازدياد التفاف الشعب حول عرابى.

وعمل عرابى على تقوية الاستحكامات فى الإسكندرية والقاهرة ومنطقة قناة السويس ، وفى ١١ يوليو ١٨٨٢ ضرب الأسطول البريطانى الإسكندرية بمدافعه التى أخذت تشيع الدمار وتحصد الأرواح وأصابت العديد من المنازل ، وقد دافعت الحاميات دفاع المستميت وتفانى الأهالى فى الدفاع عن المدينة رغم أن الحرب كانت حرب مدافع وسفن ، وقد أدرك الثوار بقيادة عرابى أن الإنجليز لابد محتلون الإسكندرية بعد أن دكوا حصونها فقرر الانسحاب منها للمقاومة فى الداخل .. وفى هذا الوقت دبر أعوان الخديوى مؤامرة إحراق الإسكندرية ، وحاولوا إلصاق الجريمة بعرابى بينما كان الرجل يتراجع بجيوشه إلى كفر الدوار ليحمى البلاد من تقدم جيوش الغزو.

وعسكر عرابى فى كنج عثمان بالقرب من كفر الدوار ، وفى ٢٠ يوليو ١٨٨٢ أصدر الخديوى أمراً بعزل عرابى من نظارة الحربية ، واحتل الإنجليز

مدينة السويس فى ٢ أغسطس ، وفى ٥ أغسطس ١٨٨٢ حدثت موقعة الرمل ، وفى ٧ أغسطس حدثت موقعة عزبة خورشيد ، وانتصر المصريون فى الموقعتين ، وفى ٢٠ أغسطس ١٨٨٢ احتل الإنجليز بورسعيد والقنطرة والإسماعيلية وتم للإنجليز احتلال القناة بعد خيانة ديلسيبس الذى سمح للإنجليز باستخدامها بعد أن تعهد لعرابى بألا يفعل ذلك ، وكان عرابى بناء على هذا التعهد قد رفض أن يردم القناة .

وفى ٢٣ أغسطس ١٨٨٢ احتل الإنجليز نفيشة وكان الثوار يرابطون بها ، وفى ٢٥ أغسطس استولوا على " المسخوطة " ثم " المحسمة " فانتقل عرابى بجيشه إلى معسكر التل الكبير ، ثم حدثت موقعة القصاصين الأولى فى ٢٨ أغسطس والثانية ٩ سبتمبر ١٨٨٢ وهى التى هزم فيها الجيش المصرى نتيجة لخيانة الأميرالاى على يوسف خنفس ، وفى ١٣ سبتمبر ١٨٨٢ حدثت موقعة التل الكبير واستبسل الجيش المصرى وكاد ينتصر لولا عوامل الخيانة ، وفى ظهر هذا اليوم رجع عرابى إلى القاهرة ، ثم احتلت جيوش المعتدين مدينة بلبيس فى ١٣ سبتمبر ، واحتلت القاهرة فى ١٤ سبتمبر ، وتمت هزيمة الثورة العرابية بدخول الخديوى توفيق إلى القاهرة فى حماية جيوش الاحتلال .

واعتقل أحمد عرابى وزعماء الثورة العرابية ، وحوكموا أمام محكمة عسكرية بتهمة عصيان الخديوى ، وكانت محاكمة عرابى فى ٣ ديسمبر ١٨٨٢، وصدر الحكم بإعدامه ثم تلاه صدور الحكم بإبدال الإعدام بالنفى المؤبد، ثم حوكم زملاء عرابى الستة وهم محمود سامى البارودى ومحمود فهمى ويعقوب سامى وعبد العال حلمى وعلى فهمى الديب وطلبة عصمت ، وحكم عليهم جميعاً بالإعدام ثم عدل الحكم إلى النفى المؤبد ، وأصدر الخديوى أمراً فى ١٤ ديسمبر بمصادرة أملاك الزعماء السبعة المحكوم عليهم ورحلوا

عن أرض الوطن فى ٢٨ ديسمبر ١٨٨٢ حيث أقلتهم الباخرة إلـــى ســيلان ، ووصلوا إلى ميناء كولمبو فى ٩ يناير ١٨٨٣ وقاسوا آلام النفى والاغتراب.

وبعد تسعة عشر عاماً من النفى أصدر الخديوى عباس حلمـــى الثـــانى عفوه عن أحمد عرابى فرجع فى أول أكتوبر ١٩٠١ ، وأودع أحمد عرابى فى بيته العتيق بالمنيرة لا يغادره ، وفى مساء ٢١ سبتمبر ١٩١١ لفظ عرابى آخر أنفاسه ولم يكن بمنزله ما يكفى لتجهيزه ودفنه .. وخرجت جنازته فى صـــمت ومن خلفها أولاده وأهله لأنه لم يكن مسموحاً لأحد بأن يسير فى جنازته ، ولكن مصر كلها كانت تئن لوفاة من كان يوماً " حامى حمى الديار المصرية ".

محمد عبده

يؤسس أول صحيفة عربية فى أوربا

عاش فى الفترة بين (١٨٤٩ – ١٩٠٥) ، ولد بقرية " محلة نصـــر " بالغربية من أبوين متوسطى الحال ، وتعلم القراءة والكتابة بمنزل والديه دون أن يذهب إلى كتاب القرية ، وبعد أن جاوز العاشرة من عمره وأتم حفــظ القــرآن الكريم ، ذهب إلى الجامع الأحمدى فى طنطا ليتم تجويد القرآن ودراسة قواعــد اللغة العربية ، غير أن منهج التعليم بالجامع الأحمدى كان وعراً وشاقاً حتى كاد الصبى أن يصاب باليأس ويشتغل بالزراعة لولا أن التقى بأحــد أخــوال أبيــه (الشيخ درويش) فاستطاع أن يوجهه توجيهاً سليماً.

ثم التحق بالأزهر عام ١٨٦٦ حيث قضى حوالى ثلاث سنوات ولم يجن فائدة تذكر من الدروس ، وما لبث أن انصرف عن العلوم الأزهرية وتطلعــت نفسه إلى علوم جديدة .

وكان من حسن حظه أن التقى بجمال الدين الأفغانى ، واستطاع بفضل معاونته أن يقبل على الحياة العامة ، وأخذ يبذل جهده للتحرر من سلطان العرف السائد والتقاليد الموروثة ، وأخذ يقرأ ما ينقل إلى العربية من ثمــرات الثقافــة الغربية.

وفى عام ١٨٧٧ تقدم لامتحان العالمية فى الأزهر وظفر بالشهادة رغم

الشكوك التى حامت حول اسمه لاتصاله بجمال الدين الأفغانى ، ولكتابته الفصول التى يدعو فيها إلى التجديد وترك الجمود والتقليد ، وأصبح من حق محمد عبده أن يقوم بالتعليم فى الأزهر ، فأخذ يلقى فيه دروساً فى التوحيد والمنطق والأخلاق ، ثم عين مدرساً للتاريخ فى دار العلوم ومدرساً للغة العربية فى مدرسة الألسن ، واستمر حتى تولى الخديو توفيق ، فأمر بنفى جمال الدين الأفغانى من مصر وعزل محمد عبده من دار العلوم.

ولكن رياض باشا أراد إصلاح جريدة الوقائع المصرية وكانت لسان الحكومة الرسمى ، فعين محمد عبده محرراً بها ثم رئيساً لتحريرها وكان يرى أن غايته رفع مستوى الأمة فى تدرج وأناة وتطور ، وكان يرى أن ذلك يتم إذا سلك قادتها سبيل التثقيف والتربية ونشر التعليم لا سبيل لتقليد الغرب من غير فهم ولا إدراك عميق أو التمسك بظواهر المدنية المادية مع الغفلة عن صميم المدنية الروحية الصحيحة.

وفى أثناء ثورة احمد عرابى اشترك فيها محمد عبده حتى صار أحد القيادات المدبرة لشئون الحكومة الوطنية ، وبعد فشل الثورة أتهم محمد عبده بالتآمر مع رجال الثورة فحكم عليه بالسجن ثم بالنفى ثلاث سنوات فاختار سوريا منفى له ورحل إليها فى عام ١٨٨٣ ، ولكن إقامته لم تطل فيها إذ دعاه الافغانى إلى اللحاق به فى باريس ، ووصل إليها عام١٨٨٤ وهناك عمل مع أستاذه على تأسيس جمعية وصحيفة باسم " العروة الوثقى " التى كانت أول صحيفة عربية ظهرت فى أوروبا ، وكانت تدعو لتقوية أواصر الجامعة العربية ودفع عدوان الغرب عن الشرق بوجه عام ومكافحة التسلط الأجنبى والطغيان الداخلى وإنقاذ مصر من الاحتلال البريطانى بوجه خاص ، وحال الإنجليز دون توزيع هذه الصحيفة فى البلاد العربية واضطر إلى مغادرة باريس عام ١٨٨٥ إلى بيروت حيث عهد إليه بالتدريس فألقى فيها دروسه المشهورة فى "علم

الكلام" التى كانت أصلاً لرسالته عن الله وصفاته وأعماله وهى " رسالة التوحيد"، كما ألف جمعية دينية سرية كان من أهدافها التقريب بين الأديان الكبرى وأنضم إليها القس " اسحاق تيلر " راعى الكنيسة الإنجليزية الذى نشر فى لندن عدة مقالات عن الإسلام ، ويبدو أن نشاط محمد عبده فى هذه الجمعية فسر فى تركيا تفسيراً سياسياً يناقض مصالح الخلافة العثمانية مما دفع السلطان عبد الحميد إلى السعى لدى الحكومة البريطانية لإصدار العفو عنه ودعوته إلى مغادرة سوريا.

وعاد إلى مصر عام ١٨٨٨ فعين قاضياً بالمحاكم الشرعية ثم مستشاراً فى محكمة الاستئناف ثم عين عضواً بمجلس إدارة الأزهر ، ووضع مشروعه الإصلاحى المشهور لإصلاح الأزهر ، ولكنه لم يستطع تنفيذه لكثرة ما وضع فى طريقه من عقبات .

وما لبث أن عين مفتياً للديار المصرية عام ١٨٩٩ وأشهر الفتاوى التى أصدرها ثلاث ، الأولى تبيح للمسلمين ادخار أموالهم واخذ الفوائد والأرباح عليها ، والثانية تبيح لهم أن يأكلوا من ذبائح غير المسلمين عند الضرورة ، والثالثة تبيح لهم أن يلبسوا زى غير زيهم التقليدى تيسيراً لهم فى أمور معاشهم، وقد سببت هذه الفتاوى كثيراً من المجادلات ، وجلبت عليه ضروباً من التشهير لم تكن الدوافع إليها دينية خالصة فى أكثر الأحيان.

عملاق الأدب العربى

" ما أجدر هذا أن يكون كاتباً بعد " .. قالها الإمام محمد عبده عندما زار المدرسة التى التحق بها عباس محمود العقاد تلميذاً صغيراً ، وكان من عادة أستاذ الإنشاء بالمدرسة أن يعرض كراسات موضوعات الإنشاء للعقاد على كبار الزوار ، وأثنى الأستاذ الإمام على التلميذ الصغير ، وصدقت نبوءته.

ولد الشاعر الأديب عباس محمود العقاد فى أول يوليو ١٨٨٩ بأسوان ، ولم ينل إلا الشهادة الابتدائية التى مكنته من العمل فى إحدى الوظائف الصغيرة بالدولة ، غير أنه ضاق بالوظيفة الرتيبة فاستقال واشتغل بالتدريس مدة ما ، ثم بدأ يكتب فى جريدة الدستور ثم فى غيرها من الصحف حتى أصبح عميداً لكتاب حزب الوفد الذى أنشأه سعد زغلول ، بل أصبح عميداً لكتاب الصحف بمقالاته الدقيقة الفذة وأسلوبه اللاذع .

وقد تميزت كتب العقاد – وهى نحو مائة كتاب وديوان شعر – بالعمق والدراسة الأصيلة ، وقد تأثر تأثراً شديداً بفلاسفة القرن التاسع عشر ، وعرفهم عن طريق قراءات فى اللغة الإنجليزية التى أتقنها إتقاناً تاماً .. ومن أهم المزايا التى حققت هذه المكانة للعقاد تمسكه بكرامته وبرأيه وبإحساسه بأن الحاجة إلى لقمة العيش لا تعنى أن يدوس هذه الكرامة ، ولهذا عاش متواضعاً يسير على

قدميه ، ويركب المترو من ضاحية مصر الجديدة إما إلى مقر عمله فى إحـدى الصحف أو إلى واحدة من مكتبات القاهرة يجمع منها أحدث ما وصل إليها من الكتب.

وكان معتداً بنفسه جريئاً فى الحق الأمر الذى أدى به إلى السجن فـى عهد الملك فؤاد حين أعلن فى مجلس النواب أن الشعب على استعداد لتحطـيم أكبر رأس تقف دون الأمانى واستقلال وحرية البلاد.

وكان له فى صباح يوم الجمعة من كل أسبوع ندوة فى منزله بمصـر الجديدة يجلس إليه فيها مجموعات من الشباب والشيوخ يستمعون إليه ويناقشونه فى الآراء المختلفة ، ولم يكن يتردد مطلقاً فى أن يعلن رأيه صراحة لأنه كـان يرى أنه صاحب رسالة.

وفى عام ١٩١٦ ظهر الجزء الأول من ديوان العقاد الذى اسـماه فـى الطبعات التالية " يقظة الصباح " وقد امتازت قصائد هذا الديوان بمـا يسـمى بالوحدة العضوية ، فكانت القصيدة تقوم على موضوع واحد تتناوله من شـتى نواحيه فى وحدة سلسلة وترابط منطقى.

وفى عام ١٩٢١ ظهر الجزء الأول والثانى مـن كتـاب " الـديوان " واشترك معه فى تحريره المازنى ، وهاجم العقاد فى كتاب الديوان شعر شوقى هجوماً عنيفاً ، ونقده نقداً مريراً رداً على هجوم شوقى عليه .. وكـان العقـاد مولعاً بالتجديد والإبداع ، وقد دفعه هذا الولع إلى الإسهام فـى خلـق مدرسـة شعرية جديدة هى مدرسة شعراء الديوان التى تعد أساساً للأدب الرومانسى فـى الأدب العربى .. وقد هاجم العقاد طيلة حياته الشعر الحر وثار علـى الابتـذال والعامية والسوقية.

وقد صدر للعقاد فى حياته عدة دواوين منها الجزء الأول من ديوانه حى

الأربعين ، هدية الكروان ، عابر سبيل ، أعاصير مغرب ، بعد الأعاصير ، كما خلف العقاد ثروة كبيرة من المؤلفات فى الأدب والنقد والدفاع عن الإسلام وتحليل عبقرياته ومن كتبه " ابن الرومى " و "مراجعات" و " مطالعات " و"الفصول" و " ساعات بين الكتب " و " شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى " و " النازية والأديان " و " فى بيتى ".

توفى فى مارس ١٩٦٤ ودفن فى أسوان مسقط رأسه .. ومن شعره :-

سلينى كيف كنت وكيف صرت ... وقولى ما صنعتِ وما صنعتْ

قدرت على الحوادث بعد لأى ... وهأنذا كأنى ما قدرتْ

سيد درويش

" احفظوا اسم هذا الشاب ، واذكروا أنى فخور به ، معتز بفنه ، ولتعلمن نبأه بعد حين " .. كلمات قالها سلامة حجازى وهو يقدم سيد درويش على مسرح (عباس) لأول مرة .

بالموسيقار الكبير سيد درويش يبدأ عهد جديد لتاريخنا الفنى الغنائى والمسرحى ، فقد نهض سيد درويش بالموسيقى ، وبعد أن تركها عبده الحامولى عربية خالصة ، جاء سيد درويش وجعلها عربية واقعية مما يجعلك تحس بنبضات من يلقيها .

ولد سيد درويش بكوم الدكة بالإسكندرية فى ١٧ مارس ١٨٩٢ لأب يعمل نجاراً ويملك حانوتاً صغيراً للتجارة البسيطة ، وينتمى بكل كيانه ومشاعره إلى طائفة النجارين ، ونشأ سيد درويش موسيقياً بطبيعته منذ أن بدأ يحفظ القرآن الكريم سواء فى مدرسة (شمس المدارس) بكوم الدكة أو بالمعهد الدينى بالإسكندرية .

وعندما توفى أبوه وهو فى السابعة استطاع سيد درويش أن يقوم بأعباء أسرته عن طريق هذا الصوت وذلك الذوق الفنى بتلاوة القرآن الكريم والسيرة النبوية فى البيوت ، أو الغناء فى المحلات العامة كقهوة (أبو راضى) بحى

الجنينة باللبان ، وقهوة (أمينة المنصورية) باللبان أيضاً ، وبالقهوة (العالية) وقهوة (السلام) بالمنشية الصغرى .

واضطر سيد درويش حيناً إلى اعتزال الغناء إثر أزمة اقتصادية ألمت بالبلاد ، وابتعد الناس خلالها عن الغناء ، واشتغل مناولاً عند أحد المقاولين يحمل الطوب والأحجار إلى البناء ويصعد الأدوار العليا ثم يهبط إلى الأرض ، فصور له ذلك شأن الدنيا من إقبال وأدبار ، وعكس ذلك كله فى أغانيه .. وفى تلك الفترة سمعه مصادفة (سليم عطا) أحد أصحاب الفرق الغنائية وألحقه بفرقته التى سافرت خارج البلاد عام ١٩٠٩ ولم تلق هذه الرحلة نجاحاً ، فسافر مرة أخرى عام ١٩١٣ واجتمع فى سوريا بأقطاب الموسيقى والغناء مثل (عثمان الموصلى) مما كان له أكبر الأثر فى دراسته الموسيقية.

وفى عام ١٩١٧ كان سلامة حجازى مصاباً بالشلل عندما دعاه جورج أبيض لتلحين أول أوبريت ستقدمه فرقته الجديدة ، وهو أوبريت " فيروز شاه " فاعتذر الشيخ بمرضه ، واقترح على جورج أبيض اسماً جديداً وهو سيد درويش ، وسرعان ما استدعاه جورج ومنحه مرتباً لا يحلم به وهو ثمانية عشر جنيهاً فى الشهر.

وتصاعد نجم سيد درويش وتبلورت عبقريته ، وبلغت قدرته الموسيقية أنه كان فى وسعه أن يلحن خمس روايات فى شهر واحد .. وفى عام ١٩٢١ أنشأ فرقته الخاصة التى أخرج لها روايات (شهرزاد - البروكة - العشرة الطيبة).

وتمتاز ألحان سيد درويش المسرحية بشعبيتها وسهولتها ، وقد كان فى ألحانه زاهداً عن التخت وسيطرته ، كما أدخل الهارمونى والكونترابنت فى الآلات .. وقد لحن فى ست سنوات بين عامى ١٩١٧ - ١٩٢٣ ما يقرب من

عشرين مسرحية تزيد ألحانها على المائتى لحن ، وكان أشهر هذه المسرحيات (فشر - قولوا له - أش - رن - العشرة الطيبة) لفرقة نجيب الريحانى ، و(مرحب - الهلال - أم ٤٤ - راحت عليك - البربرى فى الجيش - الانتخابات) لفرقة على الكسار ، (كلها يومين - كليوباترا) لفرقة منيرة المهدية.

أما بالنسبة للأدوار والتواشيح والتى تعتبر معجزة فنية إلى يومنا هذا ، فنذكر منها دور " أنا هويت وانتهيت " و " فى شرع مين " و " أنا عشقت " ، كما لحن مجموعة من الطقاطيق أهمها " زورونى كل سنة مرة " .

إن الميزة الأولى لألحان سيد درويش هو بساطتها وسرعة انتشارها بين الناس لأنهم وجدوا فيها أنفسهم ، وقدرتها على التصوير والتعبير فى زمن لم تكن تعرف فيه موسيقانا ولا أغانينا إلا التطريب ، وقد حاول سيد درويش الانطلاق بالموسيقى العربية إلى العالمية ، ففى رواية البروكة وهى تعريب لأوبريت (لاماسكوت) الفرنسية ، حاول سيد درويش وضع موسيقى عالمية يمكن أن يفهمها كل إنسان فى أى بلد من البلاد ، وفى كليوباترا ومارك انطونيو حاول تجربة أسلوب الأوبرا ، ولكنه توقف عن العمل فجأة لأنه لم يرض عن نفسه ، وقرر السفر إلى إيطاليا لدراسة هذا الفن .

وفى يوم ١٥ سبتمبر ١٩٢٣ ، وعندما كان فى زيارة للإسكندرية تمهيداً للسفر إلى إيطاليا مات سيد درويش فجأة فى بيت شقيقته بحى محرم بك ، وفى مدافن المنارة بالإسكندرية رقد الشاب الذى استطاع خلال حقبة قصيرة للغاية أن يصنع تاريخاً مجيداً .. ولم يخلف من حطام الدنيا سوى بيتاً صغيراً بجزيرة بدران وخاتماً من الماس ، وجهازاً لتسجيل الاسطوانات .. وعوداً.

أول دولة عربية وأفريقية عرفت السينما

شاهد الجمهور أول عرض سينمائى فى العالم فى ١٨٩٥/١٢/٢٨ فى باريس ، وفى العام التالى شهدت مصر أول عرض سينمائى وكان فيلماً مصنوعاً فى فرنسا ، ونتيجة للنجاح الذى تحقق من هذا العرض انتشرت صالات السينما فى القاهرة والإسكندرية وغيرها ، إلا أن الجمهور المصرى بدأ يمل مشاهدة المناظر الأجنبية التى ليس بينه وبينها أى رابط ، فما كان من أحد الأجانب المقيمين بالإسكندرية إلا أن أرسل فى طلب كاميرا وفنى من فرنسا ، وهكذا عرض فى عام ١٩١٢ " ميدان الأوبرا بالقاهرة " و " السائحون على ظهور الجمال عند أهرامات الجيزة " و " عودة الخديوى من الإسكندرية " و"حركة المسافرين فى محطة سيدى جابر " .

وبعد ذلك بقليل فكر بعض الأجانب فى الإسكندرية فى إنتاج أفلام روائية قد تحقق لهم الربح ، وكان أن كون مصور فوتوغرافى إيطالى شركة مصرية إيطالية قام بتمويلها أحد المصارف الإيطالية ، وأنتجت هذه الشركة "شرف البدوى" و " الزهور القاتلة " و " نحو الهاوية " ، وقد عرضت هذه الأفلام فى إحدى دور السينما بالإسكندرية عام ١٩١٨ وقد فشلت هذه الأفلام فشلاً ذريعاً بسبب ضعف مواضيعها وعدم وجود أى رابط بين المناظر المختلفة

إضافة إلى أن الممثلين كانوا من الأجانب ، وتوالت بعد ذلك الأفلام القصيرة وقد نجح بعضها وفشل البعض الآخر.

ثم بدأت محاولات محمد بيومي والذى يعد الرائد الأول بحق لصناعة السينما فى مصر ، فقد كان أول مصرى سافر إلى ألمانيا فى ١٩١٩ لدراسة فن السينما والتصوير السينمائى ، وأول مصرى يؤسس استديو سينمائى ١٩٢٢ ، وأول مصرى وقف خلف الكاميرا ، وأنتج أول جريدة سينمائية هى " جريدة آمون " ١٩٢٣ ، وأول مصرى صور واخرج فيلماً روائياً قصيراً " الباشكاتب " ١٩٢٤ ، وأول مصور سينمائى بشركة مصر للتمثيل والسينما إحدى شركات بنك مصر ١٩٢٥ ، وأول مصرى يفتح معهداً لدراسة الجانب الصناعى لفن السينما ١٩٣٣ وجعل الدراسة فيه بالمجان.

ويمكن أن يقال أن صناعة السينما فى مصر لم ترسخ إلا فى عام ١٩٢٧ عندما أسست عزيزة أمير ممثلة المسرح مع وداد عرفى أول شركة سينما فوتوغرافية ، وكان باكورة إنتاج هذه الشركة فيلم " ليلى " والذى اعتبر أول فيلم روائى مصرى أخرج بأيد مصرية وأموال مصرية ، وقام بالتمثيل عزيزة أمير ووداد عرفى واستيفان روستى واحمد جلال والراقصة المشهورة فى ذلك الوقت بمبة كشر وتكلف الفيلم حوالى ثلاثة آلاف جنيه ، وبدأ سيل الأفلام المصرية يتدفق بعد ذلك ، وكان آخر الأفلام المصرية الصامتة فيلم "زينب" عن قصة الدكتور محمد حسين هيكل ، وعرض هذا الفيلم عام ١٩٣٠ وحقق نجاحاً كبيراً .

أما أول فيلم مصرى ناطق فهو فيلم " أنشودة الفؤاد " الذى أنتجته " أفلام بهنا " وقد جمع هذا الفيلم نخبة من نجوم التمثيل فى مصر منهم المطربة نادرة والملحن زكريا احمد وجورج أبيض ودولت أبيض وعبد الرحمن رشدى ، وألف

أغانى الفيلم عباس محمود العقاد ، وتم تصويره فى باريس وعرض بالقاهرة عام ١٩٣٢ ، ولكن نجاحه كان متوسطاً ، وكان أن ترك إخوان بهنا الإنتاج وألفوا أول شركة للتوزيع فى العالم العربى .

أما أول ستديو مصرى كامل المعدات فكان " ستديو مصرى " الذى افتتح فى أول أكتوبر عام ١٩٣٥ ، ثم تتابع إنشاء الاستديوهات فى القاهرة والإسكندرية ، ثم ظهرت الأفلام الملونة فى مصر بعد الحرب العالمية الثانية . وكانت فى البداية ترسل إلى الخارج لتحمض ولكن المعامل ما لبثت أن جهزت بكل أدوات تحميض الفيلم الملون .

رائد أدب الأطفال
فى العالم العربى

كان له خال كفيف يحكى له الحكايات أثناء الليل ، كما كان يعمل لديهم حوذى (عربجى) كان يحكى له الكثير من الحكايات المتعلقة بالسحر والخرافات ، وكان هناك شاعر شعبى من شعراء الربابة ينشد أقاصيص البطولة مثل أبو زيد الهلالى ، فكان يذهب إليه كل ليلة فى ميدان القلعة ، كما كانت تعمل لديهم مربية يونانية كانت تقص له أساطير اليونان ، فكان لسماعه كل هذا وامتلاء أذنه بها منذ الصغر أكبر الأثر فى اتجاهه إلى القصة .

إنه كامل الكيلانى (١٨٩٧ - ١٩٥٩) صاحب أول مكتبة عربية للأطفال .. ولد بحى القلعة بالقاهرة ، وتلقى علومه الأولى فى الكتاب ، والتحق بمدرسة أم عباس عام ١٩٠٧ ، وانتقل منها إلى مدرسة القاهرة الثانوية التى حصل منها على شهادة البكالوريا ، وعكف بعد ذلك على دراسة الشعر والأدبين الإنجليزى والفرنسى ، والتحق بالأزهر بعد انتسابه للجامعة المصرية، واشتغل بالتدريس فى المدرسة التحضيرية ليعلم الإنجليزية والفرنسية ، ثم نقل مدرساً فى مدرسة الأقباط الثانوية بدمنهور عام ١٩٢٠ ، ثم عمل فى وزارة الأوقاف عام ١٩٢٢ ، وكان آخر منصب تولاه هو سكرتير مجلس الأوقاف الأعلى ، كما عمل بالصحافة فاشتغل رئيساً لتحرير جريدة الرخاء عام ١٩٢٢ ، ورئيساً لنادى

التمثيل الحديث عام ١٩١٨ ، وسكرتيراً لرابطة الأدب العربي من ١٩٢٩ - ١٩٣٢.

بدأ كامل الكيلاني حياته بأربعة أعمال كبرى فى النقد الأدبى وتأديب التاريخ والترجمة وتحقيق الأعمال الأدبية الكبرى ، فألف " ملوك الطوائف " و "مصارع الخلفاء" و " مصارع الأعيان " و " نظرات فى تاريخ الإسلام " ، وحقق " رسالة الغفران " وترجم الأدب الأندلسى ، وشرح ابن الرومى وابن زيدون ، وترجم روائع القصص الغربى .

ثم وجه كامل الكيلانى اهتمامه إلى فن " أدب الطفل " فكان رائد قصة الطفل ، واخذ يعمل دائباً على تحقيق فكرة إنشاء مكتبة الأطفال حتى أنشأها فعلاً عام ١٩٢٩ ، وما زال يعمل حتى أكتمل له منها ألف قصة ، ولم يطبع فى حياته سوى مائتى قصة .

وقد بدأ كامل الكيلانى حياته شغوفاً بالمطالعة ، وكان يرى أن الكتب العربية مليئة بالعظة والإرشاد وبعيدة عن فهمنا ، فى حين كانت الكتب الأجنبية جميلة ومزينة بالصور ، وموضوعاتها ميسرة .

وهكذا اتجهت نيته إلى أن يحبب القراءة للأطفال بكل الوسائل من صور وحكايات مشوقة لتجنيبهم الخطأ اللفظى والخطأ المعنوى ، وحاول إعطاء الطفل كلمات عربية تقرب من العامية حتى تمتزج الكلمات الصحيحة بنفس الطفل ، وتتألف له ملكة عربية لا تكلف فيها ولا صعوبة ، ومتى أصبح قادراً على التعبير الصحيح بلا عناء أحب لغته كما يحب الأجانب لغتهم.

وكان هدف الكيلانى من خلال قصصه أن يسرد مفردات الأدب العربى كله ، وبذلك تصبح عادية عند الطفل ، حتى إذا انتهى منها يستطع أن يقرأ ابن الرومى وأبو العلاء والمتنبى بسهولة ، وإذا كانت قصص الكيلانى جسراً إلى

اللغة الفصحى فهى أيضاً جسر إلى اللغات الأجنبية فقد نشر عدداً منها بشكل ثنائى ، اللغة العربية مع الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية أو الأسبانية ، فعلمت النشء كيف يقرأ باللغات الأجنبية ، كما عرفت النشء فى البلاد الأجنبية بآدابنا ولغتنا ، كما قام الكيلانى بتعريف النشء بنماذج من الآداب الأجنبية كما فى سلسلة شكسبير أو القصص الهندى أو الأمريكى.

كما نقل بعض الأغانى العالمية ، ووضع ٦٥ أغنية ، وترجم فصولاً من أوبرا لاترافياتا وكارمن .

عميد المسرح العربى

يوسف وهبى .. ولد فى ١٤ يوليو ١٨٩٨ على بحر يوسف بـــالفيوم ، ولهذا السبب أطلقوا عليه اسم (يوسف) ، وهو أصغر أشقائه جميعاً ، وكـــان والده عبد الله باشا وهبى من اشهر رجال الرى فى مصر ، وهو الـــذى حقــق مشروع ترعة الفيوم التى حولت الصحراء إلى أرض زراعية .

حصل يوسف وهبى على الابتدائية من مدرســـة الناصــرية والتحــق بالمدرسة السعيدية ، ولكن الشكاوى تعددت من مشاغباته فألحقه والده بمـــدارس الجمعية الخيرية الإسلامية التى كان رئيساً لها ، وذلك لكى يكون تحت رقابتــه فى هذه المدارس .. وبعد حصوله على الكفاءة عام١٩١٤ ذاع صيته فى إلقـــاء المونولوجات التى كان يلقيها فى حفلات النادى الأهلى ثم انضم لجمعية أنصار التمثيل ، وصمم والده على إبعاده عن القاهرة فألحقه بمدرسة مشتهر الزراعية .

لم يستسلم يوسف وهبى لمعارضه والده للتمثيل وقرر أن يســافر إلـــى إيطاليا ليدرس التمثيل والمسرح والتحق بمعهد " فيلودراماتيكا ايتاليانا " وبـــرز بين زملائه وكان ترتيبه الأول دائماً مما جعل أستاذه " كيانتونى " سيد المسرح الإيطالى يأخذ بيده ويجعله مقرباً إليه.

ولما عاد لم يجد له عملاً فقرر إنشاء فرقة مسرحية خاصة به ، وكانت

العقبة الأولى هى مواجهة الفرق المسرحية الاستعراضية والفكاهية ، فأعد ترتيبات خاصة ودعاية كبيرة وأتفق مع عزيز عيد أن يكون مخرج الفرقة، وشيد مسرح رمسيس ومكانه الآن مسرح الريحانى ، وعمل يوسف وهبى على هذا المسرح خمس وعشرون عاماً ، وعلى هذا المسرح دوت شهرته ووصل بفرقته إلى مركز الصدارة بين جميع مسارح القاهرة.

وفى ١٠ مارس ١٩٢٣ افتتح يوسف وهبى مسرح رمسيس بمسرحيته "المجنون" وكانت من تأليفه واستوحى فكرتها من زيارته لأكثر من مستشفى من مستشفيات الأمراض العقلية فى الخارج .. ولم يتأثر يوسف وهبى فى تمثيله بأحد حتى أستاذه الإيطالى ولكنه خلق لنفسه طابعاً خاصاً فأخذ عن المسرح الإيطالى حرارته وتحاشى كثرة إشاراته ، وعن المسرح الفرنسى جمال الإلقاء وتحاشى طريقة التنغيم ، وعن المسرح الإنجليزى قلة الإشارات ودراستها مع استغلال تعبير الوجه أكثر من الأيدى ، ولم يكد ينزل الستار بعد تقديم العرض فى الليلة الأولى لافتتاح مسرح رمسيس حتى انفجرت عاصفة من التصفيق استمرت عدة دقائق معلنة مولد نجم جديد.

وتوالى بعد ذلك نجاح فرقة رمسيس ، وبعد المجنون قدم (غادة الكاميليا) ثم أصبح يقدم رواية جديدة كل أسبوع ومعظمها مترجمات عالمية تاريخية وعصرية من جميع اللغات فشملت روائع شكسبير وموليير وأبسن وأدمون روستان وبرنشتين وسابانينى .

وكان للفرقة لجنة ترجمة ، ثم بدأ يوسف وهبى فى العمل على استقلال المسرح العربى وتشجيع المسرحية المصرية واستعان بالعديد من المؤلفين ، كما ألف العديد من مسرحياته ، وقد عالجت هذه المسرحيات قضايا ومشاكل مختلفة ومنها " انتقام المهراجا " و " الاستعباد " و " الصحراء " و " أولاد الذوات " و "أولاد الفقراء" .

وفى أول ١٩٣٠ أنشأ يوسف (مدينة رمسيس) ومكانها الآن " مدينة الأوقاف ومسرح البالون بالعجوزة " وقد كانت هذه المدينة ميداناً لسباق الكلاب شيدته شركة إنجليزية ، واضطرت بعد خسائر فادحة إلى إغلاقه ، وكان يوسف وهبى يتطلع فى ذلك الوقت إلى تقديم مسرحياته فى الهواء الطلق ، فشيد فى هذه المدينة مسرحاً ، ثم استديو صامت تحول بعد ذلك إلى ناطق بمناسبة إتمام فيلم (أولاد الذوات) كما أسس أول دار سينما فى الهواء الطلق ، ونقل إليها محطة إذاعة مصر الملكية ، واتسعت رقعة مدينة رمسيس فاصبح فيها لونابارك ومدينة رياضية ومسرح آخر مثلت على خشبته منيرة المهدية وفرقتها حتى حل محلها نجيب الريحانى وفرقته عندما أصيب بأزمة مالية ، وأخيراً بنى فيها ملهى استعراضياً كبيراً.

وقد قدم يوسف وهبى (١٧٨) مسرحية منها (٥٨) مسرحية من تأليفه ، كما قدم (٣٥) فيلماً سينمائياً ، وكان فيلم " ليلة ممطرة " أول أفلامه السينمائية ، وحصل على العديد من الجوائز والألقاب الدولية منها الجائزة الأولى فى التمثيل المسرحى عام ١٩٦٠ ، وميدالية " الباب الذهبية " عن دوره فى مسرحية "الكاردينيال" ، ووسام الاستحقاق الأكبر من المغرب ، والميدالية الذهبية من لندن ، وألقاب " كومندا " من موسيلينى و " جراند اوميسيه " من باى تونس كما حصل على جائزة الدولة التقديرية فى الفنون عام١٩٧٠ ، وحصل على الدكتوراه الفخرية من الرئيس السادات .. وتوفى فى ١٧ أكتوبر ١٩٨٢.

أعظم متحف للآثار المصرية في العالم

يعتبر المتحف المصرى بالقاهرة أهم وأغنى متحف للآثار المصرية فى العالم ، فمتاحف اللوفر والمتحف البريطانى وتورين وبرلين ومتروبوليتان وشيكاغو على أهميتها لا تقاس مجموعاتها بمجموعات المتحف المصرى.

وترجع فكرة إقامة متحف يضم الآثار المصرية إلى عهد محمد على ، فقد كان الأوربيون والمغامرون يأتون إلى مصر ويجمعون ما يجدونه من آثار لينقلوها إلى بلادهم دون أن يتعرض لهم أحد ، فقد كانت هذه الكنوز متاحة للجميع دون أن يعرف قيمتها أحد سوى هؤلاء المغامرين ، ثم جاءت الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨ م ووضع علماؤها مجلداتهم الضخمة فى وصف مصر .. والغريب أنه أصبح مسموحاً بعد ذلك لقناصل الدول الأجنبية وممثليهم فى مصر الحفر لاستخراج الآثار بتصريح من السلطان نفسه ، ومن خلال هذه الفرمانات تكونت لدى هؤلاء القناصل مجموعات كبيرة من الآثار أصبحت بعد ذلك نواة لمجموعات المتاحف الأوربية التى تضم آثاراً مصرية مثل اللوفر والمتحف البريطانى ومتحف برلين .

ولكن فى عهد محمد على اتخذت بعض الإجراءات للحد من تسرب الآثار المصرية إلى الخارج ، وذلك بعد أن نصحه شامبليون بضرورة الحفاظ على آثارنا .. وبدأ محمد على فى إنشاء متحف لحفظ الآثار فى مبنى ملحق

بالمدرسة المدنية بالأزبكية .. وأشرف على هذه المجموعة " لينان بك " الفرنسى الجنسية ويوسف ضياء أفندى ، وبعد ذلك نقلت المجموعة بعد أن زادت إلى إحدى صالات وزارة المعارف بالقلعة إلا أن عباس باشا أهدى كل ما كانت تملكه الدولة من آثار إلى الارشيدوق مكسميليان النمساوى الذى زار مصر عام ١٨٥٥م.

وبعد سنتين أعلن لويس نابليون عن رغبته فى زيارة مصر فقرر سعيد أن يقدم له هدية أكبر من تلك التى قدمت للارشيدوق ، وكان ديليسبس وراء هذا القرار ووقع اختيار ديليسبس على عالم آثار شاب كان يعمل فى متحف اللوفر وهو " اوجست مارييت " الذى شرع على الفور فى عمليات تنقيب واسعة وشاء القدر ألا يحضر لويس نابليون إلى القاهرة الأمر الذى أدى إلى إنشاء مكان خاص بمجموعة الآثار المكتشفة فى هذه الأماكن .

وفى أول يوليو ١٨٥٨ صرح لمارييت ببناء متحف للآثار المصرية فى بولاق مكان المكتب القديم لشركة الملاحة النهرية التى أغلقت أبوابها بعد عمل خط سكة حديد من القاهرة والإسكندرية ، وبدأ المتحف بـ ٤ صالات .. وفى عام١٨٩٠ نقلت هذه الآثار من بولاق إلى القصر القديم الخاص بالخديوى إسماعيل ، وكان يقع مكان حديقة الحيوان والاورمان حالياً والذى عرف بعد ذلك باسم متحف الجيزة .. إلا أن التفكير فى بناء متحف للآثار المصرية ظل مستمراً حتى عام ١٨٩٧ عندما فاز المهندس الفرنسى (دورنون) بمسابقة لبناء المتحف الحالى الذى أنشئ عام ١٩٠٠ وبدأ العرض بـ ٣٠ ألف قطعة أثرية ، ثم استمر تطوره ليصبح أعظم متحف للآثار المصرية فى العالم على الإطلاق.

أم كلثوم ...
أسطورة تمشى على قدمين

" ما هفوت فى حق أم كلثوم إلا مرة واحدة حين قلت أن حنجرتها مسروقة من الحمائم الموصلية وكان الرأى أن أقول أن حمائم الموصل سرقت رخامة الصوت من الحنجرة الكلثومية " .. قال هذه العبارة د. ذكى مبارك عن أم كلثوم عام ١٩٤٠ ، هذه المرأة الوحيدة التى استطاعت أن تجمع العرب فى لحظة واحدة فى الخميس الأول من كل شهر حتى قيل أنه لو ركبت سيارة وانطلقت بها على امتداد الوطن العربى فإنك تستطيع أن تستمع إلى صوت أم كلثوم دون أن تحتاج إلى مذياع فى السيارة.

ولدت فى طماى الزهايرة بالمنصورة عام ١٩٠٠ م ، وذهبت إلى كتاب القرية ، وكان والدها إبراهيم البلتاجى ينشد القصائد الدينية والتواشيح ويصحبها معه وشيئاً فشيئاً قلدت أباها .. وذاع أمر الصوت الجميل حتى دعى والدها يوماً لأحياء ليلة فى بيت شيخ البلد وزميلة الكتاب عائشة ، وخافت أم كلثوم ، فلوح لها الأب بطبق " المهلبية " بعد أن تغنى فلم يعد هناك مجال للتردد ، وغنت بنت الثامنة والنصف وأطربت ، وكان الحفل الثانى فى بيت بعزبة مجاورة ، وتقاضت أول أجر عشرة قروش ارتفعت إلى ٢٥ قرشاً عندما غنت بعد ذلك فى بيت تاجر غلال فى مركز السنبلاوين ثم قفز إلى جنيه كامل فى حفل أحيته فى بلدة أبو الشقوق.

وبدأت أم كلثوم تغنى وهى ترتدى العباءة والعقال .. وبدأت الرحلة من السفح وانتقل صيتها من القرية إلى المركز إلى المديرية إلى المديريات المجاورة وطافت مصر طولاً وعرضاً .

ووسط المشقة التقت بالشيخ أبو العلا محمد على رصيف محطة السنبلاوين ، واستمع إليها وبهرته ونصحها بالسفر إلى القاهرة ، وبعد عامين جاءت إلى القاهرة لتحى فرح كريمة جزار فى حى كوم الشيخ سلامة قرب العتبة الخضراء ، ثم جاءت فرصتها الكبيرة حيث دعيت للغناء فى سراى عز الدين يكن باشا فى حلوان ، ولكن منظرها لم يرق الباشا فأمر خدمه باستضافتها فى البدروم بعيداً عن أنظار المدعوين ، وظلت به حتى استسلمت للنعاس ، وأراد المدعوون أن يضحكوا على القروية التى جاءت من أعماق الريف فأيقظوها من نومها ، وغنت وإذا بها تسيطر على القلوب والأسماع .

وبعد ذلك استأجر الشيخ إبراهيم غرفة فى فناء عمارة الدرى بشارع قولة بعابدين ولازمها الشيخ أبو العلا محمد ، وعن طريقه تعرفت على أحمد رامى الذى غنت له أكثر من ٢٥٠ أغنية .. وظلت أم كلثوم تغنى فى الحفلات الخاصة حتى عام ١٩٢٣ حينما أحييت أول حفل على المسرح وهى لا تزال ترتدى العباءة والعقال الذى لم تخلعه إلا عام ١٩٢٧ ونجح الحفل نجاحاً كبيرا ، وشنت منيرة المهدية عليها حملة شعواء ولكن ذهبت محاولاتها أدراج الرياح أمام الإعصار القادم .

وكان صوت أم كلثوم أول لحن تفتتح به الإذاعة المصرية حفلاتها الخارجية .. وأصبحت مطربة مصر الأولى ، وكوكب الشرق وسيدة الغناء العربى.

وكانت السينما بانتظارها ، وفى عام١٩٣٦ مثلت أول أفلامها " وداد "

وهو الفيلم الذى تقاضت عنه خمسة آلاف جنيه ، وهو رقم مذهل بمقياس ذلك الوقت ، ثم مثلت " نشيد الأمل " ١٩٣٧ ، " دنانير " ١٩٤٠ ، " عايدة " ١٩٤٣، " سلامة " ١٩٤٥ " ، ثم " فاطمة " ١٩٤٧.

وجاءت الأربعينات لتحمل الحزن إلى أم كلثوم .. مرض أصاب عينيها بسبب بكائها المتكرر على أمها ، وسافرت إلى الولايات المتحدة واكتشفوا أنها مصابة بالغدة الدرقية وكان لابد من إجراء جراحة فى مكان قريب من الحنجرة .. ونجحت العملية ، ثم قامت الثورة وغنت أم كلثوم عدداً كبيراً من الأغانى الوطنية حتى اصبح نشيدها " والله زمان يا سلاحى " النشيد الوطنى لمصر.

وعندما وقعت هزيمة ١٩٦٧ قامت بجولة فى أنحاء العالم وخصصت دخلها للمجهود الحربى ، وكان الحفل الأول فى العاصمة الفرنسية باريس ، وغنت على خشبة مسرح أولمبيا أكبر مسارح باريس ، وتصدرت صفحات الصحف الفرنسية التى قارنتها بالمطربة الإيطالية " ماريا كالاس " ، وغنت الأطلال التى أعادت بعض مقاطعها أكثر من عشر مرات .. ثم بدأت رحلتها مرة أخرى إلى السودان ثم فاس والرباط فى المغرب ثم الكويت ومنها إلى تونس واستمرت رحلتها قرابة عام جمعت خلاله مليونى دولار ، ومنحتها السلطات المصرية جواز سفر دبلوماسى وحصلت على لقب سفيرة.

وظلت أم كلثوم تحى موسمها الغنائى حتى مساء الخميس ٧ ديسمبر ١٩٧٢ حيث كان اللقاء العاشر بينها وبين الموسيقار محمد عبد الوهاب فى أغنية ليلة حب.

تركت أم كلثوم ٧٠٠ أغنية لمعظم شعراء مصر والعالم العربى عبرت فيها عن صورة متكاملة من الحب ، ثروة شارك فيها أبو العلا محمد ، والشيخ

زكريا احمد ، رياض السنباطى ، محمد القصبجى ، داود حسنى فضلاً على ألحان عبد الوهاب والموجى وكمال الطويل وبليغ حمدى وسيد مكاوى .. ولم يكن غريباً أن تطلق مصر اسم أم كلثوم على واحدة من أشهر إذاعاتها.

لم تكن أم كلثوم مجرد مطربة وإنما كانت طرازاً فنياً فريداً فلا عجب أن قلدت قلادة النيل ووسام الاستحقاق وقلادة الجمهورية وجائزة الدولة التقديرية ولقب فنانة الشعب ، كما منحت وسام الأرز من لبنان ، ووسام الاستحقاق من سوريا ، ووسام الجمهورية الأكبر من تونس ، ووسام نجمة الامتياز من باكستان .. ولا عجب فى أن تضعها صحيفة هيرالد تربيون العالمية فى المجلد الخاص بمناسبة مرور ١٠٠ عام على صدورها ضمن مشاهير العالم والقمم فى الفن .

وفى ٢٢ يناير ١٩٧٥ بدأت حالتها الصحية تتدهور ، وبعد أسبوع فاجأها نزيف فى المخ ، وصارع قلبها الموت ١٠٠ ساعة حتى توقف تماماً بعد ظهر الإثنين ٣ فبراير ١٩٧٥ .. ليتوقف عصر طويل للطرب دام خمسين عاماً بعد أن نحتت نهراً من المشاعر يتدفق ويفيض داخل كل منا.

أول بلد عربى وأفريقى
عرف كرة القدم

منذ أن اخترع المصريون القدماء شيئاً مستديراً يلهون به سارت كرة القدم مشواراً حتى نظم الإنجليز أول بطولة لها عام ١٨٧٢ .. وكانت مصر هى أول بلد عربى وأفريقى يعرف كرة القدم ، ومارسها فى البداية الإنجليز الموجودون بمصر منذ ١٨٨٢ .. وفى عام ١٨٩٥ شكل محمد أفندى ناشد أول فريق يلعب باسم مصر ، والتقى هذا الفريق مع بعض المنتخبات الإنجليزية وهزمهم رغم حداثة عهده بالكرة.

وفى عام ١٩٠٣ تأسس نادى السكة الحديد (فى بولاق) وهو أقدم الأندية المصرية إلا أن أول ناد مصرى يمارس كرة القدم ممارسة واسعة كان النادى الأهلى الذى تأسس عام ١٩٠٧ ومن بعده نادى المختلط عام ١٩١١ (الزمالك حالياً) .. وفى عام ١٩١٣ بدأت أولى مسابقات الكرة فى مصر وشاركت فيها الفرق الأجنبية إلى جانب الفرق المحلية وفاز بها نادى (السكة) .. وفى عام ١٩١٦ تكون منتخب مصر من فرق الأندية والمدارس والتقى مع منتخب من الإنجليز وفازت مصر ٢/٤ .. وفى ١١ سبتمبر ١٩١٦ أقيمت أول مسابقة على الكأس المهداة من السلطان حسين وبدأ بعض المصريين فى ذلك الوقت جهودهم من أجل تمصير لعبة كرة القدم وعزل الأجانب عنها.

وفى عام ١٩٢٠ شاركت مصر لأول مرة بفريق لكرة القدم فى الدورة

الأولمبية التى أقيمت بانفرس ببلجيكا ، وكانت مصر هى أول بلد عربى وأفريقى يشترك بفريق كرة القدم فى الأولمبياد ، وقد خرجت مصر من الدور الأول للبطولة حيث خسرت أمام المجر ١/٢ ، وكان نظام المسابقة يقضى بخروج المغلوب ، وقد فازت بلجيكا بالبطولة لانسحاب التشيك أمامها بسبب طرد أحد اللاعبين ، وغضب ملك بلجيكا لعدم إقامة مباراة نهائية تليق بالأولمبياد ، وتم اختيار منتخب مصر ليلعب مباراة ودية مع بلجيكا فى نهاية الدورة ، وحققت مصر المفاجأة وفازت على بلجيكا وسط دهشة العالم كله.

وفى ٣ ديسمبر ١٩٢١ تأسس الاتحاد المصرى لكرة القدم وكان أول اتحاد مصرى خالص ، وفى العام التالى تأسست أول لجنة حكام ، وفى عام ١٩٢٢ بدأت مسابقة كأس مصر التى أطلق عليها فى ذلك الوقت كأس الأمير فاروق ، وقد فاز نادى المختلط (الزمالك) بأول مسابقة للكأس ، وفى عام ١٩٢٣ تم اعتماد الاتحاد المصرى لكرة القدم عضواً بالاتحاد الدولى (الفيفا).

وفى عام ١٩٣٤ كان لمصر الشرف فى أن تكون أول دولة من خارج أوروبا وأمريكا تشترك فى كأس العالم بإيطاليا ، ومضت ستة وثلاثون عاماً حتى ظهر ثانى منتخب عربى فى نهائيات كأس العالم وهو الفريق المغربى عام ١٩٧٠ بالمكسيك ، وشاركت مصر للمرة الثانية فى كأس العالم بإيطاليا ١٩٩٠.

وفى عام ١٩٤٨ قرر الاتحاد المصرى إقامة أول مسابقة للدورى العام بمشاركة (١١) نادياً هى : الأهلى وفاروق (الزمالك) والترسانة والإسماعيلى والمصرى والاتحاد والأوليمبى والسكة الحديد واليونان والترام وبور فؤاد ، وفاز النادى الأهلى بها.

وقد شاركت مصر بفريق كرة القدم فى الدورات الأوليمبية ١٠ مرات : فى دورة انفرس ١٩٢٠ – باريس ١٩٢٤ – امستردام ١٩٢٨ – برلين ١٩٣٦

- لندن ١٩٤٨ - هلسنكى ١٩٥٢ - روما ١٩٦٠ - طوكيو ١٩٦٤ - لوس انجلوس ١٩٨٤ - برشلونة ١٩٩٢ .. وقد اعتذرت مصر عن دورة موسكو احتجاجاً على عدوان الاتحاد السوفيتى على أفغانستان .. وقد فاز الفريق المصرى لكرة القدم بالمركز الرابع فى دورتى امستردام ١٩٢٨ وطوكيو ١٩٦٤.

وتعد مصر أكثر دولة أفريقية شاركت فى نهائيات كأس الأمم الأفريقية (١٩) مرة ، وحقق المنتخب المصرى رقماً قياسياً فى عدد مرات الفوز بكأس البطولة فقد فاز به خمس مرات أعوام : ١٩٥٧ بالسودان ، ١٩٥٩ بمصر ، ١٩٨٦ بمصر ، ١٩٩٨ ببوركينا فاسو ، ٢٠٠٦ بمصر ، وكان أول أهداف بطولة الأمم الأفريقية للاعب المصرى رائف عطيه أمام السودان فى الدقيقة (٢١) من أولى مباريات بطولة ١٩٥٧.

وقد فاز عدة لاعبين مصريين بلقب هداف البطولة : الديبه (٥) أهداف بطولة ١٩٥٧ - الجوهرى (٣) أهداف بطولة ١٩٥٩ - بدوى عبد الفتاح (٣) أهداف بطولة ١٩٦٢ - الشاذلى (٦) أهداف بطولة ١٩٦٣ - طاهر أبو زيد (٤) أهداف بطولة ١٩٨٤ - جمال عبد الحميد (هدفان) بطولة ١٩٨٨ - حسام حسن (٧) أهداف بطولة ١٩٩٨.

كما فاز منتخب مصر لكرة القدم بالميدالية الذهبية فى دورة الألعاب الأفريقية بنيروبى بكينيا عام ١٩٨٧.

وكان محمود الخطيب نجم النادى الأهلى والمنتخب الوطنى أول لاعب مصرى يحصل على جائزة الكرة الذهبية التى تقدمها مجلة (فرانس فوتبول) الأسبوعية الفرنسية لأحسن لاعب أفريقى سنوياً ، وكان ذلك عام ١٩٨٣ .. وفى عام ٢٠٠٠ اختار الاتحاد الدولى للتأريخ وإحصاءات كرة القدم الخطيب كأحسن

لاعب مصرى فى القرن العشرين ، وفى عام ٢٠٠٧ جاء الخطيب فى المركز الثانى ضمن احسن ثلاثين لاعب فى أفريقيا ضمن تصنيف الاتحــاد الأفريقــى لكرة القدم (الكاف).

وكان على قنديل أول حكم مصرى يشترك فى إدارة مباريات نهائيــات كأس العالم لكرة القدم وذلك عامى ١٩٦٦ ، ١٩٧٠ .. تلاه الحكــم المصــرى مصطفى كامل عام ١٩٧٤ ، ثم جمال الغندور عامى ١٩٩٨ ، و٢٠٠٢ ، ثــم عصام عبد الفتاح عام ٢٠٠٦ ، وكان الحكم العربى الوحيد فى هذه البطولة.

وعلى مستوى الأندية حققت الأندية المصرية أرقاماً قياسية فــى عــدد البطولات الأفريقية التى فازت بها ، فقد فازت ببطولة الأندية الأفريقية لأبطــال الدورى (١١) مرة فقد فاز بها الإسماعيلى ١٩٦٩ .. وفاز بها نادى الزمالــك خمس مرات أعوام : ١٩٨٤ – ١٩٨٦ – ١٩٩٣ – ١٩٩٦ – ٢٠٠٢ .. وفاز بها النادى الأهلى خمس مرات أعوام : ١٩٨٢ – ١٩٨٧ – ٢٠٠١ – ٢٠٠٥ – ٢٠٠٦.

بينما فازت الأندية المصرية ببطولة الأندية أبطال الكأس (٨) مــرات ، فقد فاز بها نادى المقاولون العرب ثلاث مــرات أعــوام : ١٩٨٢ – ١٩٨٣ – ١٩٩٦ ، وفاز بها النادى الأهلى أربــع مــرات أعــوام : ١٩٨٤ – ١٩٨٥ – ١٩٨٦ – ١٩٩٣ ، وفاز بها نادى الزمالك مرة واحدة عام ٢٠٠٠.

كما فازت الأندية المصرية ببطولة السوبر الأفريقى ست مرات فقد فاز بها الزمالك أعوام : ١٩٩٤ – ١٩٩٧ – ٢٠٠٣ ، وفاز بها الأهلــى أعــوام : ٢٠٠٢ – ٢٠٠٦ – ٢٠٠٧ .. وفــازت الأنديــة المصــرية ببطولــة الكــأس الأفروآسيوية ثلاث مرات حيث فاز الزمالك ببطولتى ١٩٨٨ – ١٩٩٧ ، وفاز بها الأهلى عام ١٩٨٩ .

كما فاز المنتخب العسكرى لكرة القدم ببطولة كأس العالم خمس مـــرات أعوام : ١٩٩٣ – ١٩٩٩ – ٢٠٠٣ – ٢٠٠٥ – ٢٠٠٧.

الرجل الذى قاد تمصير الطب

على باشا إبراهيم (١٨٨٠ – ١٩٤٦) ولد فى الإسكندرية ، وكان والده رجلاً عصامياً يرجع أصله إلى قرية مطوبس بكفر الشيخ .. تلقى على إبراهيم تعليمه الإبتدائى فى مدرسة رأس التين الأميرية ، وحصل على المركز الأول فى الشهادة الابتدائية ١٨٩٢ ، ثم التحق بالقسم الداخلى من المدرسة الخديوية بالقاهرة ، وحصل على المركز الثانى فى البكالوريا ، ثم التحق بمدرسة الطب وتخرج عام ١٩٠١ وكان الأول على دفعته ، وتدرب على يد الدكتور سيمرس أستاذ علمى الأمراض والميكروبات .

وفى عام ١٩٠٣ أجرى عملية حصوة فى المثانة بطريقة التفتيت ، ليبدأ نجمه بعدها فى الصعود فى بنى سويف ومصر الوسطى ، وفى عام ١٩٠٤ انتدبته مصلحة الصحة لبحث وباء انتشر فى قرية " صيفا " وتوصل إلى أنه الحمى الفحمية وأنها انتقلت إلى الفلاحات عن طريق أقراص الروث الجاف ، ونشر نتائج أول أبحاثه فى مجلة الجيش الملكى.

ثم أثبت إمكان انتقال العدوى إلى جروح العمليات بواسطة الهواء ، وكانت نتيجة غريبة فى مثل هذا الوقت ، ونشر هذا البحث فى بعض المجلات الطبية الإنجليزية ، وترتب عليه إنشاء غرف مغلقه للعمليات الجراحية فى جميع

المستشفيات ، وفى أسيوط استحدث نظام الممرضات .. وقام بإجراء عملية استئصال الطحال المتضخم عام ١٩٠٧ وتزداد قيمة هذه العملية إذا علمنا أن أول عملية من مثل هذا النوع أجريت بنجاح فى قصر العينى عام ١٩١١ وقام بها أحد الأطباء الأجانب ، وفى عام ١٩١٣ منح رتبة البكوية.

وفى الحرب العالمية الأولى تولى أمر مستشفى جراحى أسسته جمعية الهلال الأحمر ، ثم بدأ معركته فى سبيل استقلال الطب ، وحاول إنشاء نقابة للأطباء ولكن عدم تعاون الأطباء الأجانب مع الأطباء المصريين حال دون ذلك حيث كان لهم جمعية خاصة بهم.

وفى عام ١٩١٧ أصدر بالاشتراك مع زملائه المصريين المجلة الطبية المصرية ، ونشرت له أول بحوثه الطبية فى اللغة العربية ، وكان بحثاً عن "بلهارسيا الحالب" أجراه بالاشتراك مع د. أنيس انسى.

وفى عام ١٩٢٠ شارك فى إنشاء الجمعية الطبية المصرية ، وتولى رئاستها عام ١٩٢٥ وحتى وفاته .. ثم أنشأ مبنى لها هو " دار الحكمة " بشارع قصر العينى ووضع حجر الأساس عام ١٩٣٦ ، وتولى المهندس مصطفى بك فهمى الأشراف على البناء حتى خرجت آية من آيات العمارة الإسلامية ، واختير لها هذا الاسم تيمناً باسم المعهد الطبى الذى أنشأه الخليفة المأمون فى بغداد والفاطميون فى مصر فى عصور الإسلام المزدهرة ، وقد أصبحت مقر نقابة الأطباء فيما بعد.

وفى عام ١٩١٨ تولى على إبراهيم إدارة قصر العينى ، ولما انتهت الحرب أنعم عليه بوسام الإمبراطورية البريطانية لبراعة أدائه .. وقد كافح على إبراهيم منِ أجل تمصير التعليم الطبى حتى استطاع أن ينتزع للمصريين ست وظائف رئيسية فى أقسام المستشفى ، وفى عام ١٩٢٤ اختير لشغل وظيفة أستاذ

الجراحة وكان أول مصرى يشغل هذا المنصب .. ثم اختير عام ١٩٢٦ وكيلاً لكلية الطب عقب قيام الجامعة المصرية ، وفى عام ١٩٢٩ تولى عمادة الكلية ليكون أول مصرى يشغل هذا المنصب ، وقد شغل هذا المنصب حتى عام ١٩٤٠ ، وكان أبرز إنجازاته خلال هذه الفترة تمصير هيئة التدريس بكلية الطب.

ولا نزاع فى أن كلية طب قصر العينى كلها من إنشاء على إبراهيم ذلك الرجل الذى وضع لإحيائها برنامجاً محكماً ونظاماً دقيقاً ، وكان أول ما عنى به أن ينشئ مستشفى حديثاً يتسع لألفى سرير ، وقد وضع الملك فؤاد حجر الأساس فى عام ١٩٢٨ فى الاحتفال بالعيد المئوى لمدرسة طب قصر العينى ، وتولى على إبراهيم أمر المستشفى الذى كان ينقصه كل شئ المال والرجال والمعدات ، ولكن طبيعته ساعدته على تحقيق هدفه وأنشأ ذلك الصرح التعليمى الضخم .. ثم جهز معامل الكلية ومتاحفها ، وأنشأ مستوى رفيع للدراسات العليا ، ولم يترك على إبراهيم عمادة الكلية إلا بعد أن نهض بها إلى مكانة مرموقة على المستوى الدولى ، وأصبحت كلمة " قصر العينى " مفتاحاً سحرياً لكثير من الأبواب الطبية العالمية.

وفى هذه الأثناء لم يأل على إبراهيم جهداً فى النهوض بكليتى طب الأسنان والصيدلة ، كما شارك بفاعلية فى مشروع القرش عام ١٩٣١ ، ومشروع القرى الذى كان هدفه إنتشال القرية المصرية من بؤسها بنشر التعليم والتعاليم الصحية والاجتماعية والزراعية والاقتصادية ، وقد استطاع هذا المشروع أن يمحو فى عامه الأول فقط أمية أربعين ألفاً من أهل الريف.

وفى عام ١٩٣٠ حصل على رتبة الباشوية ، واختير رئيساً للمجمع المصرى للثقافة العلمية ، وفى عام ١٩٣٦ أختير رئيساً لجمعية الهلال الأحمر

واستطاع أن ينشئ مستشفى جراحة العظام التابع لها فى شارع رمسيس والذى احتل مكانة مرموقة بين المستشفيات التخصصية فى العالم.

كما أشرف على بناء مستشفى العجوزة وتجهيزه حتى صار على تلك الصورة من الشموخ على نيل القاهرة ، وفى ١٩٣٣ استطاع أن يحصل على موافقة الملك فؤاد على إنشاء الاتحاد الملكى للجمعيات الطبية ، وكان أهم أغراضه إنشاء رابطة تضامن علمية وأدبية بين الجمعيات الطبية المصرية ، وتولى رئاسة هذا الاتحاد الذى كان الخطوة الأولى من أجل إنشاء نقابة الأطباء، التى أنشأها فيما بعد وانتخب أول نقيب لها .. وفى عام ١٩٤٠ حين أنشئ اتحاد المهن الطبية انتخب على إبراهيم أول رئيس لهذا الاتحاد الذى ضم الأطباء البشريين والأطباء البيطريين وأطباء الأسنان والصيادلة.

وفى ١٩٤٠/٦/٢٧ عين وزيراً للصحة ، واستمر بهذا المنصب ١٣ شهراً ، ولكن فى هذه الفترة الوجيزة نظم الوزارة وقسمها إلى مصالح متكاملة .. وفى عهده صدر الدستور المصرى للأدوية ، ودفع بمشروع إنشاء شركة مصر للمستحضرات الطبية حتى خرج إلى حيز التنفيذ.

وقد حرصت كثير من الجمعيات الدولية أن تضم على باشا إبراهيم عضواً بها اعترافاً بمكانته ، فقد كان عضواً بارزاً فى المجمع العلمى المصرى، والجمعية الطبية البريطانية ، وجمعية طب المناطق الحارة وصحتها بلندن ، والمعهد الملكى للصحة العامة بلندن ، ولجنة التأليف الألمانية للجراحة ببرلين ، وكان مراسلاً لأكاديمية الجراحة بباريس.

وقد اختير فى مجمع اللغة العربية عام ١٩٤٠ ، واهتم فيه بتعريب المصطلحات الطبية ، وفى عام ١٩٤١ اختير مديراً لجامعة القاهرة التى قضى أحد عشر عاماً من عمره يجمع بين وكالتها وعمادة الطب بها .. ولم يكد يتولى

على إبراهيم رئاسة الجامعة حتى عمل على أن ينشــئ مــن خلالهــا جامعــة الإسكندرية.

وقد حظى على باشا إبراهيم بتقدير الشرق والغرب ، ففى عــام ١٩٣٩ منحته بريطانيا أعظم ما يمنح لأجنبى وهو نيشان الإمبراطورية البريطانية لقب فارس (سير) ومنحته كلية الجراحين الملكية زمالتها الشرفية وهى الدرجة التى لا تمنح إلا لعدد محدوداً جداً من أميز أعضائها وخريجيها ، وفى عــام ١٩٨٠ منح الرئيس السادات اسم الجراح الكبير قلادة الجمهورية.

أول حزب فى مصر

الحزب الوطنى الذى أنشئ فى اجتماع شعبى بمسرح زيزينيا بالإسكندرية مساء الثلاثاء ٢٢ أكتوبر ١٩٠٧ برئاسة مصطفى كامل ثم خلفه محمد فريد عام ١٩٠٨ ، وقاد الحزب التيار الرئيسى للحركة الوطنية حتى بداية الحرب العالمية الأولى .. ويعد أول تنظيم حزبى حقيقى فى مصر.

ويتحفظ البعض فى إطلاق كلمة حزب بالمعنى العلمى – بمعنى أنه أداة الوصول إلى الحكم والاحتفاظ بالسلطة السياسية بناء على برنامج سياسى معين – على الحزب الوطنى الذى تأسس عام ١٨٧٩ بزعامة أحمد عرابى ، والذى يشار إليه عادة على أنه أول حزب فى مصر حيث أنه كان فى حقيقة الأمر أقرب ما يكون إلى جبهة وطنية ذات أهداف عامة ، وافتقدت التنظيم اللازم للاستمرار الحزبى ، كما أن حزبى الأمة والإصلاح على المبادئ الدستورية اللذان تأسسا عام ١٩٠٧ لم يتوفر لهما شروط الحزب ، فالأول تكون حول مجموعة محدودة من المثقفين وكبار ملاك الأرض ، ولم يكن له وجود تنظيمى أو ثقل جماهيرى ، والثانى ارتبط بشخص مؤسسه الشيخ على يوسف وانتهى بوفاته دون أن يكون له وجود حقيقى سياسى أو تنظيمى.

وهناك خلاف حول السبب الذى دفع مصطفى كامل إلى إعلان الحزب ،

فهناك من يرى أن ذلك يرجع إلى شعوره بإعتلال صحته ودنو أجله ، ويـرى آخرون أن السبب هو تكوين حزب الأمة فى سبتمبر وإدراكه خطورة الأحزاب التى لا تمثل الشعب وإنما تدور فى ركاب الاحتلال والسراى ، ويرى البعض أن السبب يكمن فى بلوغ الحركة الوطنية درجة من النضج والتبلور استوعبت قيام الحزب كتنظيم علنى.

وجدير بالذكر أن مصطفى كامل كان متردداً فى إنشاء الحزب خوفاً من تفتيت وحدة الشعب ، فكان يرى أن مصر لم تكن تحتاج إلى تنظيمات حزبية وتبدو حاجتها إلى الوحدة وإيقاظ الوعى الوطنى.

وقد انطلق فكر مصطفى كامل ومجموعة الحزب الوطنى من ضرورة جلاء الإنجليز عن مصر ، ومن ثم فإن الاستقلال هو هدف مصر الأول ، وضرورة إيجاد حكومة دستورية فى البلاد بحيث تكون الهيئة الحاكمة مسئولة أمام مجلس نيابى تام السلطة كمجالس النواب فى أوربا.

وقد اتسم الحزب بديمقراطية تنظيمية واضحة فكان هناك هيكل حزبى على أساس ديموقراطى ، ورفض مصطفى كامل أن يقوم بتعيين اللجنة الإدارية للحزب ، وترك ذلك للجمعية العمومية ، وقد اعتمد على أساليب الإعلام والصحافة وعرض قضية مصر على الرأى العام الدولى ، وتهيئة وإنعاش الرأى العام الداخلى ، واصدر صحفاً باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية ، وقام مصطفى كامل ومن بعده محمد فريد بزيارات مستمرة للدول الأوربية لتأليب الرأى العام الأوربى ضد إنجلترا ، وقد اهتم برنامج الحزب بالمشكلة الاجتماعية فنص على ضرورة نشر التعليم حتى يعم الطبقات الفقيرة ، وحث الأغنياء على تأسيس الجامعات وإرسال البعثات إلى أوربا ، وإنشاء دراسات ليلية للعمال وتنمية الزراعة والصناعة والتجارة حتى تحصل البلاد على استقلالها

الاقتصادى .. واهتم الحزب بتنظيم العمال بالذات تحت تأثير محمد فريد الذى كان مطلعاً على الفكر النقابى الأوربى وعلى معرفة بالنشاطات النقابية فى العالم، فأنشأ نقابة الصنائع اليدوية ، وأنشئت نقابات أخرى فى الإسكندرية والمنصورة وطنطا ، كما أنشأ مدارس الشعب لتعليم العمال.

وقاد الحزب الكفاح الوطنى حتى ثورة ١٩١٩ رافعاً شعارات الاستقلال التام لمصر ، ووحدة مصر والسودان ولا مفاوضات مع إنجلترا قبل الجلاء ، ولكن نفوذه بدأ فى التضاؤل ، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب من أهمها ظهور الوفد كبديل ، كما قدم سعد زغلول طريقاً أكثر واقعية ، وأقنع المصريين بعدم جدوى شعار لا مفاوضات إلا بعد الجلاء ، وبينما اعتمد الحزب الوطنى على المتعلمين فى القاهرة والإسكندرية ، انتشر الوفد بين كل فئات الشعب وفى الأقاليم .

بالإضافة إلى الشخصية التاريخية لسعد زغلول فى الوقت الذى أفتقد فيه الحزب الوطنى شخصياته القيادية بوفاة مصطفى كامل ، ووجود محمد فريد فى الخارج ، واتبعت السلطات الإنجليزية سياسة اضطهاد وقمع تجاه قادته مما أدى إلى استقالة عدد كبير منهم من الحزب أو الابتعاد عن النشاط السياسى ، وتدهورت أوضاعه المالية حتى أن أمتعة نادى الحزب بيعت بالمزاد العلنى فى مايو ١٩١٣ وفاءاً للديون المطلوبة عن إيجار المبنى ، كذلك فإن فترة الحرب العالمية الأولى وإعلان حالة الطوارئ التى كانت فاصلاً حجب الحزب عن الرأى العام، وتغير الظروف الدولية التى نشأ وتطور الحزب الوطنى فى ظلها ففرنسا أصبحت حليفة لبريطانيا ، والدولة العثمانية هزمت فى الحرب ، ونتيجة لكل هذه العوامل تضاءل نفوذ الحزب ليحل محله حزب الوفد.

النبيل الثائر

ولد محمد فريد فى ١٨٦٨/١/٩ فى أحد قصور السيدة زينب ، وكـــان أبوه احمد فريد باشا ناظر الدائرة السنية عام ١٨٨٦ ، وما أن بلغ الطفل السابعة من عمره حتى أدخله أبوه مدرسة خليل أغا ليتعلم القراءة والكتابة ، ثم نقل إلى مدرسة الفرير ليدرس اللغة الفرنسية ، ثم التحق بالمدرسة التجهيزية ثــم دخــل مدرسة الألسن ثم مدرسة الحقوق ونال شهادتها عام ١٨٨٧.

وعين بقلم قضايا الدائرة السنية ، وتدرج فى وظائف القضاء حتى أصبح وكيل نيابة محكمة الاستئناف الأهلية ، وابتداء مــن عــام ١٨٨٧ بــدأ يكتــب المقالات، وكان يوقع بالحرفين الأولين من اسمه لأن والده أبى عليه الاشــتغال بالصحافة خوفاً من أن يعرضه لغضب السلطة فى ذلك الوقت.

وعندما قدم الشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد للمحاكمة فى إحدى القضايا ، كان محمد فريد وكيلاً للنيابة ، وصدرت منه أثناء الجلســة عبــارات عدتها الحكومة ماسة بها ، فأمرت بنقله إلى الصعيد ، إلا أنه آثر الاستقالة عام ١٨٩٧ ، واشتغل بالمحاماة مع محمود أبو النصر ، وأصدر بالاشتراك محمــد احمد حافظ عوض ومحمود أبو النصر مجلة علميــة نصــف شــهرية اســمها "الموسوعات" عام ١٨٩٨.

وكان محمد فريد قد اتصل بمصطفى كامل منذ عام ١٨٩٣ ، وصار سنده الأكبر فى بعث الحركة الوطنية ، واختاره مصطفى كامل وكيلاً للحزب الوطنى فى أول جمعية عمومية له عام ١٩٠٧ ، ولما توفى مصطفى كامل فى فبراير ١٩٠٨ تولى محمد فريد زعامة الحزب الوطنى ، وفى هذه الفترة كان الوهن قد بدأ يدب فى جريدتى الحزب الوطنى الفرنسية والإنجليزية ، ذلك أن الأسلوب العنيف الذى كانتا تخاطبان به الإنجليز أدى إلى أن فر منهما القراء الأجانب ، كما أن الشركات – وكان معظمها أجنبياً – امتنعت عن إمدادهما بالإعلانات فهبط الدخل والتوزيع وتم إغلاقهما عام ١٩٠٩ .. ولم يبق للحزب سوى صحيفة اللواء التى سرعان ما نشبت الخلافات حولها مع بعض ورثة مصطفى كامل على ملكيتها ، مما دفع محمد فريد إلى إنشاء جريدة العلم عام ١٩١٠ ، وحقق نجاحاً كبيراً مما دفع الحكومة إلى إصدار قرار بعد ثلاثة عشر يوماً من صدورها بتعطيلها شهرين لأنها خرجت عن حد الاعتدال ، ودفع ذلك محمد فريد إلى إصدار جرائد " الاعتدال " و " الشعب " و " العدل " حتى انتهت مدة التعطيل.

ومن الجدير بالذكر أن الإنجليز حاولوا عام ١٩٠٩ التقدم بمشروع لمحاولة مد امتياز شركة قناة السويس ٤٠ عاماً من ١٩٦٩ إلى ٢٠٠٩ ولكن محمد فريد أثار الرأى العام ضده حتى تم إحباطه.

وفى ١٩١٠/٦/١٦ أصدرت الحكومة قانوناً ينص على إحالة جرائم النشر إلى محاكم الجنايات بدلاً من محاكم الجنح وكان الغرض ردع الصحفيين وأصحاب الآراء الحرة ، وبمقتضى هذا القانون الجديد قدم محمد فريد إلى المحاكمة فى قضية ديوان " وطنيتى " للشيخ على القاياتى وحوكم عام ١٩١١ لكتابته مقدمة الديوان وحكم عليه بالحبس ستة أشهر قضاها فى سجن الاستئناف بباب الخلق.

وقد رأى محمد فريد ضرورة إسناد الحزب الوطنى إلى قاعدة عريضة ومنظمة من أكثر الفئات الاجتماعية ثورية وهى العمال والفلاحين والمثقفون فعمل على تنظيم هذه الفئات وربطها بالحزب الوطنى ، فأنشأ للعمال أول نقابة وهى " نقابة الصنائع اليدوية " ببولاق ، والتى تعد أكبر تنظيم عمال فى مصر فى الفترة السابقة على الحرب العالمية الأولى ، وبلغ حجم عضويتها عام ١٩١٢ نحو أربعة آلاف عضواً وكان لها فروع فى الأقاليم، وكان نادى النقابة بالسبتية من أنشط مراكز النشاط العمالى ، وأنشأ للفلاحين النقابات الزراعية (التعاونيات) وللمثقفين أنشأ نادى المدارس العليا للطلبة والخريجين ، ومدارس الشعب لتعليم العمال ، وبدأت هذه المدارس نشاطها فى أواخر عام١٩٠٨ ، وكان أولها مدرسة الشعب ببولاق (نوفمبر ١٩٠٨) ثم انتشرت فى أحياء ومدن أخرى ، وكان برنامج هذه المدارس يتناول مواد القراءة والكتابة والدين والصحة وتربية الطفل وقوانين الشئون الاجتماعية والحساب وتاريخ مصر وجغرافيتها والتاريخ الإسلامى والأخلاق والآداب ، ولكن عوامل عديدة وقفت أمام هذا الحلم ، وعندما جاءت الحرب العالمية الأولى قررت بريطانيا إغلاق نقابة الصنائع اليدوية ومدارس الشعب.

وفى عام ١٩١٢ شعر محمد فريد باشتداد وطأة اضطهاد الحكومة له ، وفى ٢٢ مارس من هذا العام ألقى خطبة نادى فيها بمتابعة السير فى مشروع إنشاء جامعة مصرية ، وضرورة تشكيل النقابات العمالية ومطالبة الحكومة بشد أزر حركة التعاون ، وأن عدم التفات الحكومة إلى ترقية شأن العامل والفلاح مرجعه الاحتلال الذى يريد أن تبقى هذه الطبقات كقطيع الغنم ، وختم خطابه بالمطالبة بالدستور ، ولم يكد يمضى يومان حتى استدعى للنيابة بتهمة التحريض على كراهية ومحاولة قلب نظام الحكم.

كانت نية الاحتلال قد توجهت إلى شل حركته نهائياً ، ولم يعد أمامه من

سبيل إلا الهجرة من وطنه ، فغادر مصر إلى الأستانة ثم إلى فرنسا فـإنجلترا فسويسرا ، وصدر عليه حكم غيابى بالحبس سنة مع الشغل .. وواصل كفاحـه على صفحات الصحف الأجنبية وعقد المؤتمرات لشرح القضية المصرية.

وكان قد عقد مؤتمر الشبيبة المصرية فى جنيف عام ١٩٠٩ ، ودعا إلى حضوره أغلب الزعماء البارزين فى الحركة الاشـتراكية الأوربيـة ، وبحـث المؤتمر المشكلات المصرية ، وفى العام الثانى حاول أن يعقد مؤتمراً آخر فى باريس ليكشف للعالم حقيقة السياسة البريطانية فى مصـر ، ولكـن الحكومـة الفرنسية مجاملة منها لإنجلترا منعت عقد المؤتمر فعقده فى بروكسل وكان من أعظم المؤتمرات التى عقدها الوطنيون بالخارج ، وفـى عـام ١٩١٠ حضـر جلسات المؤتمر الثامن عشر لأنصار السلام فى استكهولم ونجـح فـى جعـل المسألة المصرية من المسائل الأساسية فى جدول أعمال المؤتمر للسنة التالية ، وفى عام ١٩١٢ حضر مؤتمر السلام بجنيف حيث قرر الأعضاء اعتبار احتلال الإنجليز لمصر عملاً غير مشروع.

وفى المنفى أسس محمد فريد فى جنيف جمعية " ترقى الإسلام " واصدر لها مجلة باللغة الفرنسية عام ١٩١٣ ، كما حاول أن ينشئ جريـدة أسـبوعية فرنسية تحمل اسم " ايكو دى ليجبت " أى " صدى مصر " ولكن بعـد صـدور العددين الأول والثانى أوقفتهما الحكومة السويسرية بدعوى أنها تعكـر صـفو الحياد الذى تقفه سويسرا.

ومرت سنوات النفى ، وبدأ يعانى من ضيق ذات اليد وعرفت الأزمات المالية طريقها إليه بعد أن باع كل أملاكه وأراضيه وأنفق ثمنها فى سبيل قضية بلاده حتى نفذت نقوده ، وبعدها بدأت قسوة الحياة وجوع المنفى واعتلت صحته وهو فى برلين حيث عاش أيامه الأخيرة ، وفى حجرة عارية محرومـة مـن

وسائل التدفئة ، وكان يقف فى طابور المترددين على " مطاعم الشعب " شبه المجانية ، وقد أثارت هذه المعلومات شماتة الخديوى عندما سمعها ، ولم يكن يعرف أنه سيشرب من نفس الكأس وينفى بأمر الإنجليز أثناء الحرب العالمية الأولى.

ولم يتحمل محمد فريد هذه الحياة القاسية التى لا تتناسب مع سنه فاشتد عليه المرض ، ونصحه طبيبه بالعدول عن سياسته ، وبالاتفاق مع الإنجليز على أساس الحماية حتى يتمكن من العودة إلى مصر لأنه كان فى حاجة إلى دفء مناخها لكى يشفى ، ولكن محمد فريد رفض ، وفى ١٥ نوفمبر ١٩١٩ فاضت روحه فى برلين ، ولم ينقل رفاته إلى أرض الوطن إلا فى ٩ يونيو ١٩٢٠ ، على نفقة أحد المصريين هو الحاج خليل عفيفى.

مصر صاحبة فكرة أهم البطولات الأفريقية والعربية

كانت مصر هى أول دولة عربية وأفريقية تتقدم لعضوية اللجنة الأولمبية عام ١٩١٠ ، وأول دولة من خارج أوربا وأمريكا تشترك فى الدورات الأولمبية منذ عام ١٩١٢ ، ثم أنها كانت الدولة الرائدة فى الدعوة لإنشاء دورة ألعاب دول البحر الأبيض المتوسط عام ١٩٤٩ وأقامت أول دورة فى مدينة الإسكندرية عام ١٩٥١ ، كما أن مصر كانت هى الدولة الرائدة فى الدعوة لإنشاء دورة ألعاب الدول الأفريقية ، وأول دورة ألعاب للدول العربية فى الإسكندرية عام ١٩٥٣ ، وأول بطولة لكأس الأمم الأفريقية فى كرة القدم بالخرطوم عام ١٩٥٧.

وقد تشكلت أول لجنة أولمبية مصرية عام ١٩١٠ برئاسة الأمير عمر طوسون وبادرت فى الاشتراك باللجنة الأولمبية الدولية لتكون الدولة رقم ١٤ فى قائمة الدول المشتركة وأول دولة عربية وأفريقية ، وقد عينت مصر سكرتيراً عاماً للجنة الأولمبية المصرية وهو (أنجلو بولاناكى) وهو شاب رياضى يونانى الجنسية لكنه مصرى المولد والإقامة وكان رياضياً متفوقاً أحرز عدة بطولات فى مسابقات العدو وظل يشغل هذا المنصب طوال ٢٤ عاماً حتى عام ١٩٣٤.

وفى عام ١٩٣٤ حدث تطور كبير فى مسيرة الرياضة المصرية بإنشاء

اللجنة الأهلية للرياضة البدنية لتنظيم الرياضة فى مصر تبعاً للأنظمة الحديثة ، وكذلك حدث تطور كبير بأن طالبت مصر بتنظيم اللجنة الأولمبية المصرية واستجابت اللجنة الأولمبية الدولية واختارت محمد طاهر باشا ليكون ممثلاً لها فى مصر.

وكانت فكرة إقامة دورة ألعاب البحر المتوسط مصرية ، وكان صاحبها محمد طاهر باشا عضو اللجنة الأولمبية الدولية وممثلها فى مصر ، وقد عرضت فكرته على اللجنة الأولمبية فى مؤتمرها الذى عقد فى مدينة روما ، وصدرت الموافقة بأن تتولى مصر تنظيم أول دورة رياضية للدول المطلة على البحر الأبيض المتوسط فى مدينة الإسكندرية فى شهر أغسطس ١٩٥١ ، وقد وجهت اللجنة دعواتها واستجابت لها عشر دول هى :

أسبانيا / مالطة / إيطاليا / تركيا / اليونان / يوغوسلافيا / لبنان / سوريا / موناكو / فرنسا ، وذلك إلى جانب مصر الدولة المنظمة.

وقد أقيمت أول دولة فى الإسكندرية من ٥ إلى ٢٠ أكتوبر ١٩٥١ وتضمنت ١٣ لعبة رياضية هى :

ألعاب القوى / كرة القدم / كرة السلة / السلاح / الهوكى / التجديف / الجمباز / السباحة / الملاكمة / المصارعة / الرماية / الفروسية / رفع الأثقال.

وكانت شارة دورة البحر الأبيض المتوسط تشمل منظراً لمنارة الإسكندرية تعلوها علامة الألعاب الأولمبية وتقرر إقامتها كل ٤ سنوات.

كما كانت مصر هى صاحبة الدعوة إلى إقامة دورة الألعاب الأفريقية ، وقد وافقت اللجنة الأولمبية الدولية على هذه المبادرة من جانب مصر وقررت فى اجتماعها عام ١٩٢٧ إقامة أول دورة أفريقية فى مدينة الإسكندرية ، وكان هذا دافعاً لإنشاء إستاد الإسكندرية عام ١٩٢٩ ، ولكن لم يتحقق تنفيذ دورات

رياضية أفريقية إلا بعد ٣٥ عاماً عندما قرر المجلس الأعلى للرياضة فى أفريقيا إقامة أول دورة أفريقية فى مدينة برازفيل عاصمة الكونغو عـام ١٩٦٥، وقـد حصلت مصر على المركز الأول فى ست دورات أعـوام ١٩٦٥ برازفيـل – ١٩٧٣ لاجوس – ١٩٨٧ نيروبى – ١٩٩١ القاهرة – ٢٠٠٣ أبوجا – ٢٠٠٧ الجزائر.

وقد صممت ميدالية الألعاب الأفريقية لتحمل صورة المصارع المصرى العظيم بطل العالم إبراهيم مصطفى باعتباره أول مصرى وأفريقى يحصل على أول ميدالية ذهبية فى المصارعة فى الألعاب الأوليمبية التى أقيمت فى امستردام عاصمة هولندا عام ١٩٢٨.

وكانت مصر أيضاً هى صاحبة الدعوة لإقامة دورة رياضـية للـدول العربية حين طرح الفكرة لأول مرة المصرى عبد الرحمن باشا عزام الأمـين العام لجامعة الدول العربية الأسبق عام ١٩٤٧ ، ثم جدد الدعوة المصرى احمد الدمرداش تونى عام ١٩٥٣ وقد فازت مصر بهذه البطولة ست مرات أعـوام : ١٩٥٣ الإسكندرية – ١٩٦١ كازابلانكا – ١٩٦٥ القاهرة – ١٩٩٧ بيروت – ١٩٩٩ عمان – ٢٠٠٧ القاهرة.

كما كانت مصر هى صاحبة الدعوة لإقامة مسابقة كأس الأمم الأفريقية فى كرة القدم التى أقيمت أولى مسابقاتها فى الخرطـوم فـى فبرايـر ١٩٥٧ واشتركت فيها ثلاث دول هى مصر والسودان وأثيوبيا وفازت بها مصر خمس مرات محققة رقماً قياسياً وذلـك أعـوام ١٩٥٧ ، ١٩٥٩ ، ١٩٨٦ ، ١٩٩٨ ، ٢٠٠٦.

أول رواية عربية

تعتبر رواية " زينب " التى كتبها المصرى الدكتور محمد حسين هيكل أول رواية طويلة يكتبها أديب عربى ، وقد نشرها فى الصحف المصرية عام ١٩١١ بإمضاء " فلاح مصرى " ، وكانت من أولى الروايات التى تم إخراجها للسينما وعرضت على الشاشة عام ١٩٢٧ .. وقد كتبها فى باريس أثناء إعداده رسالة الدكتوراه فى القانون .

وتصور رواية " زينب " شاباً متعلماً من الريف من أسرة ثرية أحب ابنة عم له ، غير أنه لم يستطع التعبير عن هذا الحب بسبب العادات والتقاليد ، وفى أحد الأيام فوجئ بزواجها من شخص آخر ، وحطمته المفاجأة ودفعته لأن يحب فتاة ريفية ساذجة تسمى " زينب " غير أنها كانت فى منزلة متواضعة لا ترتقى إلى منزلة اسرته ، فمنحت حبها لشخص فى مستواها الاجتماعى ثم اضطرت إلى الزواج ، وتؤدى الظروف ببطل القصة إلى الذهاب للسودان ليعمل فى الخدمة العسكرية ، وتقع زينب أسيرة لمرض أودى بحياتها.

وتتميز القصة بأسلوب رقيق ووصف رائع للحياة فى الريف ، وهى تنتقد التقاليد التى تسيطر على الحياة الريفية التى تدفع بطل القصة إلى أن يحاول تحطيم هذه القيود البالية التى تقيد حركته.

ولد محمد حسين هيكل فى كفر غنام بمركز السنبلاوين بالدقهلية عام ١٨٨٨م ، وتخرج فى مدرسة الحقوق عام ١٩٠٩ ثم سافر إلى باريس فحصل على درجة الدكتوراه فى الاقتصاد السياسى عام ١٩١٢ ثم عمل فى الصحافة ثم أستاذاً للحقوق فرئيساً لتحرير جريدة " السياسة " فوزيراً للمعارف فالشئون الاجتماعية فرئيساً لمجلس الشيوخ.

ومن أعمال هيكل كتاب " جان جاك روسو " الذى صدر عام ١٩٢٣ ، وكان هيكل مغرماً " بروسو " لسببين هما طريقته فى التفكير التى تكاد تكون شرقية وشخصيته الفكرية التى خلدته .. ونشر هيكل عام ١٩٢٥ " فى أوقات الفراغ " وهى مجموعة رسائل أدبية تاريخية أخلاقية فلسفية .. ثم أخرج كتاب "عشرة أيام فى السودان" وسجل فيه رحلته إلى هناك وأزال الشبهات عن هذا البلد حيث كان يظنه بعض الناس أرضاً جرداء لا تصلح للحياة ولا يمكن أن تكون إلا منفى لمن غضب عليه فى مصر ، ومنهم من كان يظنه مكاناً لا يصلح لزراعة أو صناعة أو تجارة ، فأزال هيكل بكتابه كثيراً من الشبهات عن السودان وسكانه.

ثم وضع كتابه " تراجم شرقية وعربية " ثم كتاب " ولدى " و " ثورة فى الأدب " ثم كتب عدة دراسات تاريخية عن محمد صلى الله عليه وسلم وأبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب ثم كتاب " مذكرات فى السياسة المصرية " ثم قصة " هكذا خلقت ".

وتوفى محمد حسين هيكل فى ٨ ديسمبر ١٩٥٦.

أول دولة تشارك فى الأولمبياد
من خارج أوربا وأمريكا

كانت مصر هى أول دولة من خارج أوربا وأمريكا تشترك فى الأولمبياد .. وكان أحمد حسنين لاعب السلاح هو أول لاعب يمثل مصر وذلك عام ١٩١٢ فى أولمبياد إستوكهلم بالسويد ، عندما سافر على نفقته الخاصة وقام بجميع المهام كلاعب وإدارى ورئيس بعثة.

وقد رأس احمد حسنين باشا أول بعثة أوليمبية كاملة في دورة انفرس الأولمبية ببلجيكا عام ١٩٢٠ واشترك فى لقاءات السلاح وكان قد تولى منصب رئيس الديوان الملكى ، واشتركت مصر وقتها فى (٦) ألعاب هى كرة القدم ، وألعاب القوى ومثلها لاعبان ، والجمباز لاعبان أيضاً ، والسلاح ورفع الأثقال والمصارعة الرومانية وفى كل منها مثل مصر لاعب واحد فقط .

وقد سطر لاعبو مصر سجل الشرف الأوليمبى بالعديد من الميداليات والإنجازات ، فقد حصلت مصر على سبع ميداليات أولمبية ذهبية أحرزها : إبراهيم مصطفى (المصارعة) والسيد نصير (رفع الأثقال) أمستردام ١٩٢٨، وخضر التونى وأنور مصباح (رفع الأثقال) برلين ١٩٣٦ ، وإبراهيم شمس ومحمود فياض (رفع الأثقال) لندن ١٩٤٨ ، وكرم جابر (المصارعة) أثينا ٢٠٠٤.

كما حصل لاعبو مصر على سبع ميداليات أولمبية فضية أحرزها : فريد سميكة (الغطس من السلم الثابت) أمستردام ١٩٢٨ ، وصالح سليمان (رفع الأثقال) برلين ١٩٣٦ ، وعطية حمودة (رفع الأثقال) ومحمود حسن (المصارعة) لندن ١٩٤٨ ، وعيد عثمان (المصارعة) روما ١٩٦٠ ، ومحمد رشوان (الجودو) لوس أنجلوس ١٩٨٤ ، ومحمد على (الملاكمة) أثينا ٢٠٠٤ .. ومن الجدير بالذكر أن محمد رشوان في دورة لوس أنجلوس كان يستطيع الحصول على الميدالية الذهبية لو استغل إصابة منافسه الياباني ياماشتا فى قدمه ولكن أخلاقه الرياضية أبت عليه استغلال هذا الموقف وهو ما كان محل تقدير جميع الأوساط الرياضية فى ذلك الوقت.

وحصل لاعبو مصر على تسع ميداليات أولمبية برونزية أحرزها : فريد سميكة (الغطس من السلم المتحرك) امستردام ١٩٢٨ ، وإبراهيم شمس ووصيف إبراهيم (رفع الأثقال) برلين ١٩٣٦ ، وإبراهيم عرابى (المصارعة) لندن ١٩٤٨ ، وعبد العال راشد (المصارعة) هلسنكى ١٩٥٢، وعبد المنعم الجندى (الملاكمة) روما ١٩٦٠ ، ومحمد السيد وأحمد إسماعيل (الملاكمة) وتامر بيومى (تايكوندو) أثينا ٢٠٠٤.

عميد الأدب العربى
يحصل على أول دكتوراه مصرية

ولد عام ١٨٨٩ فى قرية عزبة الكيلو مركز مغاغة بالمنيا ، وفقد بصره وهو فى الثالثة من عمره ، وحددت الصدمة مستقبله فلم يبعث بـه أبـوه إلـى المدرسة ، بل عزم على أن يدخله الكتاب حتى يصير شيخاً من حفظة القـرآن الكريم ، وقد يسعده الحظ فيرسل به إلى الأزهر الشريف .. ولم يكد طه حسين يكمل التاسعة من عمره حتى أتم حفظ القرآن الكريم كله .. وفـى عـام ١٩٠٢ ذهب ليدرس فى الأزهر وكان قد بلغ من عمره الثالثة عشرة، وظل بـه حتـى التاسعة عشرة ، وفى هذه السنوات التقى بشيوخ مختلفين منهم من جمدوا علـى القديم ووقفوا عنده ، ومنهم من مالوا إلى التجديد والتطوير ، فسخط أشد السخط على الجامدين المتحجرين ورضى كل الرضا عن الفريق الثانى ، وكـان مـن أساتذته الشيخ محمد مصطفى المراغى والإمام محمد عبده .

وأفاد الأزهر طه حسين كثيراً ففيه تلقى علومه الإسلامية ، وفى رحابه تكونت أصول ثقافته العربية القديمة ، وما كان يمكنه أن يكون طه حسين الذى عرفته دنيا الأدب والفكر لو درس الثقافة الحديثة وحدها .. وفـى عـام ١٩٠٨ وعندما أنشئت الجامعة الأهلية سارع إلى الالتحاق بها ، ودفع جنيهاً رسم التحاق بالقسم المسائى قدمه له صديقة أحمد حسن الزيات.

وبدأ طه حسين ينتزع بعض الوقت من الدراسة ليوافى الصحف ببعض

المقالات ، وبدأ مشاركة الحياة الأدبية والاجتماعية من حوله ، وبدأ تعلم اللغة الفرنسية ، وفتحت له الجامعة الأبواب لدراسة الثقافة العصرية المتطورة ودراسة التراث العربى الأصيل ، وقد سجلت له هذه السنوات نجاحاً فى دراسته داخل قاعات الجامعة ، وقد توج هذا النشاط برسالة قدمها للجامعة فى ١٩١٤/٥/١٥ بعنوان " تجديد ذكرى أبى العلاء " ونال بها درجة الدكتوراه ، وكانت أول دكتوراه تمنحها جامعة مصرية ، واعتزازاً من الجامعة بإبنها النابغة قررت فى ١٩١٤/٨/٢ أن يسافر فى بعثة إلى فرنسا على نفقتها.

ولم تلبث الحرب العالمية الأولى أن شبت فتقرر أن يكون سفره إلى "مونبلييه" بدلاً من باريس التى تهددها الحرب ، وأمضى هناك عاماً تمكن فيه من اللغة الفرنسية ، ودرس الأدب والتاريخ وعلم النفس ، وفجأة استدعته الجامعة إلى مصر لعجز ألم بمواردها المالية ، وحين عاد أخذ يكتب المقالات دفاعاً عن بعثته ، وتدارك الأمر الأمير أحمد فؤاد وأنقذ الجامعة من عجزها المالى ، وعاد طه حسين إلى فرنسا والى باريس هذه المرة ، وهناك تزوج "سوزان بريسو" فى ١٩١٨/٨/٩ وكانت ذات أثر كبير فى حياته فقد وقفت إلى جانبه ، وكانت خير قارئ تنقل له كنوز اللغة الفرنسية نقلاً واعياً متذوقاً ، وكانت تسجل له ما يمليه عليها ، وأعانته على دراسته حتى حصل على الدكتوراه فى" الفلسفة الاجتماعية عند ابن خلدون " عام ١٩١٨ ثم حصل على دبلوم الدراسات العليا عن رسالة تتصل بالقانون المدنى.

وعاد طه حسين إلى مصر عام ١٩١٩ ، وعين أستاذاً للأدب العربى ، ومضى يشق طريقه بين هيئة التدريس بالجامعة ، وفى تلك السنة ظهر له كتابان " الظاهرة الدينية عند اليونان " و " تطور الآلهة وأثرها فى المدينة " ولم يكن يمضى عام دون أن يظهر له كتاب مؤلف أو مترجم وقد عمل طه حسين على أن يغير الأدب العربى فى فكره وألوانه وأسلوبه ، ثار على الشعر والشعراء فى

عصره لأنه وجد أكثر ما يقولون شعر مناسبات ، وشعراً باليـاً يقلـد القـدماء ويسرق منهم الفكرة والصورة والعبارة ، كما ثار على الكتابة والكتـاب ورأى أنهم يتحركون فى دائرة ضيقة محدودة خالية من الأشكال الفنية الصحيحة للنثر الحديث كالمقالة والقصة والمسرحية ، وأنهم مع ضيق هذه الدائرة يملئون نثرهم بالزخارف الخداعة .. وأحدثت آراؤه ضجة كبيرة فى ميدان الشـعر والنثـر ، وقاومه الكثيرون ، أما هو فلم يكتف بذلك بل عرض نماذج لهم مـن الأشـكال الفنية الصحيحة فأخرج كتاباً بعنوان " صحف مختارة من الشعر التمثيلى عنـد اليونان " وأخرج عام ١٩٢٤ كتاباً بعنوان " قصص تمثيلية لجماعة من أشـهر الكتاب الفرنسيين " وفى عام ١٩٢٥ ظهر المجلد الأول من أحاديـث الأربعـاء التى كانت تنشرها له صحيفة السياسة عن الشـعراء المجـددين فـى العصـر العباسى ، وظهر المجلد الثانى عام ١٩٢٦.

وفى عام ١٩٢٦ أيضاً ظهر له كتاب " الأدب الجـاهلى " الـذى كـان كالزلزال ، زعزع ما استقر فى النفوس من حقائق عـن ذلـك الأدب ، وثـار الكثيرون ، وحول الكتاب إلى النيابة ، وتقرر منع نشره ، ولكن طـه حسـين حاول حتى أعاد نشره بعنوان " فى الأدب الجاهلى ".

واختير طه حسين عميداً لكلية الآداب ، وعرض الأمـر علـى وزيـر المعارف ، ولم يكن من الحزب الذى يناصره طه حسين ، فأبى أن يوافق على اختيار الجامعة له ، وطلب إليه أن يستقيل من العمادة ، فأصر طه حسين علـى أن يعتمد الوزير تعيينه أولاً ثم يستقيل بعد ذلك ، وقبل الوزير واعتمد التعيـين واستقال طه حسين من العمادة بعد يوم واحد ، وتولاها عميد فرنسى.

وفى عام ١٩٢٩ ظهر الجزء الأول من " الأيام " يحكـى فيـه قصـة طفولته ونشأته ، وفى عام ١٩٣١ انتهت مدة العميد الفرنسى ، فأعادت الكليـة

انتخاب طه حسين عميداً لها ، ولكن حدث أن حلمى عيسى وزير المعارف ساومه على أن يكون رئيس التحرير لجريدة هذه الوزارة ، فأبى حتى لا يخالف مبدأه السياسى فأضمرها الوزير فى نفسه ثم عاد فطلب إليه منح بعض السياسيين درجة الدكتوراه الفخرية فرفض ، فقام الوزير بنقله إلى وزارة المعارف ، وقامت مظاهرة ضخمة ضد القرار ، ولم يجد إسماعيل صدقى رئيس الوزراء إلا أن يعزله .

ظل طه حسين خارج الوظيفة أربع سنوات ، وظل يعمل أديباً ومؤرخاً للأدب وناقداً ، وكان من الكتب التى ظهرت له فى التاريخ الإسلامى " على هامش السيرة " وفى القصة الاجتماعية " دعاء الكروان " وفى السياسة " من بعيد " وفى التراجم " أديب " و " مع أبى العلاء فى سجنه " وفى التاريخ الأدبى "الحياة الأدبية فى جزيرة العرب".

وفى عام ١٩٣٦ عاد مرة أخرى عميداً لكلية الآداب ، ولقبه الأدباء عميد الأدب العربى لأنه رائد نهضته التى بعثته بعثاً جديداً.

وفى عام ١٩٤٢ أختير مستشاراً للمعارف ، ونسدب مديراً لجامعة الإسكندرية ثم اختير وزيراً للمعارف بين سنتى ١٩٥٠ /١٩٥٢ ، وهو لم يدخل ميدان التربية على غير خبرة ، ففى عام ١٩٢١ نقل إلى العربية كتاب " روح التربية " لجوستاف لوبون ، وفى عام ١٩٣٨ ألف كتاب " مستقبل الثقافة فى مصر " وهو صاحب نظرية الماء والهواء فى التعليم ، وقد شهدت مصر على يديه نهضة قوية فى نشر التعليم ونقله إلى أعماق الريف وتمكين الفقراء منه.

وخلال هذا المشوار استمر إنتاجه فوضع روايات أحلام شهر زاد ، شجرة البؤس ، جنة الشوك ، المعذبون فى الأرض ، جنة الحيوان ، كما كتب الشيخان أبو بكر وعمر ، وعثمان ، وعلى وبنوه .. ترجمت بعض أعماله إلى

الفرنسية والإنجليزية والعبرية والروسية والفارسية والصينية وغيرهـا ، وقـد انتخب طه حسين رئيساً لمجمع الخالدين خلفاً لاحمد لطفى السيد ، وفى ديسمبر ١٩٦٥ منحه الرئيس عبد الناصر أرفع أوسمة مصر " قلادة النيل " وتوفى عام ١٩٧٣.

قصة اللاجئين السياسيين إلى مصر

منذ سنوات طويلة فتحت مصر أبوابها للاجئين السياسيين ، ففى عصر السلطان حسين كامل عرفت القاهرة وجوه الروس البيض الذين دفعتهم ثورة ١٩١٧ البلشفية فى روسيا إلى الفرار إلى أرجاء شتى من هذا العالم ، وأطلق عليهم الروس البيض تمييزاً لهم عن الروس الحمر الموالين للثورة .. وفى شارع عماد الدين أسس الروس البيض منتدى اجتماعياً لهم ، وفى عام ١٩٤٦ أعادت القاهرة فتح أبوابها لعدد من الشباب اليوغسلافى الذين كان الخلاف السياسى قد احتدم بينهم وبين عصبة الشيوعيين اليوغسلاف وهو التنظيم السياسى الذى كان الزعيم تيتو قد شارك فى تأسيسه .

وفى ٣٠ نوفمبر ١٩٣١ وافق ملك مصر فؤاد الأول على المعاهدة التى وقعت بين مصر والعراق بشأن تسليم المجرمين ، ونصت المادة السادسة على ألا يسمح بالتسليم من أجل جريمة سياسية.

وقد نص الدستور المصرى فى مادته ٥٣ صراحة على حقوق اللاجئين وحظر تسليمهم ومقاومة الاضطهاد ، وانضمت مصر إلى اتفاقية الأمم المتحدة الخاصة باللاجئين عام ١٩٨١ ، واتفاقية ١٩٨٤.

وكان الشاه " محمد رضا بهلوى " شاه إيران الأخير من أشهر من لجأ

إلى مصر سياسياً حيث لم يجد أمامه بعد قيام الثورة فى إيران سوى ملاجئ مؤقتة ومستشفيات متوسطة المستوى فى جزر البهاما والمكسيك بعد اكتشاف إصابته بالسرطان ، ورفضت المكسيك عودته إليها ثانية بعد خروجه منها إلى نيويورك ، ورفضت بريطانيا وسويسرا السماح له بدخول أراضيهما ، ولم تجب فرنسا على طلبه بمنحه تأشيرة دخول أراضيها ، وكانت أسوأ لحظات حياته عندما علم أنه كان مادة لمفاوضات تهدف إلى تحقيق قدر معقول من تطبيع العلاقات بين إيران والولايات المتحدة ، فاستضافته مصر لاجئاً سياسياً حتى توفى.

وكان أطفال " بياتريس لومومبا " زعيم ثورة الكونغو – الذى لقى مصرعه على يد رجال تشومبى – هم أصغر لاجئين سياسيين وطأت أقدامهم أرض مصر ، وكان أكبرهم لا يتجاوز التاسعة من عمره ، وقد وصلوا إلى القاهرة برفقة أحد الزعماء الكونغوليين البارزين ووزير التربية والتعليم فى حكومة لومومبا الثورية.

وقد استضافت مصر سياسياً معظم زعماء كينيا المعروفين مثل اوجنجا اودنجا ، ونجالا ، وتوم مبويا ، وجيمس جيشور ، وجوزيف مورمبى ، كما لجأ إليها د. فيلكس موميه زعيم حزب اتحاد شعب الكاميرون ، ومحمود حربى السياسى الصومالى ، وجيبوبكارى زعيم حزب سوابا فى النيجر ، ولاجئون يمثلون اتحاد شعب الكاميرون ، وحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، وحزب البان افريكان من جنوب أفريقيا ، والحركة الشعبية لتحرير أنجولا ، وجبهة تحرير موزمبيق ، وحزبى " زابو " و" زانو " من زيمبابوى .. وفى نهاية الخمسينات وبداية الستينات كان فى مصر لاجئون سياسيون من: كينيا / الجزائر / الكاميرون / الكونغو / أنجولا / موزمبيق / غينيا بيساو / جنوب أفريقيا / ناميبيا / جزر القمر / كومورو / نيجيريا / اريتريا التى كان من لاجئيها " ولد

أب ولد ماريام " الذى نجا من سبع محاولات إغتيال دبرها له هيلاسلاسى مما جعل منه أسطورة فى اريتريا.

وقد كانت مصر المصدر الوحيد لتسليح وتدريب أغلب حركات التحرير الأفريقية .

وعلى الصعيد العربى كان من أشهر اللاجئين السياسيين إلى مصر الملك سعود أشهر لاجئ سعودى يختار مصر مقراً له بالرغم من الخلاف المصرى السعودى الحاد آنذاك .. والملك الليبى السنوسى أشهر اللاجئين الليبيين إلى القاهرة وجاء إليها بعد ثورة الفاتح .. والرئيس السودانى جعفر النميرى .. والسعودى "ناصر السعيد " زعيم تنظيم اتحاد شعوب شبه الجزيرة العربية .. كما لجأ عدد كبير من السياسيين اليمنيين إلى القاهرة.

وفى عام ١٩٦٣ استضافت القاهرة خمسة وزراء من سوريا وهم وزراء حكومة الوحدة الذين عارضوا الانفصال بالإضافة إلى مدير البرامج الثقافية بتليفزيون دمشق ومدير إذاعة حلب.

الكنز الذى أصر أن يظل مصرياً!!

" سأجعل العلاج بالذرة كالعلاج بالأسبرين " قالتها ذات يوم مصرية عاشت عمرها الذى لم يتجاوز ٣٥عاماً فى سلسلة تفوق إعجازى مستمر .. اجتمع مجلس الوزراء من أجلها خصيصاً لتعيينها فى الجامعة .. وكانت المصرية الوحيدة التى زارت المعامل السرية فى أمريكا .. وفقدت حياتها القصيرة فى حادث غامض .. إنها المعجزة المصرية د. سميرة موسى.

ولدت فى ٣ مارس ١٩١٧ بقرية سنمبو الكبرى مركز زفتى بمحافظة الغربية ، وعندما بلغت السادسة من عمرها التحقت بكتاب القرية ، وبقيت به حتى حفظت القرآن الكريم .. وبدأت رحلة النبوغ عندما مات سعد زغلول ، وأراد أبناء القرية قراءة ما كتب عنه فى الصحف ، وقيل أن سميرة تستطيع أن تقرأ ما كتب ، وإذا بها تقرأ الجريدة كاملة دون أن تخطئ فى كلمة واحدة ، وفى اليوم التالى طلب منها المدرس أن تقرأ لزميلاتها ما كتب عن سعد زغلول، وإذا بها قد حفظت ما كتب بالجريدة عن ظهر قلب وبالحرف الواحد.

وألح الجميع على والدها أن يذهب بها إلى مدارس القاهرة .. وما كان منه إلا أن استخار الله وباع بضعة أفدنة كان يمتلكها ، وجاء إلى القاهرة واشترى بثمنها لوكاندة فى حى الحسين ، وألحق ابنته بمدرسة قصر الشوق

الابتدائية ، وكان أن نجح المشروع التجارى مما أغراه بإقامة لوكاندة أخرى هى لوكاندة "وادى النيل" بميدان العتبة .

ومن البداية احتفظت سميرة بالمرتبة الأولى حتى حصلت على شهادة إتمام الدراسة الابتدائية ، وبعد ذلك التحقت بمدرسة بنات الأشراف بالعباسية ، وكانت ناظرتها نبوية موسى أول ناظرة مصرية ، وهناك ألفت لزميلاتها كتاباً فى الجبر للصف الأول الثانوى كتب على غلافه " الجبر الحديث – الجزء الأول – لطلبة السنة الأولى الثانوية – تأليف سميرة موسى – الطبعة الأولى عام ١٩٣٢ – حقوق الطبع محفوظة للمؤلفة " .. وهنا تكررت قصة التفوق المتواصل فقد كانت تجرى مسابقات بين المدارس ، وكانت سميرة موسى محتكرة المركز الأول على بنات القطر المصرى طوال السنوات الأربع حتى حصلت على شهادة الثقافة العامة.

وكان عليها فى البكالوريا أن تختار الشعبة التى تتخصص فيها ، واختارت شعبة العلوم ، ولكنها اكتشفت أن مدرسة بنات الأشراف لا توجد بها معامل ، وأرادت أن تنتقل إلى مدرسة الأميرة فوزية ، إلا أن نبوية موسى ناظرة المدرسة رفضت أن تنقلها واشترت لها معملاً لتحتفظ لمدرستها بتلميذتها النابغة ، وبقيت سميرة لتتوج رحلتها بالحصول على المركز الأول للسنة الخامسة ولتكون الأولى على القطر المصرى.

وقررت سميرة أن تلتحق بكلية العلوم ، فهى الكلية التى تتيح لها فرصة التجربة فى المعامل وكان عميد الكلية فى ذلك الوقت هو د. مصطفى مشرفه باشا ، واستطاعت سميرة أن تحصل على بكالوريوس العلوم عام ١٩٣٩ بامتياز مع مرتبة الشرف .. واعترضت الجامعة ووزير المعارف على تعيينها معيدة ، حيث لم يكن قد تقرر بعد تعيين المرأة فى هيئة التدريس ، واتخذ د. مشرفه

موقفاً حاسماً بين تعيينها أو استقالته وذلك لاقتناعه بها ، واجتمع مجلس الوزراء خصيصاً واتخذ قراراً بأحقيتها فى ذلك الموقع العلمى.

وقد أرادت الجامعة إرسالها فى بعثة للحصول على الماجستير ، ولكن ظروف الحرب العالمية الثانية منعتها من السفر ، ولم تيأس وحصلت على الماجستير من مصر بتقدير امتياز فى موضوع " التوصيل الحرارى خلال الغازات وتكييف الهواء " .. ثم سافرت إلى لندن للحصول على درجة الدكتوراه .. كانت مدة البعثة ثلاث سنوات ، وكانت المفاجأة حين حصلت على الدكتوراه فى عام ونصف ، وكانت أول عربية تحصل على الدكتوراه فى الأشعة السينية وتأثيرها على المواد المختلفة ، وقد شهد لها أساتذتها بالنبوغ والعبقرية وأطلقوا عليها لقب " مس كورى المصرية " تشبيهاً لها بالعالمة المشهورة مدام كورى التى اكتشفت الراديوم.

ولأن المنحة كانت تتيح لها بقاء باقى الثلاث سنوات فى إنجلترا ، فقد اشتغلت هذه الفترة فى دراسة الذرة ، وظلت تفكر فى أهمية استخدامها فى الأغراض السلمية بحيث تكون سلاحاً للتقدم الإنسانى وقد تأكد لديها هذا الاتجاه بعد أن مرضت والدتها بالداء الخبيث ، فتركزت كل أبحاثها من أجل استخدام الذرة فى العلاج.

وكانت الدكتورة سميرة موسى قد أصبحت ذات شهرة واسعة فى الأوساط العلمية الدولية وكانوا يعتبرونها التلميذة النابغة للعالم الكبير د. مصطفى مشرفه الذى كان واحداً من خمسة علماء فى العالم كله فهموا نظرية النسبية لأينشتين ، واستطاع أن يستوعب مفرداتها بما يتيح له أن يحقق نتائج فى هذا المجال الهام.

وعينت د. سميرة موسى بكلية دار العلوم بقسم الطبيعة ، وفى

عام١٩٥١ بلغتها دعوة للسفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وحصلت على منحة فولبرايت لدراسة الذرة بجامعة كاليفورنيا ، وهى أشهر الجامعات التى عنيت بدراسة الذرة فى ذلك الوقت ، واستطاعت أن تحصل على نتائج أذهلت الأوساط العلمية فى أمريكا وأوروبا .

وكانت د. سميرة موسى هى المصرية الوحيدة التى سمح لها أن تزور المعامل السرية فى أمريكا وتلقت عروضاً بأن تبقى فى أمريكا وأن تحصل على الجنسية الأمريكية ولكنها رفضت ، وفضلت أن تعود إلى مصر وأن تواصل منها رسالتها العلمية والإنسانية ، وفعلاً بدأت تستعد للعودة ودعيت إلى رحلة استجمام قبل عودتها .. وقبلت الدعوة .

وركبت د. سميرة موسى السيارة ، وفى منطقة مرتفعة اندفعت السيارة لتسقط فى الهاوية إلى عمق ٤٠ قدماً ، ومعها " الكنز المصرى " بينما قفز قائدها واختفى إلى الأبد .. وقد عثر على آخر سطر كتبته فى أجندتها قبل أن تلقى مصرعها وكان " المنظر .. رائع .. رائع .. رائع " .

وكان ذلك يوم ٥ أغسطس ١٩٥٢ ، وكانت د. سميرة موسى فى الخامسة والثلاثين من عمرها ، وكانت آمالها أكبر بكثير مما تحقق ، وكانت مصر فى ذلك الوقت تستعد لاستقبال ابنتها التى نافست مدام كورى فى النجاح والشهرة والمجد ، ثم ذهب الكنز الذى أصر أن يظل مصرياً ، تاركاً خلفه ألف علامة استفهام ؟؟؟.

سعد زغلول وثورة ١٩١٩

ولد سعد زغلول عام ١٨٥٦ فى بلدة " إبيانة " بمركز فوه (بكفر الشيخ الآن) بمديرية الغربية وقد تعلم مبادئ القراءة والكتابة فى كتاب القرية وحفظ القرآن ، وانتقل إلى الجامع الدسوقى حيث أتم تجويد القرآن ، وتلقى دروساً فى النحو والفقه ، ودخل الأزهر عام ١٨٧١ ليتم دراسته ، وفى أكتوبر ١٨٨٠ عين محرراً بالقسم الأدبى فى الوقائع المصرية التى تولى رئاسة تحريرها الشيخ محمد عبده ، وبذلك انتقل سعد زغلول من الأزهر إلى الوظائف الحكومية ، ثم نقل إلى وظيفة معاون بوزارة الداخلية فغير زى العمامة ولبس الطربوش ، ثم نقل إلى وظيفة ناظر لقلم القضايا بمديرية الجيزة فى أواخر عام١٨٨٢ واتجه إلى الدراسات القانونية وهو فى هذه الوظيفة ، وفى عام ١٨٨٤ انتظم فى سلك المحاماة ثم عين عام ١٨٩٢ قاضياً بمحكمة الاستئناف ، وفى عام ١٨٩٧ حصل على إجازة الحقوق من باريس وفى أكتوبر ١٩٠٦ عين وزيراً للمعارف.

وحين وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها تولى سعد زغلول زعامة الحركة التى قامت للمطالبة بالاستقلال .. وترجع ثورة ١٩١٩ إلى أسباب عدة أهمها ما كان يعانيه الشعب من الاحتلال البريطانى منذ عام ١٨٨٢، وازدياد الاحتلال رسوخاً بعد الحرب العالمية الأولى بإعلان إنجلترا حمايتها

على مصر فى ديسمبر ١٩١٤ ، وقد اجتمعت الأحكام العرفية إلى الاحتلال والحماية ورزحت البلاد تحت هذا الظلم الثلاثى أربع سنوات متصلة ، وجندت السلطة العسكرية نحو مليون مصرى فى أعمال الجيش البريطانى وحملاته ومات كثير منهم فى ميادين القتال وأصيب الكثير وأساء الجنود الإنجليز معاملتهم مما أثار كراهية المصريين لهم.

وفى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ نشأ الوفد كحركة تنوب عن الشعب المصرى فى المطالبة بالاستقلال الوطنى ، وقد تألف الوفد من سعد زغلول باشا وعلى شعراوى باشا وعبد العزيز فهمى بك ، وكانوا جميعاً أعضاء فى الجمعية التشريعية .. وفى هذا اليوم قام الوفد بمقابلة السيد " ريجنالد وينجت " المندوب السامى البريطانى فى مصر ، وكان قد مضى يومان على إعلان الهدنة فى الحرب العالمية الأولى .

وطالب القادة الثلاثة بضرورة إلغاء الحماية ، وحصول مصر على الاستقلال ، وأن ذلك لن يمس بالمصالح الحيوية الإنجليزية فى المنطقة ، ولا بسلامة الطريق إلى الهند ، ولتأكيد الصفة التمثيلية باسم الأمة تم تأليف هيئة باسم " الوفد المصرى " للحصول على توكيلات من الأمة تخولها هذه الصفة.

وسعى سعد زغلول إلى توسيع الوفد لضم مختلف القوى السياسية المصرية ، وانتهج عدداً من السبل للمطالبة باستقلال مصر ، فمن ناحية أولى بدأ فى الاتصال بالسلطات الإنجليزية والاحتجاج لديها على استمرار الاحتلال والحماية طارحاً الحجج القانونية المدعمة لاستقلال مصر ، ومن ناحية ثانية خاطب الرأى العام الإنجليزى والأوربى والأمريكى محاولاً استقطاب أكبر قدر من التأييد للقضية المصرية ، ومن ناحية ثالثة اتجه إلى الأجانب المقيمين فى مصر لطمأنتهم وكسب تأييدهم ، ومن ناحية رابعة بدأ فى تعبئة الرأى العام

الداخلى فانتشرت حركة التوقيعات على التوكيلات الشعبية لتعزيز وكالته عن الأمة ونظمت الاجتماعات لتنوير الشعب.

وفى يوم السبت ٨ مارس ١٩١٩ ألقت السلطات العسكرية البريطانية القبض على سعد زغلول وصحبه ووضعتهم فى ثكنات قصر النيل ، وفى اليوم التالى نفوا إلى جزيرة مالطة .. وفى اليوم التالى شبت ثورة ١٩١٩ التى كانت أعنف ثورات المستعمرات فى هذه الفترة ، وبدأت بمظاهرات سلمية قام بها الطلبة فى ذلك اليوم ، وفى اليوم التالى أضرب جميع طلاب المدارس والأزهر وألفوا مظاهرة كبرى وانضمت إليهم جموع الشعب ، وأطلق الجنود البريطانيون الرصاص على المتظاهرين ، واستمر الإضراب العام ، وتعطلت المواصلات فى جميع أنحاء العاصمة وأغلق التجار متاجرهم واستمرت القوات البريطانية فى القتل وسفك الدماء .. وفى ١١ مارس أضرب المحامون الوطنيون وفى ١٥ مارس أضرب المحامون الشرعيون ، وعمال العنابر بالسكك الحديدية وتعطلت قطارات الوجه القبلى ، وفى ١٢مارس عمت فكرة قطع المواصلات وقطعت السكك الحديدية وأسلاك البرق والتليفون ، وكان أول خط قطع بين طنطا وتلا ، وامتد القطع إلى مختلف الخطوط وانقطعت المواصلات بين القاهرة والأقاليم وبين الأقاليم بعضها وبعض ، وتعذر على الناس أن ينتقلوا من جهة إلى أخرى وأصبحت البلاد كلها فى ثورة عارمة .. وفى ١٦ مارس قامت السيدات بمظاهرات كبرى ، وأعددن احتجاجاً مكتوباً على الفظائع التى ارتكبها الإنجليز فى قمع المظاهرات السابقة وسلمن صورة منه إلى معتمدى الدول.

وقد قام الأزهر بدور مجيد فى هذه الثورة ، وكانت تعقد فيه الاجتماعات العامة ، وتلقى فيه الخطب النارية وتبدأ منه المظاهرات .. وارتكب الإنجليز لقمع هذه الثورة فظائع بلغت حد الوحشية فى القسوة والتنكيل .

وواجهت الحكومة الإنجليزية الثورة بتعيين الجنرال (أدموند اللنبـــى) مندوباً سامياً فوق العادة لمصر والسودان بدلاً من السير ونجت ، وأفرجت عن سعد زغلول وصحبه فى ١٧ إبريل ، وفـــى مـــايو ١٩١٩ قـــررت الحكومـــة البريطانية تأليف لجنة برئاسة اللورد (الفريد ملنر) وزير المستعمرات وقتئـــذ لتقرير نظام الحكم بعد استشارة ومفاوضة السلطان والوزراء وأصحاب الـــرأى والشأن من المصريين .. وفى ٧ ديسمبر وصل ملنر وأعضاء لجنته فقوبلوا من الأمة بالمقاطعة التامة ، فعاد إلى بلاده فى مـــارس ١٩٢٠ ، ثـــم دعـــا الوفـــد للتفاوض معه فى لندن وأسفرت المفاوضات عن مشروع ظـــاهرة الاســـتقلال وباطنة الحماية ، ثم قطعت المفاوضات فى نوفمبر ١٩٢٠ ، وفى فبراير ١٩٢١ أصدرت الوزارة الإنجليزية قراراً يتضمن اعتبار الحماية علاقة غير مرضية ، ودعوة مصر للدخول فى مفاوضات رسمية ، وتألفت وزارة عدلى يكـــن فـــى مارس ١٩٢١ وفى عهدها جرت المفاوضات الرسمية ، والتـــى مـــا لبثـــت أن أخفقت فاعتقل الإنجليز سعد زغلول وبعض أنصاره ونفوهم إلى جزيرة سيشـــل بالمحيط الهندى ثم نقلوه إلى جبل طارق ثم افرجوا عنه فى مارس ١٩٢٣.

وقد نجحت ثورة ١٩١٩ فى القضاء على الحماية ، إذ اعترفت الحكومة البريطانية فى فبراير ١٩٢١ بأن الحماية علاقة غير مرضية ، ثم أعلنت إلغاءها ضمن تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ واعترفت فى هذا التصريح بأن مصر دولـــة مستقلة ذات سيادة ، غير أن الاحتلال ظل حتى ١٨ يونيو ١٩٥٦ حين جلا آخر جندى أجنبى عن مصر.

وبعد الإفراج عن سعد أجريت الانتخابات البرلمانية الأولى فـــى ينـــاير ١٩٢٤ ونال الوفد الأغلبية فألف سعد زغلول الوزارة برئاسته ثم اســـتقال فـــى نوفمبر ١٩٢٤ على أثر مقتل السردار (لى ستاك) حاكم السودان.

ويمكن تحديد أهم إنجازات ثورة ١٩١٩ فى أنها سياسياً أدت إلى إلغاء الحماية ضمن تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، وإعلان الدستور عام ١٩٢٣ الذى كان حجر الزاوية فى البناء الدستورى لمصر حتى عام ١٩٥٢، وإقرار الحياة النيابية ، وكان ذلك تتويجاً لكفاح طويل بدأ من أيام الثورة العرابية، واقتصادياً عبرت الثورة عن نشاط متزايد للطبقة الرأسمالية وأوجدت شعوراً وطنياً اقتصادياً تمثل فى إنشاء بنك مصر عام ١٩٢٠ ، واجتماعياً كرست الثورة الوحدة الوطنية المصرية بين المسلمين والأقباط فخطب القساوسة على منابر المساجد وخطب المشايخ أمام مذابح الكنائس ، كما أتاحت أحداث الثورة الفرصة لخروج المرأة المصرية إلى ميدان العمل السياسى والإسهام فى النشاط العام.

وفى الحقيقة فإن الثورة أوجدت نهضة عامة شملت مختلف جوانب الحياة الاجتماعية فتكونت العديد من النقابات العمالية ، ونهضت الحياة الفنية على يد سيد درويش ، ونشأت جمعيات الكشافة ، وتكونت جمعيات التموين التعاونية ، وكان أهم دلالات الثورة تأكيدها العملى على مفهوم الاعتماد على النفس بعد فترة كانت الحركة الوطنية فى مصر قد اهتمت كثيراً بمخاطبة الرأى العام الخارجى.

أول بنك مصرى

كان محمد طلعت حرب هو صاحب هذه الفكرة ، وكان يريد إنشاء بنك مصرى يديره مصريون بأموال مصرية ، وكان إيمانه بالفكرة إيماناً عميقاً ، وكشف عنها لبعض أصحابه ولكن الكثيرين قابلوها بالفتور والتشكك ، ثم نادى بها فى مؤتمر مصرى كان منعقداً فى عام ١٩٠٨ فآمن معه بالفكرة قلة وتوقع له الكثيرون الفشل ، فقد تسلط فى ذلك الوقت على الغالبية وهم مؤداه أن الأعمال المالية والصناعية والتجارية لا يقدر على فهمها إلا الأجنبى .

وظل طلعت حرب على الرغم من ذلك معتصماً بإيمانه بصواب فكرته، وأخذ يدعو لها فى الصحف وألف فى ذلك كتاباً عام١٩١٠ عن (علاج مصر الاقتصادى ومشروع بنك مصر أو بنك الأمة) ، وظل يناضل فى سبيل هذه الفكرة حتى اشتعلت ثورة ١٩١٩ فرمى بفكرته فى أتون الثورة فنضجت إلى أن استطاع مع بعض رفاقه أن يعلن يوم الجمعة ٧ مايو ١٩٢٠ ميلاد بنك مصر.

وبدأ البنك برأس مال متواضع قدره ثمانون ألف جنيه ، واشترط طلعت حرب أن تكون أسهم البنك كلها للمصريين ، كما قرر جعل اللغة العربية لغة البنك فى كل أعماله وشئونه ثم أنشأ مطبعة مصر ومكتبة مصر لتزويد البنك وفروعه وما قد ينشئه من شركات بالمطبوعات والدفاتر وأدوات الكتابة ، كما

أنشأ عدداً كبيراً من الشركات منها شركة مصر لصناعة الورق / شركة مصر للغزل والنسيج / شركة مصر للطيران / شركة مصر للسياحة / شركة مصر للتمثيل / شركة مصر للنقل والملاحة / شركة مصر لمصايد الأسماك.

وبالإضافة إلى جهوده فى مجال الاقتصاد كان يعمل على تشجيع الآداب والفنون فأنشأ دار التمثيل العربى بمدينة الأزبكية وشجع المسرحيات المصرية والعربية .

ولم يقتصر جهد طلعت حرب على خدمة مصر وحدها وإنما أمتد نشاطه إلى البلاد العربية فقد أنشأ بنوكاً فى سوريا ولبنان باسم " بنك مصر – سوريا – لبنان " ويسر لحجاج بيت الله الحرام بواخر مصرية ، وساهم بشكل فعال فى إقامة فنادق ممتازة فى الأراضى المقدسة ، وسك عملة سعودية لتثبيت أسعار النقد هناك.

ولد طلعت حرب بقصر الشوق بجهة الجمالية بالقاهرة ، وعاش بين عامى (١٨٦٧ – ١٩٤١ م) وتدرج فى التعليم حتى نال شهادة الإدارة والألسن ثم عمل مترجماً بقلم قضايا الدائرة السنية خلفاً للزعيم محمد فريد الذى تولى حينذاك رئاسة هذا القلم ثم تدرج إلى أن أصبح مديراً لأقلام القضايا ، ثم عمل مديراً لشركة كوم أمبو ، وأحيلت عليه فى الوقت نفسه الشركة العقارية المصرية حيث تدرب فيها على الأعمال المالية ، واستمر فى عمله بهذه الشركة حتى مصَّرها ، وأصبحت غالبية رأس المال فى أيدى المصريين .

الملك الصغير
وأعظم كشف فى تاريخ الآثار الحديث

عام ١٩٠٨ حصل اللورد كارنارفون أحد أثرياء النبلاء الإنجليز على تصريح بالحفر فى وادى الملوك بطيبة غرب الأقصر ، وكان أن طلب إلى هوارد كارتر والذى كان على صلة بسلطات مصلحة الآثار أن يتولى الحفائر فى طيبة.

وقد كشف كارتر عن مقبرة تحتمس الرابع ومقبرة حتشبسوت ، ولكنه اضطر إلى وقف الحفر عند بداية الحرب العالمية الأولى ثم استأنف العمل بين عامى ١٩١٧ – ١٩٢٢ ، إذ نقل الحفر إلى موقع قريب من مدخل مقبرة رمسيس السادس .

وكان أن وقع العمال على أخدود ملئ بالأنقاض يؤدى إلى سلم منحوت فى الصخر ، وينتهى إلى مدخل مسدود ، مختوماً بخاتم الجبانة الملكى .. وإذا بالحفائر تكشف عما لم يكن متوقعاً .. أروع ما عثر عليه فى مصر أو فى غير مصر ، ذلك الكنز الذى بقى مخبئاً أكثر من ثلاثة آلاف عام .. مقبرة الملك توت عنخ آمون.

لو لم يكتشف قبره فى عام ١٩٢٢ لبقى ذكره مدفوناً معه ، فقد تولى الحكم حوالى عام ١٣٥٠ ق.م وعمره اثنى عشر عاماً ، ومات دون العشرين ،

ذلك أن إخناتون لم يرزق ولداً يعقبه فى الملك ، فلما مات اعتلى العرش صهره " توت عنخ آتون " وبتوليته لاحت الفرصة التى كان كهنة آمون يترقبونها فأجبروه على ترك " اخيتاتون " والعودة إلى طيبة ، كما أجبروه على تغيير اسمه فصار " توت عنخ آمون " أى " صورة آمون الحية ".

ولم يقم توت عنخ آمون بأعمال جليلة تميزه عن غيره من الملوك ، ومع ذلك فقد ذاع صيته وطارت شهرته فى الآفاق منذ أن كشفت مقبرته فى وادى الملوك بالأقصر .. هذه المقبرة الوحيدة التى لم يستطع أحد الوصول إليها من قبل ، وكانت محتوياتها آية من آيات الفن المصرى الفريد بما حوته من توابيت من الذهب ، والقناع الذهبى الرائع ، ومتكآت بديعة ، وسرر أنيقة وكراسى جميلة مختلفة الأشكال والألوان ، ومطعمه بالعاج والذهب ، وعجلات ملكية ، وصناديق تحوى التحف والجواهر وأدوات الزينة ، وتماثيل بديعة وغير ذلك مما هو منقطع النظير فى تاريخ الكشوف الأثرية من حيث الندرة والجمال.

ويعتبر العثور على هذه المقبرة بمحتوياتها التى لا تقدر بثمن أعظم كشف فى تاريخ الآثار الحديث ، وقد نقلت نفائس هذه المقبرة الملكية إلى المتحف المصرى.

لعنة الفراعنة

انتشر الحديث عن لعنة الفراعنة فى مختلف أنحاء العالم بعد اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون عام ١٩٢٢ ، فقد وجدت صخرة مكتوب عليها بالهيروغليفية " لتضمر اليد التى ترتفع فى وجه هيكلى ، وليحيق الدمار بأولئك الذين يهاجمون اسمى وقاعدتى ومومياواتى التى هى صدرى ، وسرعان ما ستحمل أجنحة الموت أولئك الذى يدخلون هذه المقبرة " .

وفى نفس اللحظة التى تم فيها افتتاح المقبرة ، كان مع مكتشفها " كارتر" عصفور كنارى ، وفى نفس اللحظة لدغه ثعبان من نوع الكوبرا ، ومات العصفور معلناً بداية اللعنة .. وبعد اكتشاف المقبرة بثلاثة أسابيع توفى اللورد كارنارفون الذى مول أبحاث الكشف عن المقبرة على إثر لدغة بعوضة.

ومن عام ١٩٢٣ حتى عام ١٩٢٩ مات اثنان وعشرون شخصاً كان لهم علاقة بافتتاح مقبرة توت عنخ آمون منهم سيدة أمريكية اسمها " إيفلين جريللى " حضرت الاكتشاف وانتحرت بلا سبب فور عودتها إلى شيكاغو.. و" ريتشارد بيتل " الذى ساعد على افتتاح المقبرة وجد ميتاً على كرسيه بلا مرض وانتحر والده بعد ذلك بعام ، وفى عام ١٩٥٦ انتحرت أرملته.

ثم توالت الأحداث لتعمق الاعتقاد فغرقت سفينة بريطانية وعليها ١٥٠٠

راكب أمكن إنقاذ بعضهم وكان على هذه السفينة مومياء كاهنة فرعونية .. وأصيب العالم الألمانى " جوهان داميشين " بالجنون وكان ينقل رسوم المقابر الفرعونية .. وكان البروفيسور " ايميرى " يحمل فى يده تمثالاً صغيراً لإله الموت عند قدماء المصريين قبل أن تهاجمه النوبة القلبية التى مات بها.

وفى عام ١٩٧٢ تم شحن بعض آثار توت عنخ آمون على طائرة بريطانية لعرضها فى لندن ، وحدث أن ركل الضابط الفنى " لاشدون " صندوق الملك بقدمه وقال " ركلت أغلى شئ فى العالم " وتبادل بقية طاقم الطائرة الجلوس على الصندوق الذى يوجد بداخله الملك ساخرين من لعنة الفراعنة ولم يلبس لاشدون بعد فترة وجيزة وأثناء إعداد السلم أن سقط من فوقه وكسرت ساقه ، ودمر بيت ملازم الطائرة وفقد كل ما يملك ، ومضيفة الطائرة أجريت لها عملية جراحية فى رأسها أدت بها إلى الصلع الكامل ، وأصيب زميل آخر بأزمتين قلبيتين ، أما قائد الطائرة فقد مات عام ١٩٧٦ بأزمة قلبية وعمره ٤٠ عاماً ، وقالت زوجته على الفور إنها لعنة الفراعنة.

كل هذه الأحداث أدت إلى الحديث عن لعنة الفراعنة ، والحديث عن المعتقدات المصرية القديمة التى تقول بأن " الكا " أو قرين الإنسان عند قدماء المصريين يظل يحوم حول الجثة بعد الوفاة ، وذلك لحمايتها من أى عبث بها ، وأن إزعاج المومياء يفصل " الكا " عن صاحبها مما يجعلها تنتقم من الذى سبب هذا الانفصام.

ويبدو أن لعنة الفراعنة سيظل شيئاً يتحدث عنه الناس طويلاً لما يحيط بها من أساطير وملابسات .. على الرغم من أن الواقع كما يؤيدها فى بعض الأحداث فإنه ينفيها فى البعض الآخر بدليل أن عدداً كبيراً من مكتشفى الآثار المصرية القديمة عاش حياة طبيعية بعد اكتشافاته ، وتوفى أيضاً وفاة طبيعية.

رئيس الوزراء
يسقط فى أول انتخابات برلمانية

شهدت مصر فى بداية عام ١٩٢٤ أول انتخابات برلمانية فى تاريخهـــا فى جو من الحرية والنزاهة ، وقبيل إجراء الانتخابات سادت الحياة المصـــرية رغبة صادقة فى احترام إرادة الناخبين كى يختاروا ممثليهم فـــى أول مجلـــس نيابى على الوجه الذى يريده الشعب.

كان يحيى باشا إبراهيم رئيساً للوزراء ، وكان قد نجح فـــى استصـــدار الدستور فى وقت خبا فيه الأمل ، فكانت هذه هى أولى إنجازات هذا الرجـــل ، وعقب إعلان الدستور بدأت عملية تهيئة المناخ الديموقراطى لإجراء الانتخابات العامة ، فألغيت الأحكام العرفية ، وبدأت سلسلة من القـــرارات للإفـــراج عـــن المعتقلين السياسيين الذين كانوا فى المعتقلات منذ أحداث ثورة ١٩١٩.

وبدأت الاستعدادات للانتخابات العامة ، وقسمت مصر إلى ٢١٤ دائرة انتخابية تقدمت لها أحزاب الوفد والأحرار الدســتوريين والحــزب الــوطنى ، واهتمت الأمة بكل طوائفها بالانتخابات .

وصدق يحيى إبراهيم فى العهد الذى قطعه على نفســـه بـــأن تجـــرى الانتخابات فى جو من الحياد ، ولم يسمح لأحد من رجال الإدارة بالتدخل فـــى إرادة الناخبين ، وليس أدل على ذلك من سقوط رئيس الوزراء نفسه فى دائـــرة

منيا القمح أمام مرشح الوفد احمد افندى مرعى (والد المهندس سيد مرعى وزير الزراعة الأسبق) ، ولكنه وضع نفسه فى مرتبة الرجال العظام فى تاريخ مصر.

واكتسح الوفد هذه الانتخابات ، وحصل مرشحوه على ٩٠% من المقاعد ، بينما سقط أقطاب الأحرار الدستوريين ، وفى مقدمتهم عبد العزيز فهمى باشا وإسماعيل صدقى باشا ، ولم ينجح منهم سوى سبعة نواب ، ولم ينجح من أقطابهم سوى محمد باشا محمود ، وكان نصيب مرشحى الحزب الوطنى أربعة مقاعد فقط من بينهم عبد الرحمن الرافعى الذى فاز على منافسه الوفدى بفارق صوت واحد فقط.

حينما نصّب العرب
احمد شوقى أميراً للشعراء

" يسير مع الحوادث متدفقا ، مندفعاً فوق موج الماضى ، أتيـاً مـن لا نهايات القدم ، كأنما هو قيثارة آلهة ذلك الزمن البعيد ، ويدفع إليها كـل جيـل نسائمه ، فتتغنى ، وتشدو بأهازيج النصر وبترانيم المسرة طوراً ، وبشجو الألم أحياناً " كلمات رائعة قدم بها د. محمد حسين هيكل قصائد ديـوان الشـوقيات للشاعر الكبير احمد شوقى الذى يعد من كبار شعراء اللغة العربية ، مما حـدا بالشعراء العرب إلى تقليده إمارة الشعر فى عام ١٩٢٧ ، وأقيم لذلك حفل كبير حضره مندوبون عن الدول العربية وبايعوه أميراً للشعراء.

ولد احمد شوقى بالقاهرة عام ١٨٦٨ م ، وتعلم بكتاب الشيخ صالح ثـم المدرسة الخديوية حيث نال الشهادة الثانوية ومن ثم دخل مدرسة الحقوق عـام ١٨٨٣ م ، حيث قضى سنتين التحق بعدها بقسم الترجمة ونال شهادته النهائية ، اتصل شوقى بالقصر وعينه الخديوى توفيق فى القصر ، ثم أرسله إلى فرنسـا ليدرس الحقوق والآداب الفرنسية على نفقته الخاصة ، وفى عام ١٨٩١ م عـاد إلى مصر وأخذ يتدرج فى مناصب الديوان الخديوى ، وفى عام ١٨٩٧ نشـر ديوانه الأول ، واتصل بالخديوى عباس الذى جعله شاعر القصر حتـى شـبت الحرب العالمية الأولى فنفى إلى أسبانيا خمس سـنوات ، وقـال فـى إحـدى قصائده :

وطنى لو شغلت بالخلد عنه نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

وعندما عاد احمد شوقى إلى مصر اتصل مرة أخرى بالحياة الأدبيـــة ، وصور فى شعره أهم الأحداث السياسية والاجتماعية بمصر والعالم العربـــى ، ويبدو بشوقى ولع كبير بالتاريخ ، كما أشاع فى مدائحه الحديث عن الأخـــلاق والفقراء وعن الشريعة الإسلامية والشكوى من أحوال المسلمين وتأخرهم وتفكك الروابط بينهم ، وهى من التجديدات التى أدخلها إلى المدائح النبوية ، وله فـــى الشعر الدينى قصيدتان عارض بإحداهما البردة وبالأخرى الهمزية للبوصيرى ، ويقول فى البردة :

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم إلا على صنم قد هام فى صنم

والأرض مملوءة جوراً مسخرة بكل طاغية فى الخلق محـــتكم

وقد أبدى احمد شوقى قدرة وتمكناً فى قرضـــه الشـــعر ، وقـــد بلغـــت قصيدته " كبار الحوادث فى وادى النيل " مائتين وتسعين بيتـــاً ، وهـــى مـــن الروايات الخالدة لتاريخ مصر منذ الفراعنة إلى عهد أبناء محمد على ، ويقول د. هيكل عن شعره " وأنت إذ تقرأ قصائده عن سفح الأهـــرام ، وأبـــو الهـــول وتوت عنخ آمون يهزك الشعور بصورة هذا الماضى فى قداســـتها ومهابتهـــا ، وتمتلكك نفس الشاعر فترتفع بك من مستوى الحياة الدنيا إلى سماوات الخلـــد ، ذلك أن شوقى يهديك المعنى الذى كنت تلتمسه نفسك فلا تقع عليه ".

أهم مؤلفاته " الشوقيات " وهو ديوان شعرى فى أربعة أجزاء ، وكتاب "عظماء الإسلام" وقصائد للأطفال ، وله فى النثر كتاب " أسواق الذهب " جارى فيه الزمخشرى فى كتابه " أطواق الذهب " وله روايات شعرية هى :

على بك الكبير ، وكليوباترا ، ومجنون ليلى ، وقمبيز ، وعنترة ، ولـــه روايات نثرية منها : لادياس ، وورقة الآس ، ومـــذكرات بنتـــاؤر ، وأميـــرة الأندلس ، وتوفى عام ١٩٣٢ .. وكتب على قبره كوصية هذين البيتين من نهج البردة :

يا احمد الخيـــر لى جاه بتسميتى	وكيف لا يتسامى بالرسول مسمى
إن جل ذنبى عن الغفران لى أمل	فى الله تجعلنى فى خير معتصـــم

أول فنان فى الشرق
ينحت تمثال ميدان

الفنان المصرى محمود مختار .. وهو أول من استخدم جرانيت الفراعنة بعد مضى ألفى سنة لينحت تمثال نهضة مصر.

ولد عام ١٨٩١ بقرية " نشا " بمديرية الغربية .. وكان من أوائل طلاب مدرسة الفنون الجميلة – التى أسسها الأمير يوسف كمال – حين بدأت بها الدراسة عام ١٩٠٨ فى مبنى بدرب الجماميز .. وفى عام ١٩١١ أقام طلاب الكلية معرضهم الأول ولفتت أعمال مختار انتباه المشرفين على الفنون فأرسل فى بعثة دراسة إلى فرنسا وبذلك كان أول طالب مصرى يوفد على نفقة الحكومة فى بعثة فنية لمدة ثلاث سنوات .. وكان ترتيبه الأول على مائة فى امتحان قبول المدرسة العليا للفنون الجميلة بباريس .. وعرض عليه وهو فى الثانية والعشرين من عمره أن يكون مديراً لمدرسة الفنون الجميلة بمصر ولكنه رفض لا لشئ إلا أنه أراد أن يكون فناناً فقط .. وأمضى أثناء الحرب العالمية الأولى أوقاتاً عصيبة لانقطاع مرتبه عنه إلا إنه استمر يزاول فنه وعين فى النهاية مديراً لمتحف " جريفان " مكان أستاذه " لابلان ".

ثم بدأت فكرة أعظم أعماله " تمثال نهضة مصر " .. وبدأ زملاءه المصريون فى باريس فى جمع التبرعات فيما بينهم لينفذ مختار التمثال من

الرخام .. وبعد أن انتهى من تصميمه عرضه فى معرض باريس السنوى ، وتشاء الصدفة أن يراه الساسة المصريون الذين ذهبوا إلى هناك فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ليعلنوا حق مصر فى الاستقلال .. ورأوا التمثال وأعجبوا به وكتب حافظ عفيفى على صفحات الأخبار مطالباً الشعب بالتبرع لإقامة التمثال.

لقد قدم مختار تمثالاً يمثل فيه مطالب بلاده .. نهضة شعب يريد أن يعيش متطلعاً إلى الحرية ممثلاً فى الفلاحة التى ترفع يديها إلى جبينها وهى تنظر إلى الأمام ، وقد أسندت يدها الأخرى على رأس أبى الهول الذى بدأ يتوثب هو الآخر .. فالفلاحة ترمز إلى شعب بأكمله وأبو الهول يرمز إلى تاريخ هذا الشعب.

وبدأت جميع طوائف الأمة المصرية فى جمع التبرعات من الشارع والحقل والمصنع والمدرسة حتى مكاتب الوزراء والدواوين .. وجمعت لجنة التمثال (٦٥٠٠ جنيه) قيمة الاكتتاب .. ورأت أن ينفذ التمثال من البرونز ولكن مختار رأى أن يصنع التمثال الكبير من حجر الجرانيت الأحمر من محاجر أجدادنا الفراعنة فى أسوان .

وتبرعت مصلحة السكة الحديدية بنقل الحجارة من أسوان للقاهرة .. وساهمت الحكومة حينئذ بمبلغ ثلاثة آلاف جنيه قررها مجلس الوزراء برئاسة عبد الخالق ثروت .. وبعد ذلك وفى أثناء رئاسة سعد زغلول للوزارة ظهرت بعض العقبات بسبب نفاذ المبلغ فقررت الحكومة اعتماد كل الأموال اللازمة لإنهاء التمثال .. واستمر العمل بالتمثال متخطياً كل المعوقات التى طرأت فيما بعد حتى أزاح ملك مصر الستار عنه يوم ٢٠ مايو ١٩٢٨ .. وكان مكانه ميدان رمسيس قبل أن ينقل إلى مكانه الحالى بمدخل شارع جامعة القاهرة .. ليكون أول تمثال تقيمه مصر منذ العصور المصرية القديمة .

وعندما عاد مختار إلى باريس أقام معرضاً منفرداً فى عام ١٩٣٠ وعرض عدداً من التماثيل الصغيرة التى تمجد بيئة مصر الريفية واقتنت الحكومة المصرية منه تمثال " عروس النيل " .. وكانت أعماله تجمع بين دقة الحياة والبساطة المتناهية وأعاد الحياة إلى فن النحت المصرى القديم الذى توقف بظهور الفنون الدينية ويوضح ذلك تمثال " رياح الخماسين ".

وإذا كان مختار قد استلهم الفن الفرعونى ولم يقلده ، فقد بعد أيضاً عن تيار المدارس الفنية الأجنبية التى لاقت رواجاً كبيراً فى أوربا وفرنسا وبالذات بعد ظهور الأسلوب التأثيرى .. ومن السهل أن نصف مختار بأنه حاول أن يجد فناً ذاتياً لنفسه كمصرى وسط هذه التيارات الفنية ، فهو فنان مبتكر ولعل هذا إطار خلوده الفنى فهو فى تمثال نهضة مصر على سبيل المثال لم يحاول أن يضع مصرياً أو زعيماً على حصان كأغلب موضوعات تماثيل ميادين أوربا .

وقد نفذ محمود مختار تمثالى ميدان آخرين لسعد زغلول فى القاهرة والإسكندرية .. إلى جانب ١٥٠ تمثالاً منهم " القيلولة " و " حاملة الماء " و"الحزن" و " امرأة القاهرة " و " الأميرة ".

ولكن الأيام التى انحنت له اكثر من ٤٣ عاماً يبدو أنها ضجت بكل هذا النجاح الذى حققه مختار معتمداً على فنه وشخصيته وأسلوبه الذى حاول ونجح عن طريقه .. فأصيب بما يقرب الشلل فى يده اليمنى وتوفى فى مارس ١٩٣٤.

وقد أقامت مصر تكريماً له متحف مختار عام ١٩٦٤ بالقاهرة وفيه بعض تماثيله وملابسه وما كتب عنه ، وهو أول متحف من نوعه يقام لفنان واحد فى مصر ، ويوجد بالمتحف أيضاً كتابان كتبا لأول مرة عن حياة فنان من الشرق.

أول شرقى يعبر المانش

السباح المصرى اسحق حلمى .. ولد بحلوان عام ١٩٠١ ، وكان والده المشير عبد القادر باشا حلمى حاكم السودان سابقاً ، ومن وزراء الداخلية والحربية المشهورين وكان شغوفاً بالرياضة وعلمها لأولاده .

وكانت أول محاولة أقدم عليها اسحق حلمى يوم ١٩٢٢/٨/٦ هى سباحة المسافة بين دمياط ورأس البر وتبلغ نحو ١٤ كيلو متراً ، وفاز بالمركز الأول فى هذه المسابقة ، ثم كانت المحاولة الثانية من حلوان إلى القاهرة وتبلغ ٢٥ كيلو متراً ، ولم يكن لأحد قبل ذلك أن اجتازها ، وقطعها فى ١٢ ساعة.

وفى ١٩٢٤ سافر على نفقته الخاصة إلى فرنسا ، وقد تفتحت شهيته لتحقيق فوز دولى ، وهناك التقى بالسباح الشهير " برجسون" ثانى سباح فى العالم عبر المانش ، وتولى إعداده للمسابقات الأوربية الكبرى ، ونجح اسحق حلمى يوم ١٩٢٤/٨/٦ فى عبور المسافة من كورييه إلى باريس وتبلغ ٤٢ كم فى ١٨ ساعة ، وبعدها تطلع لعبور المانش الذى كان يعتبر قبلة سباحة العالم ، والغاية الكبرى لسباحى المسافات الطويلة ، وكان أول مصرى وشرقى يفكر فى ذلك.

وبدأت المحاولة الأولى فى أغسطس ١٩٢٤ وأخفق فيها ، ثم جاءت

الثانية فى سبتمبر ١٩٢٥ وسبح لمدة ٢٤ ساعة ونصف وتوقف عند مسافة ميلين من الشاطئ .. وفى عام ١٩٢٦ قام بالمحاولة الثالثة وبعد سباحة سبع ساعات ظهرت مفاجأة غير متوقعة حيث أكتشف إصابته بالبلهارسيا ، فعاد إلى مصر وأجرى له العلاج ولكن يبدو أنه لم يكن كاملاً فأخفق فى محاولته الرابعة عام ١٩٢٧ ، ثم استكمل العلاج نهائياً وعاد إلى أوربا فى محاولة خامسة.

كانت هذه المحاولة عام ١٩٢٨ ، وقد ظل يصارع الأمواج طوال ٢٣ ساعة و ٤٠ دقيقة قطع فيها المسافة من كاليه إلى دوفر ، وقدرها ٨٩ كم وخرج منتصراً وصار أحد مشاهير الرياضة فى العالم ، وفى سبتمبر ١٩٢٨ أصدرت لجنة التحكيم الدولية لسباق المانش خطاباً رسمياً بصحة المحاولة.

ومما يذكر عن بحر المانش أنه المضيق البحرى بين ساحل فرنسا الشمالى وساحل إنجلترا الجنوبى ، ونظرية السباحة بين أقرب نقطتين – وهى الطريق المستقيم – هى نظرية لا محل لها فى عبور المانش بسبب التيارات المتغيرة باستمرار ، والعواصف ، كما يتميز المانش بمياهه الباردة طوال أيام السنة.

ومن الجدير بالذكر أن مصر قد امتلكت فى وقت من الأوقات جميع أرقام المانش القياسية ، ففى عام ١٩٥٠ سجل حسن عبد الرحيم رقمه الاعجازى من فرنسا إلى إنجلترا وقدره ١٠ س ، ٥٠ ق .. كما استطاعت مصر بعد ذلك أن تصنع معجزة ضخمة كانت حديث العالم كله عندما استطاعت أن تضرب رقمين قياسيين فى يوم واحد هو يوم ١٩٥٠/٨/٢٩ عندما حطم أبو هيف ومحمود حسن والسيد العربى وبكر سليمان وعبد المنعم عبده وحسن أبو بكر رقم التتابع الذى كان مسجلاً باسم مصر أيضاً وذلك عام ١٩٤٩ ، وفى اليوم نفسه تمكن السباح عبد اللطيف أبو هيف من أن يستمر فى سباحته بعد أن

قام بدوره فى بدء سباق التتابع حيث نجح فى تحطيم الرقم القياسى من إنجلتــرا إلى فرنسا .. وبذلك أصبحت جميع أرقام المانش القياسية فــى أيــدى تماســيح النيل .. وفى عام ١٩٥٣ سجل عبد اللطيف أبو هيف رقماً جديداً هو ١٣ س ، ٤٥ ق من إنجلترا إلى فرنسا.

وفى ١٩٤٩/٩/٦ حطم الفريق المصرى الرقم الفرنســى فــى عبــور المانش بالتتابع من إنجلترا إلى فرنسا بساعة وسبع دقائق فســجل ١١ س ، ١١ ق بواسطة حسن عبد الرحيم ومرعى حماد واحمد الزرقــانى حطــب وعمــر صبرى ومحمود حسن ومحمد على الدين الذى حل محل عبد المنعم عبده بسبب مرضه .

ومن مفاخر مصر فى سباحة المانش حسن عبد الرحيم الذى اســتطاع أن يعبر المانش وهو فى الثانية والأربعين ، كما استطاع أن يفوز بسباق الديلى ميل الأول ، وأن يحطم الرقم السابق الذى ظل معمراً ســتة وعشــرين عامــاً مسجلاً رقماً إعجازياً قدره ١٠ س ، ٥٠ ق .. ويذكر أن له أربــع محــاولات ناجحة فى عبور المانش نجح فى جميعها من أول مرة ، وهو أول سباح مصرى عبر المانش من طرفيه السهل (فرنسا – إنجلتــرا) والصــعب (إنجلتــرا – فرنسا) ، وكان بذلك ثالث سباح فى العالم يقوم بهذا العمل .. كمــا كــان أول سباح فى العالم يعبر المانش ثلاث مرات فى ثلاث ســنوات متتاليــة ١٩٤٨ ، ١٩٤٩ ، ١٩٥٠ .

كما كانت مصر هى الدولة الوحيدة التى أنجبت اثنين من قاهرى المانش عبراه فى يوم واحد وهما حسن عبد الرحيم من الشاطئ الإنجليــزى ومرعــى حماد من الشاطئ الفرنسى وذلك عام ١٩٤٩.

وفى يونيو ١٩٥٢ وخلال سباق نهر السين بفرنسا والذى فاز فيه بطلا

مصر عبد اللطيف أبو هيف ومرعى حسن بالمركزين الأول والثانى عقـد أول اجتماع تأسيسى للاتحاد الدولى بحضور ١٤ دولة شاركت فى السباق بباريس ، وتقرر تشكيل أول اتحاد لسباحة المسافات الطويلة برئاسة المصـرى الـدكتور محمد صبرى ، وكان السكرتير العام المصرى عبد الفتاح شفشق ، كما تقرر أن تكون القاهرة مقراً للاتحاد الدولى تقديراً لإنجازات سباحيها.

ولم تقتصر علامات تفوق سباحى مصر فى بطولات المانش على ذلـك بل تجاوزته حين قدمت مصر للعالم عبلة خيرى أصغر سباحة تعبر المانش فى العالم (حوالى ١٣ عاماً) فى ١٩٧٤/٤/١٨ محققة رقماً قياسياً لم يتم تجـاوزه حتى الآن ، كما قدمت مصر خالد حسان الذى عبر المانش عام ١٩٨٢ ، وخالد شلبى الذى عبره عام ١٩٨٣ وهما أول معاقين يتمكنان من عبور المانش فـى العالم.

مصر تنشئ
أول مجمع للغة العربية

فى ١٣ ديسمبر ١٩٣٢ صدر المرسوم الملكى من فؤاد الأول ملك مصر بإنشاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة .. وكانت مصر هى أول دولة عربية تنشئ مثل هذه الأكاديمية العلمية الرفيعة المستوى ، مهتدية فى ذلك بما سبقتها إليه فرنسا حيث أنشئ أول مجمع لغوى وذلك فى أول الثلث الثانى من القرن التاسع عشر.

وكان اسم المجمع يوم إنشائه هو "مجمع اللغة العربية الملكى " وفى عام ١٩٣٨ أصدر الملك فاروق مرسوماً ملكياً أطلق بموجبه اسم والده الملك فؤاد على مجمع اللغة العربية وأصبح " مجمع فؤاد الأول للغة العربية " .. وفى عام ١٩٥٤ أصدر جمال عبد الناصر – وكان فى ذلك الوقت رئيساً للوزراء – مرسوماً جديداً أطلق بموجبه اسماً جديد للمجمع هو" مجمع اللغة العربية " .. وكان طوال هذا التاريخ تابعاً لوزارة المعارف العمومية حتى أصبح هيئة مستقلة تماماً عام ١٩٥٨.

وعندما أنشئ المجمع عام ١٩٣٢ نص مرسوم إنشائه على أن يؤلف من عشرين عضواً عاملاً يختارون من غير تقيد بالجنسية من بين العلماء المعروفين بتبحرهم فى اللغة العربية أو بأبحاثهم فى اللغة ولهجاتها ، وبالفعل شهد الفوج الأول من أعضاء المجلس عدداً من الأجانب .. وكان أول رئيس لمجمع اللغة

العربية هو محمد توفيق رفعت وكان قاضياً وأديباً ووزيراً للمعارف ثم وزيراً للخارجية.

ورغم ما طرأ على المجمع ولوائحه من تعديلات طوال تاريخه ، إلا أن الهدف الذى تحدد له لم يضف له أدنى تعديل أو تغيير ، وهو المحافظة على سلامة اللغة العربية وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون التى تقدمها ، وملائمة لحاجات الحياة فى العصر الحاضر ، وذلك بأن يحدد فى معاجم أو تفاسير خاصة أو بغير ذلك من الطرق ما ينبغى استعماله أو تجنبه من الألفاظ والتراكيب ، ووضع معجم تاريخى للغة العربية ، ونشر بحوث دقيقة فى تاريخ بعض الكلمات وما طرأ على مدلولاتها من تغيير .

وقد حدد المرسوم الذى صدر عام ١٩٥٥ عدد أعضاء المجمع بأربعين عضواً على الأكثر ، ويجوز أن يكون من بين هؤلاء عدد لا يتجاوز الاثنى عشر عضواً من غير المصريين .. ويلاحظ أن هؤلاء الأربعين هم الأعضاء الأساسيون الذين يمثلون هيئة المجمع ، ولكن هناك أعضاءً آخرين يعملون فى لجان المجمع وهم كبار العلماء المتخصصين فى كل فرع من الفروع العلمية .

ويتم اختيار عضو جديد فى المجمع عند وفاة عضو آخر أو تقديم استقالته أو عجزه عن أداء عمله أو فصله لتهمة " مزرية بالشرف " – ولم يخل أى مقعد حتى الآن إلا بسبب الوفاة – عندئذ يكون لكل عضو الحق فى ترشيح عضو أو أكثر من عضو حتى خمسة أعضاء .. ويجرى اقتراح بين الأعضاء المرشحين الجدد ومن يفوز بالأغلبية فى هذا التصويت هو الذى يفوز بشرف العضوية على أن يحصل على أصوات تزيد على نصف عدد المنتخبين بصوت واحد على الأقل.

الدكتور مشرفه
كبير علماء الذرة المصريين

فى عهد عمادته الأولى حصل على لقب البكوية ، ومع هذا لم يأبه بهذا اللقب ولم يكن يستخدمه فى حياته العامة ، وفى ١١ فبراير ١٩٤٦ كان من المقرر أن يزور الملك عبد العزيز آل سعود جامعة فؤاد الأول ، وتصادف أن كان على باشا إبراهيم مدير الجامعة مريضاً واصبح الدكتور مشرفه مديراً للجامعة بالإنابة وعليه أن يستقبل الملك عبد العزيز ، واضطرت السراى إلى منحه رتبة الباشوية كرئيس مؤقت للجامعة ، وأقبل الجميع يهنئونه بالباشوية فاستنكر منهم ذلك معتزاً بالدكتوراه لرجل العلم.

ولد على مصطفى مشرفه فى دمياط فى ١١ يوليو ١٨٩٨ ، وفى عام ١٩٠٧ داهمت الأسرة أزمة مالية أودت بكل ما تمتلكه ، وقبل أن يؤدى الصبى امتحان الشهادة الابتدائية بشهور توفى والده ، وبعد أن حصل على الابتدائية انتقلت الأسرة إلى القاهرة ولكن مشرفه التحق بمدرسة ثانوية بالإسكندرية بالمجان ثم انتقل إلى القاهرة حتى حصل على البكالوريا عام ١٩١٤ ، وتوفيت والدته قبل الامتحان بشهرين ، والتحق بمدرسة المعلمين العليا ، وسافر فى بعثة إلى إنجلترا وحصل على البكالوريوس فى الرياضيات عام١٩٢٠ ، وبقى فى إنجلترا حتى حصل على الدكتوراه فى فلسفة العلوم عام ١٩٢٣ ، وأصبح عضواً فى الجمعية الملكية البريطانية ، وأخذ ينشر بحوثه فى المجلات

المتخصصة وأصبح من فريق المحاضرين فى الجمعية الملكية البريطانية ، وأصبح العالم الحادى عشر فى العالم الذى يحصل على الدكتوراه فى العلوم وأول مصرى يحصل عليها.

وحاربه الإنجليز ورفض طلبه فى وظيفة أستاذ لعلوم الطبيعة فى مدرسة الطب ، وعينه احمد لطفى السيد مدير الجامعة المصرية سنة ١٩٢٠ أستاذاً فى كلية العلوم ، ولكن مشرفه كان يرى أنه أحق بوظيفة أستاذ ، فلجأ إلى أحد أعضاء مجلس النواب الوفديين ، وكان سعد زغلول رئيساً للمجلس فأثير الموضوع وأصدر على ماهر وزير المعارف قراراً بتعيين الدكتور مشرفه أستاذاً للرياضة التطبيقية فى كلية العلوم عام ١٩٢٦ ، وكان بذلك أول مصرى فى هذا المنصب ، وفى عام ١٩٣٠ اختير وكيلاً لكلية العلوم حتى عام ١٩٣٦ وهو العام الذى عين فيه عميداً ، وأصبح بذلك أول عميد مصرى لكلية العلوم.

ثم انتخب على مصطفى مشرفه وكيلاً للجامعة لمدة ثلاث سنوات كان مقرراً أن تنتهى فى ٢ ديسمبر ١٩٤٨ ، وفوجئ بصدور قرار بأن يكون اختيار وكيل الجامعة بالتعيين ، وفى يونيو ١٩٤٨ صدر قرار بإعفائه من وكالة الجامعة وتعيين وكيل جديد لها ، وكان من المتوقع عندما يخلو منصب مدير الجامعة أن يكون من نصيب الدكتور مشرفه فهو أقدم العمداء ، وشغل منصب وكيل الجامعة لفترة بل أنه شغل منصب مدير الجامعة بالإنابة لفترة أخرى ، ولكن الدكتور مشرفه لم يذهب للشكر عندما منح الباشوية فى ١١ فبراير ١٩٤٦، وفوجئ فى ٢ ديسمبر ١٩٤٧ بتعيين مدير آخر للجامعة أحدث منه فى العمادة وهو الدكتور إبراهيم شوقى .. وكان القصر وراء هذا القرار .

ثم حدث أن اختارته الحكومة الأمريكية عضواً فى اللجنة الدولية للبحوث الذرية ، وعلى هذا دعته إحدى جامعاتها أستاذاً زائراً لإلقاء سلسلة من

المحاضرات إلى جانب عدد من مشاهير أساتذة علوم الرياضة والطبيعة في العالم وفي مقدمتهم اينشتين .. وفي ٣٠ مارس ١٩٤٧ وافق مجلس الوزراء على السفر ، وفي ٢ أبريل ألغى الملك قرار مجلس الوزراء.

وكان الدكتور مشرفه قد نشر عام ١٩٢٩ بحوثاً في عدد من الدوريات العالمية توجها ببحث هام عام ١٩٣٢ ، ثم أعقبه ببحوث أخرى أعوام ١٩٤٢ ، ١٩٤٤ ، ١٩٤٥ ، ١٩٤٨ تتصل اتصالاً وثيقاً بنتائج مهمة في العلوم الذرية والنووية ثم انتقل إلى الجانب التطبيقي فدعا إلى البحث عن اليورانيوم في الصحراء الشرقية وظل ينادي بضرورة عناية الدول العربية بالعلم وإقامة الندوات العلمية .. وقد أدى تفوقه الواضح للغاية في مجال العلوم الذرية إلى أن ذهب بعض الباحثين إلى أن وفاته لم تكن طبيعية وإنما تقف وراءها أصابع عديدة !!! فقد كان أحد القلائل الذين تعرفوا على أسرار الذرة في العالم.

وإلى جانب الريادة العلمية للدكتور مشرفه كان علماً من أعلام الترجمة في مصر في القرن العشرين وقد أسهم في الحركة الفكرية المصرية بريادته في تخصصه وببحوثه واكتشافاته وبتأسيسه للجمعيات المتخصصة ومشاركته في مجمع الثقافة العلمية ومراكز البحوث ، وحتى الموسيقى أسهم في إثرائها بتأسيس الجمعية الموسيقية بالاشتراك مع محمود الحفني وأبو بكر خيرت ووديع فرج ، وتولت لجنة من هذه الجمعية ترجمة الأوبرات العالمية إلى اللغة العربية.

كما اهتم الدكتور مشرفه بالتأليف العلمي والترجمة العلمية فأنشأ قسماً في كلية العلوم لترجمة الكتب العلمية العالمية إلى اللغة العربية ، ووضع عام ١٩٣٨ " القاموس العلمي " بالاشتراك مع محمد عاطف البرقوقي ، واختاره مجمع اللغة العربية خبيراً للجنة المصطلحات العلمية ، واشترك مع الدكتور طه حسين وآخرين في كتاب " الحياة والحركة الفكرية في بريطانيا " .

ترك الدكتور مشرفه خمسة كتب له ، وأربعة كتب بالاشتراك مع أساتذة آخرين ، وستة كتب دراسية بالمشاركة ، و٥٣ مقـــالاً ، و ٢٠ حــديثاً إذاعيـــاً وصحفياً ، و ٢٥ بحثاً علمياً باللغات الأجنبية نشرت فى دوريات أجنبية ومـــن أهم كتبه " مطالعات علمية – العلم والحياة – نحن والعـــالم – الـــذرة والقنابـــل الذرية.

وفى صباح يوم الاثنين ١٦ يناير ١٩٥٠ تناول (عالم الذرة) الدكتور مشرفه شاى الصباح .. وفجأة صعدت روحه إلى بارئها !!!.

الإذاعة المصرية
تقود حركات التحرير

عرفت مصر محطات الراديو فى حوالى منتصف العشرينات من هــذا القرن أى بعد إنشاء أول محطة إذاعية منتظمة فى العالم بحوالى خمس سنوات.

وفى ١٠ مايو ١٩٢٦ صدر أول مرسوم ملكى يحدد الشروط التى يمكن بموجبها استخراج التراخيص باستخدام الأجهزة اللاسلكية فى القطر المصرى ، وبموجب هذا المرسوم أخذ هواه اللاسلكى ينشئون محطات إذاعة أهليــة فــى القاهرة والإسكندرية ، وكان بعضها يذيع باللغة العربية والبعض الآخــر يــذيع بالإنجليزية والفرنسية والإيطالية للأجانب المقيمين فى مصر مثل : راديو صايغ – راديو الأميرة فوزية – راديو فاروق – راديو سابو ، وكانت محطات بدائية هندسياً وضعيفة الإرسال الإذاعى حيث لم يتجاوز ٢,٥ كيلووات ، فيمــا عــدا بعض المحطات مثل محطة وادى الملوك التى كانت تسمع بوضوح فى فلسطين.

وكانت مصادر تمويل المحطات الأهليــة مــن الإعــلان واشــتراكات المستمعين التى تبلورت فى عشرة قروش لمدة شهر تذيع المحطة خلالــه مــا يطلبه المستمع من أغان مسجلة على الاسطوانات ومــا يطلبــه مــن بيانــات ونداءات.

واستمر الحال على هذا النحو إلى أن قرر مجلس الوزراء إلغاءها فى

٣١ يوليو ١٩٣٢ ، وتوقفت نهائياً عند بدء تشغيل محطة الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية من قبل شركة ماركونى البريطانية .. ففى تمام الساعة الخامسة والنصف من مساء ٣١ مايو ١٩٣٤ استمع الناس إلى صوت احمد سالم، أول مذيع للإذاعة المصرية ، ثم افتتحت الإذاعة بالقرآن الكريم بصوت الشيخ محمد رفعت ، ثم كلمات من وزير المواصلات ، وعلى إبراهيم باشا رئيس اللجنة العليا للبرامج ، ثم قطعة موسيقية ثم منولوج فكاهى من محمد عبد القدوس ، وبيانو منفرد من مدحت عاصم ، ثم تناوب الغناء بعد ذلك أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب وصالح عبد الحى وفتحية احمد.

وفى عام١٩٤٧ تم تمصير الإذاعة المصرية وإنهاء عقد شركة ماركونى، ثم تعاقب بعد ذلك إنشاء إذاعات مختلفة ، فبدأت إذاعة ركن السودان عام ١٩٤٩ ، وإذاعة صوت العرب ١٩٥٣ ، وإذاعة البرنامج الثانى ١٩٥٧ ، وإذاعة فلسطين ١٩٦٠ ، وإذاعة الشرق الأوسط ١٩٦٤ ، وإذاعة القرآن الكريم ١٩٦٤ .. ويذكر أن البرنامج الأوربى المحلى قد بدأ إرساله عام ١٩٣٤ أى مع بدء الإذاعة الرسمية.

وفى عام ١٩٥٤ بدأت إذاعة الإسكندرية كأول إذاعة محلية فى مصر ، وهى أول إذاعة تقدم الإعلان فى مصر منذ أن توقفت الإذاعات الأهلية ، وأول من أذاع المسلسلات الدرامية ، وأخذت المبادرة بإنتاج برامج تعليمية عبر الأثير وهى ما يعرف " بجامعة الهواء " .. ثم تعاقب إنشاء العديد من المحطات المحلية.

وكانت مصر أول دولة عربية طرقت مجال الإذاعات الدولية ، ففى الثلاثينات رأت أن تذيع على الموجات القصيرة نماذج من الثقافة العربية ما بين ساعتين وثلاث ساعات يومياً ، وكان يعقب نشرة الثامنة والنصف أحاديث لأحد

أعلام الفكر كطه حسين أو العقاد أو د. مشرفه وغيرهم ، أو بعض المناضلين العرب مثل بورقيبة أو إسماعيل الازهرى أو الملك السنوسى الذين كانوا يلهبون مشاعر مواطنيهم عند الاستماع إليهم ، وكانت الإذاعة المصرية أثناء الحرب العالمية الثانية تعد برامج خاصة باللغة الإنجليزية موجهة إلى بريطانيا وكندا والولايات المتحدة متضمنة جوهر الثقافة العربية ، وكانت الإذاعة البريطانية تلتقطها وتنقلها لجمهورها على موجات إذاعتها .. كما لعبت الإذاعة المصرية دوراً هاماً فى إنشاء جامعة الدول العربية وفى توحيد كلمة العرب فى هذا المجال ، وقام عبد الرحمن باشا عزام أول أمين عام لجامعة الدول العربية بدور بارز فى هذا الشأن .

وبعد قيام ثورة ١٩٥٢ بدأت مصر تبث برامج موجهة إلى غيرها من الدول بعرض الإعلام عن سياستها ، وهكذا بدأت فى توجيه أول إذاعاتها الدولية عام ١٩٥٣ ، وقد توسعت مصر فى إنشاء هذه الإذاعات حتى وضعها تقرير الأمم المتحدة عام ١٩٦٢ فى المرتبة الثانية بعد الاتحاد السوفيتى بالنسبة لعدد ساعات الإرسال اليومى ، وهى تقدم الآن برامجها الدولية من خلال ٤٥ إذاعة دولية مستخدمة ٣٢ لغة لجميع أنحاء العالم.

الشيخ محمد رفعت

ولد يوم الاثنين ٩ مايو ١٨٨٢ ورحل فى نفس التـــاريخ عـــام١٩٥٠ ، وشهد حى المغربلين بالقاهرة طفولة الشيخ المعجزة الذى فقد بصره بعد عامين فقط من خروجه للحياة أثر إصابته بالرمد وكان والده محمود رفعـــت مـــأموراً لقسم الخليفة ، وتلقى محمد رفعت دروساً فى القراءات السبع وفى تفسير القرآن الكريم ، وتعلم التجويد وأتقنه على يد أستاذيه محمد البغدادى والشيخ السمالوطى قبل أن يتجه إلى دراسة الموسيقى والوقوف على قواعدها وأصولها ، وأقدم على حفظ مئات الأدوار والتواشيح والقصائد الدينية كما تعلم العزف على آلة العود.

وذاعت شهرة الشيخ محمد رفعت فى مختلف أنحاء مصر ، وظل على ذلك يتلو القرآن فى جامع فاضل بدرب الجمـــاميز .. وعنـــد افتتـــاح الإذاعـــة المصرية كانت سورة الفتح أول ما تلى من آيات الذكر الحكيم فى الإذاعة بعـــد أن استفتى شيخ الأزهر فى إجازة قراءة القرآن الكريم عبـــر الإذاعـــة إنحنـــاءً وإكباراً للقرآن الكريم وكان يتقاضى ثلاثة جنيهات فقط فى تلاوة ساعة كاملة.

وبلغ من مكانة الشيخ محمد رفعت فى العالم الإسلامى أن إذاعات لندن وبرلين وباريس كانت تذيع تسجيلاته أثنـــاء الحـــرب العالميـــة الثانيـــة لتشـــد المستمعين فى العالم الإسلامى إلى برامجها ونشراتها الإخبارية .. ولم يكن تفرد

الشيخ محمد رفعت فى قوة صوته فقط وإنما كان يقرؤه فى خشوع فاض على ملايين المسلمين فى مختلف أرجاء العالم وكان قادراً على الإلمام بمواضيع الترهيب والترغيب فى القرآن.

وفى عام ١٩٤٢ أصيب الشيخ باحتباس فى صوته ، ودعا الكاتب الصحفى احمد الصاوى محمد إلى اكتتاب شعبى لعلاجه وانهالت التبرعات من مختلف أنحاء العالم الإسلامى .. وبلغت خمسين ألف جنيه فى مطلع الأربعينات، وكانت المفاجأة أنه اعتذر عن قبول التبرعات وامتثل لقضاء الله حتى فاضت روحه إلى بارئها.

الاسكواش المصرى
يحصد بطولات العالم

رغم حداثة عهد الكثير من الدول بلعبة الأسكواش وتأخر تأسيس الاتحاد الدولى إلى أواخر الستينات عام١٩٦٧ والذى كانت مصر من الدول السبع المؤسسة له ، إلا أن ظهور اللعبة فى مصر كان يرجع إلى قبل ذلك بكثير ، وذلك خلال الثلاثينات ثم كان تنظيم مصر لبطولة العالم بالقاهرة عام ١٩٨٥ تأكيداً لعراقة مصر فى هذه اللعبة.

تأسس الاتحاد المصرى للأسكواش عام ١٩٣٥ وكانت ملاعبه متوافرة فى أندية الجزيرة وسموحة وسبورتنج ، وكان الاتحاد الإنجليزى للاسكواش يشرف على لعبة الأسكواش قبل تأسيس الاتحاد الدولى ، وكان ينظم بطولة مفتوحة للهواة ، وأخرى للهواة والمحترفين ، ونظراً لقلة عدد ممارسى اللعبة فى العالم فقد كانت هذه البطولات تعتبر بمثابة بطولات عالمية .. وقد حققت مصر مراكز متقدمة فى هذه البطولات.

ففى بطولة إنجلترا المفتوحة للهواة والمحترفين ، فاز بها عبد الفتاح عمرو أعوام ١٩٣٢ ، ١٩٣٣ ، ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ ، ١٩٣٧ ومحمود عبد الكريم أعوام ١٩٤٧ ، ١٩٤٨، ١٩٤٩ ، ١٩٤٠ وهاشم خان عامى ١٩٥١ ، ١٩٥٢ وعبد الفتاح أبو طالب أعوام ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ ، ١٩٦٥ .

وفى عام ١٩٦١ وصل محمد دريد إلى الدور النهـائى .. وفـى عـام ١٩٦٢ حصل عبد الفتاح أبو طالب على المركز الثـانى ، وفـى عـام ١٩٦٣ حصل إبراهيم أمين على المركز الثانى وتوفيق شفيق المركز الثالث ، وفى عام ١٩٦٥ وصل توفيق شفيق وكمال زغلول للدور قبل النهائى .. وفى عام ١٩٦٦ وصل إبراهيم أمين للدور قبل النهائى ، وفى عام ١٩٦٧ حصل أبو طالب على المركز الثانى ووصل كمال زغلول للدور قبل النهائى.

أما بطولة العالم للهواة فقد وصل محمد عسران إلى الدور قبل النهـائى عام ١٩٧١ ، ونفس الدور وصل إليه جمال عوض عام١٩٧٧ .

أما بطولة إنجلترا المفتوحة للهواة فقد فاز بها عبد الفتاح عمرو أعـوام ١٩٣١ ، ١٩٣٢ ، ١٩٣٣ ، ١٩٣٤، ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ ، ١٩٣٧ وإبراهيم أمين عامى ١٩٥٦ ، ١٩٦٠ وجمال عوض عامى ١٩٧٧ ، ١٩٧٨ ، كمـا حصـل لمصر على المركز الثانى إبراهيم أمـين أعـوام ١٩٥٨ ، ١٩٥٩ ، ١٩٦١ ، ١٩٦٢ ، وتوفيق شفيق ١٩٦٠ ، ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ ، ومحمد عسـران ١٩٧١ ، وعلى عبد العزيز ١٩٧٥ .

وفى عام ١٩٧٦ انطلقت فاعليات أول بطولة عالم للأسكواش ، وكـان اللاعب احمد برادة أول لاعب مصرى يصل إلى المباراة النهائية عـام ١٩٩٩ ليحقق المركز الثانى .

وفى عام ٢٠٠٣ استطاع الفتى الذهبى عمرو شبانه أن يفـوز ببطولـة العالم لأول مرة ، ثم تمكن من تكرار إنجازه الكبير فأحرز اللقب للمرة الثانيـة عام ٢٠٠٥ فى البطولة التى أقيمت بهونج كونج ليتوج بعدها كأفضـل لاعـب أسكواش فى العالم ، وليتربع على عرش التصنيف أبطال الأسكواش ثم أحـرز اللقب للمرة الثالثة فى برمودا الأمريكية عام ٢٠٠٧ .. محققاً إنجازاً لم يسـبقه

إليه أى لاعب فى العالم سوى الأسطورة الباكستانية جانشير خان الذى فاز باللقب سبع مرات ، ومن قبله مواطنه جاهنجيير خان الذى فاز بها خمس مرات .. كما حقق عمرو شبانه رقماً قياسياً وفق تصنيف الاتحاد الدولى للأسكواش حين أصبح صاحب رابع أطول مدة على قمة التصنيف لمدة (١٥) شهراً من إبريل ٢٠٠٦ حتى يونيو ٢٠٠٧.

ثم جاء اللاعب رامى عاشور ليفوز ببطولة العالم للأسكواش الفردى للناشئين عام ٢٠٠٤ فى باكستان ، ثم يكرر إنجازه الكبير عام ٢٠٠٦ فى البطولة التى أقيمت بنيوزلندا والتى شهدت فوز ثلاث لاعبين مصريين بالمراكز الثلاثة الأولى وهم رامى عاشور وعمر مسعد وطارق مؤمن ، ولتكون المرة الأولى فى تاريخ الأسكواش المصرى التى يتحقق فيها هذا الإنجاز ، وليكون رامى عاشور أول لاعب فى العالم يفوز مرتين ببطولة العالم لفردى الناشئين فى الأسكواش .

وفى بطولة كأس العالم لناشئات الأسكواش فازت مصر بلقب الفرق عام ١٩٩٩ ، ٢٠٠٣ .. وفازت أمنية عبد القوى ببطولة فردى العالم عام ٢٠٠٣ وفازت رنيم الوليلى بنفس اللقب عام ٢٠٠٥.

المصرى الذى قال له هتلر :
" كنت أتمنى لو كُنتَ ألمانياً "

خضر التونى .. فاز بالمركز الأول فى أولمبياد برلين عـــام ١٩٣٦ ، وبطولة العالم بامستردام عام ١٩٤٩ ، وبطولة العالم ببـــاريس عـــام ١٩٥٠ ، وبطولة الدورة الأولى للبحر المتوسط بالإســكندرية عـــام ١٩٥١ .. وظلـــت مجموعته القياسية العالمية إعجازاً يستعصى على الأبطال أمداً طويلاً .. واستمر بطل أبطال رفع الأثقال فى العالم ١٥ سنة سابقاً بأرقامه ومحتفظاً ببطولته وهو ما لم يحدث لغيره فى سجل التاريخ الرياضى.

وقد أطلق اسمه على شارع من أكبر شوارع ميونيخ تكريمـــاً للبطولـــة وتذكاراً لمعجزة الألعاب الأولمبية على طول تاريخها حيث سجل فى أولمبيـــاد برلين رقماً يزيد على رقم بطل وزن خفيف الثقيل بـــ ١٣ كيلو .. وحصل على جائزة هولمز الشهيرة للرياضى الأول فى العالم.

ولد خضر التونى فى القاهرة بحى شبرا فى ١٩١٦/١٢/١٥ ونشأ فـــى أسرة بسيطة ، وكان والده تاجر جلود " بين الصورين " وعمل إلى جانبه ولذلك لم تتسع لميوله مدرسة النشأة الحديثة الابتدائية التى ادخله والده بها فتركها.

وبدأت قصته مع رفع الأثقال عندما قام وعمره ١٧ سنة برفع ثقل يبلغ ٨٠ كيلو لم يستطع أصحابه رفعه ثم اشترك فى أول مسابقة رسمية فى إبريـــل

١٩٣٤ وكانت بين أندية القاهرة ، وحصل فيها على بطولة وزن المتوسط ، ثم فاز ببطولة القاهرة عام١٩٣٤ بمجموع ٣٣٥ كيلو بزيادة ٢٥ كيلو عن الفائز الثانى، ثم فاز ببطولة قطر بعد ذلك بشهرين .. وأخذ يفكر فى الأرقام العالمية ويسأل عن أبطال العالم ، وعلم أن الرقم القياسى العالمى فى رفعة الضغط ١٠٦,٥ كيلو وهو رقم بطل مصر عنتر عرفه ، وفى عام ١٩٣٥ ضرب خضر الرقم القياسى ورفع ١٠٧,٥ كيلو.

وفى عام ١٩٣٦ وقع عليه الاختيار ليمثل مصر فى وزن المتوسط فى رفع الأثقال ، وعندما جاءت التقارير من مصر عن رفعاته لم يوافق الاتحاد الدولة على الاعتراف بها لأنه لم يكن فى الظن أن يستطيع رجل مغمور فى وزن ١٦٥ رطل الوصول إلى رفع تلك الأثقال .. وكانت صحف ألمانيا تكتب كل يوم عن بطلها فى وزن المتوسط " رودلف أزماير " وتعتبره معجزة جديدة ، ولما ذاعت شهرة خضر التونى عرف الجميع أن المعركة الكبرى ستكون بينهما، ورفعت التقارير إلى هتلر فقرر أن يحضر المباراة وكانت المباراة الوحيدة التى حضرها ، ولهذا أجل موعد اللعب إلى المساء حتى يتسنى للزعيم حضورها .

كانت مباراة خضر التونى مع أبطال العالم فى وزن المتوسط هى أهم حدث فى الألعاب الأولمبية ، واشترك فى المسابقة ٦٦ لاعباً انتهت محاولاتهم عند أرقام البطلين الألمانيين أزميير وواجنر .. واستنفذوا مقدرتهم ولم يظهر خضر التونى بعد لأنه كان يطلب أرقاماً أعلى بكثير .

وانتهى أزماير عند ١٠٥ كيلو ضغط ، وإذا بخضر التونى يطلب ١١٠ فحبس الناس أنفاسهم من الدهشة ، وتقدم التونى أمام الثقل ورفعه فى هدوء وثبات ثم طلب المحاولة الثانية ١١٥ كيلو(وكان الرقم القياسى العالمى ١١٢,٥

كيلو) واعلن الحكم أن خضر التونى سيضرب الرقم القياسى المسجل ، وفى الثالثة طلب ١١٧,٥ كيلو ضارباً الرقم القياسى لهذه الرفعة .. وكانت المسابقة الأخيرة فى رفعة الكلين والنطر وانتهوا عند ١٤٠ كيلو ، وبدأ خضر التونى من ١٤٥ كيلو ثم رفع ١٥٠ كيلو وأخيراً رفع ١٥٥ كيلو وبذلك حصل على مجموعة خارقة للعادة وهى ٣٩٢,٥ كيلو (ضغط ١١٧,٥ – خطف ١٢٠ – كلين ونطر ١٥٥).

وقف هتلر عندما عزف النشيد الوطنى المصرى ، وصوبت أعين عشرات الألوف على خضر التونى بطل العالم وعن يمينه رودلف أزماير الثانى وعن يساره واجنر الثالث ، وطلب هتلر مقابلة خضر التونى ، وقال له " لقد كنت أتمنى لو كُنتَ ألمانياً ، اعتبر نفسك فى وطنك الثانى وأننى أرحب بك مدة إقامتك فى ألمانيا ، وإن لمصر أن تفخر بخضر التونى" .

استمر خضر التونى بطلاً لوزن المتوسط ، واستمرت أرقامه ترتفع على أرقام الجميع ، واستعد لتمثيل مصر فى بطولة العالم التى أقيمت فى فيلادلفيا عام ١٩٣٧ ، ولكن مصر لم تشترك فى هذه المسابقة ، وفى العام التالى سافر الفريق المصرى إلى فيينا للاشتراك فى بطولة العالم لعام ١٩٣٨ ، وهناك أصابه تعب شديد دخل بسببه المستشفى وغادرها رغم نصح الأطباء قبل بدء المباريات بيومين وفاز بالمركز الثالث .. وعند عودته إلى مصر لم يجد أى منافسة ، واستمر بطلاً طوال سنوات الحرب العالمية الثانية التى لم تحدث فيها مباريات عالمية .

وصعد خضر التونى إلى وزن خفيف الثقيل وسجل أرقاماً قياسية ١٤٥ ك.ج ضغط ، ١٤٠ خطف ، ١٧٠ كلين ونطر ، عندما كان وزنه ٧٨ كيلو .. ولكنه اضطر عام ١٩٤٨ لتخفيف وزنه ولعب فى وزن المتوسط ، وقد صادفه

سوء حظ فى لندن خلال الألعاب الأولمبية ، وغادر المستشفى قبل يوم المباراة واشترك فيها وهو مريض وفاز بالمركز الثالث.

وفى لاهاى أقيمت بطولة العالم عام ١٩٤٩ وكانت كل دولة تشترك بسبعة لاعبين فى رفع الأثقال ، ولكن مصر اشتركت بأربعة لاعبين فقط ، وكان على الفريق المصرى أن يحرز النصر ويفوز على جميع الدول المشتركة .. ووجد خضر فى انتظاره على الحلقة بيتر جورج من الولايات المتحدة وكانت المسابقة الأخيرة بينهما وإذا فاز جورج أصبح الكأس وبطولة العالم لأمريكا .. وقد حدثت عده محاولات لإحباط عزيمته واختلف الحكام مع هيئة التحكيم العليا، ومع هذا فاز خضر التونى وفازت مصر وأحرزت المركز الأول بـ ١٦ نقطة تليها أمريكا ١٥ نقطة ثم روسيا ١٤ نقطة.

وفى عام ١٩٥٠ سافر للاشتراك فى بطولة العالم التى أقيمت فى قصر شايو العظيم بباريس ، وقد وصفت المسابقة بأنها أعظم بطولة عالمية أقيمت على الإطلاق .. وفاز خضر التونى فى الوزن المتوسط وأثبت أنه رجل قوى وخارق للعادة ولم يهتز أمام أبطال أصغر سناً .. وبلغ خضر القمة عندما رفع ٧٤١,٥ رطلاً " ضغط " باستقامة وثبات ولم يظهر عليه إعياء أو إنحناء ، حتى أن الناقد المشهور " جورج كركلى " كتب فى افتتاحية مجلة حمل الأثقال وكمال الأجسام عدد ديسمبر ١٩٥٠ قائلاً " أى نصر هذا الذى أحرزه الرجل الخارق للعادة خضر التونى " .

وفى بطولة العالم بميلانو ١٩٥١ دخل خضر التونى معركته الأخيرة بعد ١٥ سنة من انتصاراته الرائعة فى برلين ، وقف أمام رباعين أصغر سناً واحتل المركز الثالث فى الوزن المتوسط .

وقد كتب عنه الناقد الرياضى الشهير " شارل كوستر " فى مجلة الصحة

والقوة عام ١٩٥٦ أى بعد دورة برلين بعشرين سنة موضوعاً فى ٦ صـــفحات قال فيه " إن لدى اعتبارات معقولة بل قاطعة حين أقول أن خضر التونى هـــو أعظم بطل أوليمبى فى رفع الأثقال فى العصر الحديث" .

وفى ٢٢ سبتمبر ١٩٥٦ صعق التيار الكهربائى بطل العالم فى منزلـــه بحلوان.

معركة العلمين
تغير مسار الحرب العالمية الثانية

دارت فى الفترة بين ٢٣ أكتوبر حتى ٤ نوفمبر ١٩٤٢ بين القوات البريطانية بقيادة مونتجمرى وقوات المحور بقيادة روميل ، وذلك فى منطقة العلمين التى تبعد ٦٠ ميلاً غرب الإسكندرية ، وقد كانت هذه المعركة واحدة من أكبر معارك الدبابات والمدرعات فى التاريخ العسكرى .

ففى خطين متوازيين تقريباً يبلغ كل منهما نحو أربعين ميلاً من ساحل البحر الأبيض عند منطقة العلمين إلى مشارف منخفض القطارة وقف الجيشان المتحاربان وقفة طويلة تعددت خلالها المحاولات من الطرفين لشق الطريق إلى الأمام بلا جدوى ، وذلك بسبب الطائرات والدوريات التى لم تهدأ يوماً ، فقد كان الموقف دقيقاً للغاية حيث سيكون للغالب فيه فرصة لا مثيل لها فى تحديد نتائج الحرب ، وقد بسط وزير داخلية إنجلترا هدف الفريقين المتقاتلين فقال " إن قتال المحور فى الميدان المصرى جزء من سعى يبذله للاتصال باليابان عبر المحيط الهندى وفتح باب جديد لمهاجمة روسيا ، أما نحن فإن أملنا هو إلقاء روميل خارج أفريقيا ، ولا ريب فى أن إعادة فتح البحر المتوسط ستكون الخطوة الكبيرة الأولى فى سبيل استخدام السرعة والمرونة وحرية العمل فى البحار على نطاق واسع " .

كانت خطوط الحلفاء والمحور تشتمل على نطاقات من الألغام بينها نقط

قوية ومواقع للرشاشات والأسلحة المضادة للدبابات ، ويرابط كل من الجيشين فى جبهة ذات استحكامات دفاعية متينة وتم استخدام الألغام استخداماً واسع النطاق .. فقد اعتمدت خطة روميل الذى كان يعانى من طول خطوط تموينه وتأخر وصول الإمدادات إليه على توقع هجوم الجيش البريطانى لاجتياح قواته، لذلك قام بعمل أكبر حقل ألغام شهده العالم حتى أن الخبراء العسكريين أطلقوا علي حقل الألغام اسم " حدائق الشيطان " .

ونلاحظ أن روميل كان يرمى من هذا التوزيع أن يترك المنطقة الوسطى من خطوطه ضعيفة متوقعاً أن يقع الجيش الثامن فى خطأ محاولة شق طريقه خلالها فيقع حينئذ بين فرق البانزر من الشمال والجنوب ، ولكن قيادة الجيش الثامن لم تقع فى هذا الشرك وكانت تضع خطة تنطوى على الحكمة والدراية والمفاجأة أيضاً.

فقد كان على الجيش أن يخترق خطوط العدو فى أى ساحة إلى مسافة ٦٠٠٠ ياردة تقريباً فى الضربة الأولى ليجتاز حقول الألغام أو الخنادق ثم يستفيد من هذه الثغرة إلى أقصى حد ، ولذلك أنشئت وحدة جديدة باسم الفيلق العاشر (يتبع قوات الحلفاء) مكوناً من نحو ٥٠,٠٠٠ رجل وبه أحسن أنواع الدبابات وقد سحبت هذه القوة من ميدان القتال على أثر صد قوات روميل فى خط العلمين ، ووقفت جهودها على التدريب والاستعداد خلف الخطوط بخمسين ميلاً.

وفى الساعة المناسبة كان هذا الفيلق هو الصاعقة التى انقضت من خلال الثغرة وقضت على جيش روميل ، وقد نفذت هذه الخطة البارعة فى الصحراء تحت ستار باهر من التخفى ، ولم يكن هناك شك فى أن روميل يتوقع هجوماً كبيراً بل كان يعرف ذلك جيداً وقد كانت كل الدلائل تنطق بذلك ، ولكن

لم يكن معروفاً أين ولا متى ولا كيف سيقع الهجوم رغم أن طائرات الاستكشاف الألمانية كانت ترصد كل أعمال الفيلق العاشر.

وكان روميل يتوقع ألا يبدأ الهجوم قبل أن يترك الفيلق العاشر مكانه ويشترك فى العمل .. وهنا حدثت المفاجأة فقد تحرك الفيلق العاشر ليلاً تاركاً خلفه المعسكرات خالية من الجنود ، ولكن مليئة بالدمى والأجسام الهيكلية التى كانت تمثل الدبابات والعربات والجنود فى صورة متقنة ، فلما حدث الهجوم كان مفاجأة تامة ، فالجيش الثامن هجم فى وقت غير متوقع ، ولم يهاجم النقطة الضعيفة كما كان منتظراً ولكن هاجم أقوى ساحة فى الميدان .

وبدأت المعركة فى التاسعة والنصف من صباح الجمعة ٢٣ أكتوبر ١٩٤٢ ، وعلى طول المواجهة كانت المدافع الإنجليزية بحساب مدفع كل ٢٣ ياردة ، وكانت العمليات قد بدأت فى الليل ، واختيرت ليلة قمرية ساطعة الضوء، وفى الدقيقة المحددة انطلقت أفواه المدافع محدثة ستاراً شديداً من النيران لمدة عشرين دقيقة ، وتكرر ذلك من وقت لآخر .. وفتحت قوات الحلفاء ثغرة فى حقول ألغام المحور ، وفصلت جيش المحور إلى نصفين لم يتصلا ثانية ، وقد وصف الميدان بأنه شعلة من النيران من ساحل البحر إلى منخفض القطارة .. وفى الساعة العاشرة من صباح الجمعة ٢٣ أكتوبر تقدمت المشاة فى الساحة الشمالية ، وفى فجر اليوم التالى بدأ الاختراق فى حقول الألغام لشق الطريق للقوات المدرعة فى حماية المدفعية ، ولما كانت ليلة ٢/١ نوفمبر انتهت المرحلة الأولى وبدأت العمليات .

وسجلت القوات الجوية للحلفاء رقماً قياسياً فى عدد العمليات ، وأصابت عربات الذخيرة ، ونسفت مستودعات الأسلحة ، وأصابت مدافع الميدان وسيارات النقل وشبت الحرائق ، ووجهت همها إلى الأهداف المجاورة للثغرات

التى فتحت فى حقول الألغام لمساعدة القوات البرية فى شق طريقها .. وكانـت الغواصات تعمل بنشاط كبير على طول الشاطئ لمنع الإمدادات من البحر حتى أن ⅘ السفن التى خرجت من الموانى الإيطالية أو اليونانية أغرقت أو ارتدت، وكان نشاط المحور الجوى ضيق النطاق ، وكان دفاعياً ولم يعد له نفـوذ فـى سماء المعركة .

وفى فجر ٢ نوفمبر تقدمت قوة إنجليزية مدرعة خلف الخطوط الألمانية بينما كانت قوات مدرعة أخرى تضغط فى الناحية الغربية .. وبـدأت معـارك الدبابات فى تل العقاقير.

ففى ذلك اليوم دفع الألمان كل قواتهم المدرعة لمواجهة القوة الإنجليزية، ودار قتال شاق عنيف وحدثت خسائر فادحة فى الناحيتين ، وهزمت الـدبابات الألمانية وانتهت المعركة فى ساعات ، وفضل روميل أن يسرع بـالعودة وأن ينقذ قواته من الفناء والأسر ، وقد وصـفت سـاحة العقـاقير بأنهـا "مقـابر الدبابات" .. وفى ليلة ٣/٢ نوفمبر احتل الإنجليز العقاقير وقالت الأنباء أن ٢٦٠ دبابة للمحور قد حطمت أو أسرت .

وبذلك حطمت معركة ٢ نوفمبر قوات المحـور وظهـرت علامـات انسحابها على طول الخط ، وفى ٣ نوفمبر بدأ ذلك واضحاً ، وفى الجنوب لـم تستطع القوات الإيطالية أن تتراجع كثيراً وخصوصاً جنود المشاه الذين جردوا من المركبات وأخذ الكثيرين منهم أسرى ، كذلك توقفت الفرقة ١٦٤ الألمانيـة ولم تستطع التراجع ، وتراجعت بقية القوات الألمانية ، وقتل نائب روميل وأسر قائد جيش أفريقيا الألمانى وقائدى فرقتى برشيا وترنتو الإيطـاليتين ، وقـدرت التقارير الرسمية للقيادة البريطانية خسارة المحور بـ ٧٥ ألف رجل وأكثر من ٥٠٠ دبابة و ١٠٠٠ مدفع على الأقل.

وقال البلاغ الإيطالى " أن معركة دامية عنيفة دارت فى المنطقة الصحراوية الواقعة بين العلمين وفوكه بين دباباتنا ومشاتنا وبين الوحدات التى تمائلها من قوات العدو ، وبعد مقاومات عنيفة غير عادية انسحبت الجيوش الإيطالية والألمانية غرباً ، وكانت خسائرها فادحة ".

وفى ٤ نوفمبر بدأت مطاردة قوات المحور المنسحبة .. وكان موقف روميل حرجاً ، ومن المواقف التاريخية العنيفة التى واجهها قادة عظماء فقد هزمت قواته بعد أن أخرجت من مراكزها الحصينة ، وفقد مراكز تموينية ، واستهدفت مواصلاته لنيران الطائرات والمدفعية ، وكاد الموقف أن ينقلب إلى كارثة بتدمير جيش المحور بأكمله .. وقد حاول تدمير كل ما يستطيع تدميره فى الصحراء وكان يضع كل عراقيل يجيدها لسد الطريق ، وأبدى فى فوكه مقاومات ناجحة حتى اجتمع شمل قواته وبدأ خطة الانسحاب ، ثم تخلى عن فوكه يوم ٦ نوفمبر واندفع غرباً ، وأعطته الأحوال الجوية التى أعاقت التقدم فرصة مناسبة لتنظيم قواته ، وفى ٨ نوفمبر استمر الزحف وبلغ مرسى مطروح، واستولى الإنجليز على (بقبق) يوم ١٠ نوفمبر ، وفى اليوم التالى سقطت حلفايه والسلوم ، وارتدت قوات المحور إلى حدود مصر ، وفى يوم ١٢ نوفمبر تم تنظيف الحدود المصرية وأسر آلاف الإيطاليين ، أما الفرق الإيطالية فى الجنوب وقد كانت تتألف من ست فرق معظمها من المشاة فقد كانت مطوقة، فلما وصل الجيش الثامن إلى الضبعة وفوكه وقطع مراكز تموينها وخطوط مواصلاتها سلمت جميعاً ، وقبل أن ينتصف شهر نوفمبر ١٩٤٢ كان قد تم القضاء على جميع الجيوش والمقاومات لتنتهى الحرب فى مصر ، وتبدأ فى برقة بليبيا .

عندما فازت مصر
ببطولة أوربا فى كرة السلة

كانت مصر هى أول دولة عربية وأفريقية تعرف كرة السلة وذلك بداية القرن العشرين وكان هذا عن الطريق جمعية الشبان المسيحية بأسيوط حيث مارسها بعض الإنجليز والأمريكان فى أوقات الفراغ ، ووجدت اللعبة صدى كبيراً بين المصريين فى أسيوط لسرعتها والحماس التى تتسم به مبارياتها .. وفى الإسكندرية كانت اللعبة تمارس بمدرسة الليسيه فرانسيه ، وكان المدرب الفرنسى (لوى يور) والذى كان يعمل مدرباً لركوب الخيل بالسرايا الملكية فى عهد الملك فؤاد أحد الناشرين للعبة حيث أرسى قواعدها وأخذ يدرب المصريين على مهاراتها وقوانينها .

وتأسس الاتحاد المصرى عام ١٩٢٥ وكان يتولى إدارة لعبتين هما السلة والطائرة – التى دخلت مصر فى بداية القرن العشرين بنفس طريقة كرة السلة – وكان ينظم مسابقات اللعبتين .. وفى عام ١٩٣٢ كانت مصر من الدول المؤسسة للاتحاد الدولى ، وفى عام ١٩٦١ أسست مصر الاتحاد الأفريقى للسلة بالقاهرة ، وكان المصرى عازر اسحق أول سكرتير عام لهذا الاتحاد.

وقد شاركت مصر لأول مرة فى بطولة دولية لكرة السلة عام ١٩٣٥ وكانت بطولة أوربا ، وكانت أيضاً ضمن الفرق التى شاركت فى أول دورة

أوليمبية دخلت فيها كرة السلة عام ١٩٣٦ ، وكان كمال رياض كـــابتن فريـــق مصر .

وفى عام ١٩٤٧ اشتركت مصر فى بطولة أوربا لكرة السلة – حيث لم يكن الاتحاد الأفريقى قد تأسس بعد – التى أقيمت بتشيكوســـلوفاكيا ، وفـــازت بالميدالية البرونزية بينما فاز الاتحاد السوفيتى بالذهبية وتشيكوسلوفاكيا بالفضية، وفى عام ١٩٤٩ كان مقرراً أن تقام بطولة أوربا السادسة لكرة السلة بالاتحـــاد السوفيتى الذى اعتذر عن استضافتها ، ولما كان من غير الممكن أن تقام مـــرة أخرى فى تشيكوسلوفاكيا الفائزة بالمركز الثانى لاستضافتها البطولة الســـابقة ، فقد تقرر إقامة البطولة فى مصر الفائزة بالمركز الثالث فى البطولة الســـابقة .. وهو ما تم بالفعل وفازت مصر بالميدالية الذهبية فى هذه البطولة بعد أن فازت بجميع مبارياتها.

رياضة عملاقة فى الظل

تعد رياضة كمال الأجسام من الرياضات التى رفعت اسم مصر عالياً حيث كانت إلى وقت قريب هى اللعبة الوحيدة من بين اللعبات الفردية والجماعية التى تستطيع الفوز ببطولة العالم حتى الآن .

كان لاعبو مصر باستمرار فى قائمة أبطال العالم منذ بداية الخمسينات منذ فاز محمد نصر ببطولة العالم عام ١٩٥٢ ، و د. تونى بولس بالميدالية الذهبية أيضاً عام ١٩٥٤ ، وفاز عبد الحميد الجندى ببطولة العالم عامى ١٩٦٣، ١٩٦٤ ، وحصل جلال السيد على بطولة العالم عام ١٩٦٩ ، وعلى بطولة البحر المتوسط فى الفترة من عام ١٩٧٤ إلى ١٩٨٠ كما فاز محمد مصطفى المكاوى ببطولة العالم عام ١٩٧٦.

وفازت مصر ببطولة البحر المتوسط عام ١٩٨٥ بالإسكندرية عندما حصل عصمت صادق على الميدالية الذهبية فى وزن الخفيف ، والشحات مبروك على الذهبية فى وزن المتوسط ، كما فازت مصر ببطولة البحر المتوسط عام ١٩٨٦ ببرشلونة وحصل فيها الشحات مبروك على ذهبية المتوسط وعصمت صادق على ذهبية الخفيف وسعد ثعلب على برونزية الخفيف.

وكان عام ١٩٨٧ هو العام التاريخى لرياضة كمال الأجسام فى مصر ففازت ببطولة العالم للكبار بأسبانيا لأول مرة فى تاريخ بطولات العالم وحصلت على ميداليتين ذهبيتين فاز بهما محمد لطفى الفسخانى والشحات مبروك .. وفازت بالمركز الأول فى بطولة العالم للناشئين التى أقيمت بألمانيا الغربية لأول مرة فى تاريخها وحصلت على ميدالية ذهبية لمحمد عبد العزيز محمود وفضية لعادل بدوى فى ثلاثة أوزان أقيمت فيها البطولة .. وفى نفس العام فازت مصر بالمركز الأول فى بطولة البحر الأبيض المتوسط بقبرص وفاز بها الشحات مبروك ولطفى الفسخانى بذهبيتين وعصمت صادق بفضية وأنور العماوى وحسين الله جابو ببرونزيتين .. كما فاز لاعب مصر الشحات مبروك ببطولة مستر انترناشيونال الدولية التى أقيمت بهاواى فى الولايات المتحدة وحصل على لقب بطل أبطال العالم.

ومما يذكر أن اللاعب محمد لطفى الفسخانى يعد أول لاعب مصرى يتمكن من الحصول على بطولة العالم للكبار والناشئين حيث فاز بالميدالية الذهبية فى بطولة العالم للناشئين عام ١٩٨٣ بأسبانيا فى وزن خفيف والميدالية الذهبية فى بطولة العالم للكبار عام ١٩٨٧ بأسبانيا أيضاً وذلك فى وزن الريشة.

وقد حقق أبطال رياضة كمال الاجسام المركز الأول فى بطولة العالم أعوام ١٩٩٦ ، ١٩٩٨ ، ٢٠٠٢ ، ٢٠٠٣ ، ٢٠٠٧ .. والمركز الثانى فى بطولات ١٩٩٩ ، ٢٠٠٠ ، ٢٠٠٤ ، ٢٠٠٥.

كما فازوا بالبطولة الأفريقية أعوام ١٩٩٥ ، ١٩٩٦ ، ١٩٩٧ ، ١٩٩٩، ٢٠٠١ ، ٢٠٠٢ ، ٢٠٠٤ .

وفازوا ببطولة البحر المتوسط أعوام ١٩٩٨ ، ٢٠٠٠ ، ٢٠٠٢ ، ٢٠٠٣ ، ٢٠٠٤ ، ٢٠٠٥.

وفازوا أيضاً بالبطولـــة العربيـــة أعـــوام ١٩٩٨ ، ٢٠٠٠ ، ٢٠٠١ ، ٢٠٠٢ ، ٢٠٠٣ ، ٢٠٠٤.

وقد حصل اللاعب أنور العماوى على لقب بطل القرن العشـــرين فـــى كمال الأجسام حيث فاز بذهبية بطولة العالم سبع مرات بجانـــب ذهبيـــة دورة الألعاب العالمية ، كما يعد الشحات مبروك أسطورة كمال الأجسام حيـــث فـــاز بذهبية بطولة العالم ست مرات .

السد العالى
أعظم مشروع هندسى فى القرن العشرين

فى الساعة الثانية إلا عشر دقائق يوم السبت ١٩٦٠/١/٩ ضغط الرئيس جمال عبد الناصر على زر كهربائى فنسف ٢٠ ألـف طـن مـن الصـخور بالديناميت معطياً إشارة البدء فى العمل لبناء السد العالى الذى يقع جنوبى أسوان فى بقعة من نهر النيل ضفتاها من الصخور.

وتعود فكرة إنشاء هذا السد إلى مهندس زراعى يونانى يدعى " أدريان دانينوس " وقد اهتمت حكومة الثورة منذ قيامها بدراستها وإحالتها فى عام ١٩٥٤ إلى لجنة من الخبراء الدوليين أجمع معظمهم على صلاحيتها من النواحى الفنية والاقتصادية ، وتتمثل الأسباب التى أدت إلى التفكير فى بناء السد العالى إلى مياه النيل التى تتبدد فى البحر المتوسط كل عام ، وأخطار الفيضان التى تهدد البلاد ، وأخطار إنخفاض منسوب النهر ، واتساع الصحراء فى الشرق والغرب لاحتياجها إلى مياه وفيرة كى تزرع ، بالإضافة إلى احتياج التقدم الصناعى إلى توليد الكهرباء.

ولم تكن إمكانيات مصر فى ذلك الوقت تكفى لإنجاز المشروع ، فتقدمت بطلب إلى البنك الدولى فى نوفمبر ١٩٥٥ للحصول على قرض لتمويل المشروع ، فوافقت حكومة الولايات المتحدة وبريطانيا على المساهمة فى تمويل المشروع ، وفى يناير ١٩٥٦ وقع مدير البنك الدولى (يوجين بلاك) إتفاقاً

مبدئياً على قرض قيمته ٢٠٠ مليون دولار بفائدة ٣,٥ % لمدة عشرين عاماً .

ولما عقدت مصر صفقة الأسلحة مع تشيكوسلوفاكيا بعد رفض الغرب عقد هذه الصفقة لمواجهة الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة على الحدود ، أعلنت الولايات المتحدة فى ١٩ يوليو بياناً بسحب مساهمتها فى تمويل مشروع السد العالى ، وفى اليوم التالى أذاعت بريطانيا مثل هذا البيان ، وفى مساء اليوم نفسه أعلن مدير البنك الدولى عدم قدرته على المضى فى تمويل المشروع بعد انسحاب كل من أمريكا وبريطانيا .. وفى ٢٦ يوليو أعلن جمال عبد الناصر تأميم شركة قناة السويس حتى تتمكن مصر من تمويل مشروع بناء السد ، ونتيجة لذلك وقع العدوان الثلاثى على مصر فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦.

وأبرمت بين مصر والاتحاد السوفيتى اتفاقيتان عام ١٩٥٨ ، وعام ١٩٦٠ للتعاون الفنى بين البلدين لإنشاء السد العالى ، وقدم الاتحاد السوفيتى بمقتضاهما قرضين لتمويل المشروع.

والسد العالى عبارة عن سد ركامى كبير يقفل مجرى النيل ويبلغ طوله ٣٦٠٠ متراً ، منها ٥٢٠ متراً بين ضفتى النيل ، ويمتد الباقى على هيئة جناحين على جانبى النهر ، ويبلغ عرضه عند القاع ٩٨٠ متراً ويتدرج على هيئة هرم إلى أن يصل عند القمة ٤٠ متراً ، وارتفاعه ١١١ متراً فوق قاع النيل الذى يرتفع منسوبه ٨٥ متراً عن سطح البحر ، فيكون ارتفاع السد ١٩٦ متراً عن سطح البحر .. ويتكون جسم السد من الركام الجرانيت والرمال والطمى ، ويبلغ حجم المواد الداخلة فى بناء السد العالى ٤٣ مليوناً من الأمتار المكعبة ، ويمكن أن يمر من خلال السد تدفق مائى يصل إلى ١١,٠٠٠ متر مكعب من الماء فى الثانية الواحدة.

وتكون المياه المحجوزة أمام السد العالى بحيرة صناعية كبيرة يبلغ

طولها ٥٠٠ كم ، ومتوسط عرضها عشرة كيلو مترات ، ومساحة مسطحها ٥٠٠٠ كيلو متر مربع ، وتعد هذه البحيرة ثانى بحيرة صناعية فى العالم ، وأطلق عليها اسم بحيرة ناصر .. وتوجد أمام السد محطة توليد للكهرباء تنتج طاقة كهربائية سنوية تصل إلى ١٠ ملايين كيلو وات ، وتعد من أكبر المحطات المائية فى العالم حيث تشتمل على ١٢ وحدة توليد ، وقد انطلقت الشرارة الأولى من المحطة فى ١٥ أكتوبر ١٩٦٧.

وقد وضعت الهيئة الدولية للسدود والمشروعات الكبرى السد العالى فى الصدارة ، متفوقاً على (١٢٢) مشروعاً عملاقاً فى العالم وتجاوز ما عداه من المشروعات الهندسية المعمارية ، لما حققه من فوائد عادت على مصر حيث حماها من الفيضانات العالية التى كانت تغرق مساحات واسعة من البلاد ، كما وفر لمصر رصيدها الاستراتيجى من المياه بعد أن كانت مياه النيل من أشهر الفيضانات التى تذهب سدى فى البحر المتوسط.

د. فاروق الباز
يحدد مواقع هبوط الرواد على سطح القمر

" بعد تدريبات الملك .. أشعر أننى جئت هنا من قبل " .. كلمات معبرة قالها الفريد وردن رائد الفضاء فى رحلة ابوللو عن العالم المصرى الكبير د.فاروق الباز، الذى دخل تاريخ أبحاث الفضاء من باب وكالة ناسا حين أوكلت اليه المهمة الرئيسية ..... تحديد مواقع هبوط رواد الفضاء على سطح القمر.

ولد فاروق الباز فى ١٩٣٨/١/١ فى قرية طوخ الأقلام من قرى السنبلاوين فى محافظة الدقهلية ، كانت أمنيته أن يكون طبيباً جراحاً للمخ .. ولكن مجموعه ألحقه بكلية العلوم جامعة عين شمس ، حصل على شهادة البكالوريوس (كيمياء – جيولوجيا) عام ١٩٥٨ ، نال شهادة الماجستير فى الجيولوجيا عام ١٩٦١ من معهد علم المعادن بميسورى بالولايات المتحدة ، وفى عام ١٩٦٤ نال شهادة الدكتوراه وتخصص فى التكنولوجيا الاقتصادية.

وفى مرحلة بحثه عن عمل أرسل طلبات التحاق الى أكثر من مائة شركة ، إلى أن بعثت له وكالة "ناسا" التى كانت تطلب جيولوجيين متخصصين فى القمر ... ودخل د.فاروق الباز وكالة ناسا وهو لا يعلم أنه سيكون له فيها شأن عظيم ... وفى أثناء حضوره أحد المؤتمرات الجيولوجية والتى تحدث فيها علماء القمر عن فوهاته ومنخفضاته وجباله. لم يفهم شيئاً، وهو ما قيل طيلة ثلاثة أيام متواصلة، وحينما سأل أحد الجالسين عن كتاب

يجمع هذه التضاريس، أجابه قائلاً : " لا حاجة لنا إلى أى كتاب فنحن نعرف كل شئ عنه" ... حركته الإجابة إلى البحث والمعرفة، ودخل المكتبة التى ضجت بالصور القمرية التى يعلوها التراب، وعكف على دراسة ٤٣٢٢ صورة طيلة ثلاثة أشهر كاملة ، وتوصل إلى معلومات متميزة .... فقد اكتشف د.الباز أن هناك ما يقرب من ١٦ مكاناً يصلح للهبوط فوق القمر، وفى المؤتمر الثانى الذى حضره ، كان على المنصة يعرض ما توصل إليه وسط تساؤل الحاضرين عن ماهيته، حتى أن العالم الذى قال له من قبل نحن نعرف كل شئ عن القمر قام وقال : " اكتشفت الآن أننا لا نعرف شيئاً عن القمر".

دخل الباز تاريخ ناسا ، وأوكلت له مهمتين رئيسيتين فى أول رحلة لهبوط الإنسان على سطح القمر : الأولى هى اختيار مواقع الهبوط على سطح القمر ، والثانية تدريب طاقم رواد الفضاء على وصف القمر بطريقة جيولوجية علمية، وجمع العينات المطلوبة، وتصويره بالأجهزة الحديثة المصاحبة... واخذ اسم د.فاروق الباز يأخذ مكانته المرموقة فى الاوساط العلمية العالمية وتقديراً لأستاذيته ، بعث رئيس طاقم رواد فضاء رحلة أبوللو(١٥) برسالة إلى الأرض باللغة العربية، واصطحب معه ورقة مكتوب عليها سورة الفاتحة من د.الباز تيمناً منه بالنجاح والتوفيق بعد أن تم ادخال تعديلات كبيرة على سفينة أبوللو.

بعد انتهاء مهمة أبوللو ، شارك مع معهد Smithsonian بواشنطن فى إقامة وإدارة مركز أبحاث الكون فى المتحف الدولى للفضاء.

وفى عام ١٩٧٣ عمل كرئيس الملاحظة الكونية والتصوير فى مشروع أبوللو-سويوز الذى قام بأول مهمة أمريكية سوفيتية فى يوليو ١٩٧٥.

توجه د.الباز بعد ذلك إلى دراسة الصحراء .. وخلال ٢٥ عاماً قضاها

فى هذا المجال حتى الآن ، اهتم بتصوير المناطق الجافة خاصة فى صحراء شمال أفريقيا، وجمع معلوماته من خلال زياراته لكل الصحارى حول العالم .. كان أكثرها تميزاً دراساته للصحراء الغربية بمصر ، وصحراء الصين وغيرها.

اختاره الرئيس المصرى أنور السادات مستشاراً علمياً بين عامى ١٩٧٨- ١٩٨١ ، وكلفه بمهمة اختيار أماكن صحراوية تصلح لإقامة مشروعات عمرانية جديدة. وقد شرح بطريقة علمية دقيقة كيفية الاستفادة من الموارد الطبيعية لمصر. ودعا إلى أهمية دراسة المياه الجوفية،والتى يهدر منها الكثير فى البحار والمحيطات دون استخدام، وطبق التكنولوجيا الفضائية لدراستها ودراسة مسارات البحيرات الناضبة.

وكان نداء د.الباز باطلاق قمر متخصص للصحراء وراء إطلاق أول قمر صناعى مصرى للإستشعار عن بعد لخدمة أغراض البحث العلمى فى ١٧ إبريل ٢٠٠٧ ضمن سلسلة من الأقمار المتخصصة فى هذا المجال ، لأن كل الصور الفضائية المعمول بها إنما تكون لدراسة الغطاء النباتى ، ولكوننا أولى الناس بدراسة أراضينا الصحراوية من الغرب الذى لا يمتلك شيئاً منها ، وقد عمل على إنشاء مراكز تدرس التصوير الفضائى والاستشعار عن بعد فى كل من مصر والسعودية والإمارات وقطر.

انتخب د.الباز فى ما يقرب من ٤٠ من المعاهد والمجالس واللجان العلمية .. ومنها انتخابه مبعوثاً لأكاديمية العالم الثالث للعلوم TWAS فى ١٩٨٥ ، وأصبح ضمن مجلسها الاستشارى فى ١٩٩٧، وعضواً فى مجلس العلوم والتكنولوجيا الفضائية ، ورئيساً لمؤسسة الحفاظ على الآثار المصرية، وعضواً فى المركز الدولى للفيزياء الأكاديمية فى اليونسكو ، ومبعوثاً للأكاديمية

الافريقية للعلوم ، وزميل الاكاديمية الاسلامية للعلوم بباكستان ، وعضواً مؤسساً فى الأكاديمية العربية للعلوم بلبنان.. ورئيساً للجمعية العربية لأبحاث الفضاء.

كتب د.الباز ١٢ كتاباً منهـا " أبوللـو فـوق القمـر " ، " الصـحراء والأراضى الجافة" ، " حرب الخليج والبيئة " ، " أطلس لصور الأقمار الصناعية للكويت " .. ويشارك فى المجلس الاستشارى لعدة مجلات علمية عالمية.

حصل د.فاروق الباز على ما يقرب من ثلاثين جـائزة دوليـة ، وقـد أنشأت الجمعية الجيولوجية بالولايات المتحده جائزة سنوية باسمه أطلق عليهـا "جائزة فاروق الباز لأبحاث الصحراء".

المصريون ينهون أسطورة
أقوى خط دفاعى فى التاريخ

" بهذه الحرب سوف يضاف لعيد الغفران معنى آخر يوجع القلب إلــى الأبد " .. ما أبعد هذه الكلمات التى قالها موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى فى أعقاب حرب ٧٣ عن كلماته التى قالها بعد حرب ٦٧ حين قال " إنها الحــرب التى أنهت كل الحروب ، ولم يبق أمام العرب إلا التماس المقابلة لتقديم فروض الطاعة لاسيما وأنهم يعرفون رقم الهاتف " .

فى ١٩٦٨/٩/٨ نجحت المدفعية المصرية فى توجيه ضربة إلى خــط الدفاع الإسرائيلى شرق قناة السويس مما دفع الإسرائيليين إلى التفكير فى بنــاء خط دفاعى منيع لا تستطيع أن تناله كافة الأسلحة الحديثة ، وقد نسب هذا الخط إلى حاييم بارليف رئيس هيئة الأركان الإسرائيلية والذى أشرف على بناء هــذا الخط.

وكانت أولى درجات هذا الخط المنيع الذى يتكون من سلسلة من الموانع الطبيعية والصناعية ، هى قناة السويس ثم السد الترابى على الضــفة الشــرقية للقناة الذى وصل ارتفاعه إلى ٢٠ متراً بالإضافة إلى تكسية حجريــة وســتائر معدنية فى الجزء السفلى ثم نقاط دفاعية قوية ، وبعد أن انتهى الإسرائيليون من بناء خطهم المنيع وأيقنوا تماماً أنه لا قبل لقوة عسكرية فى العالم أن تحطمــه ، أرادوا تحطيم المصريين نفسياً ، فقاموا بمناورات عسكرية برية وجوية علــى

الضفة الشرقية للقناة وانطلقت مواسير النابالم على مياه القناة وأحالتها إلى كتلة من اللهب على مرأى من القوات المصرية على الضفة الغربية للقناة ، ثم جاء العرض الرئيسى ، وانطلقت طائرات السلاح الجوى الإسرائيلى من قاذفات سكاى هوك وفانتوم (اف -٤) لتهاجم خط بارليف وتصب عليه وابلاً من النيران والقنابل زنة ألف رطل ، ولم تستطع كل هذه الطائرات والأسلحة أن تحدث أى نوع من الدمار داخل الخط الذى استفاد تماماً من أخطاء خط ماجينو الفرنسى وسيجفريد الألمانى وكل تجارب الحروب ، وتم كل ذلك أمام أعين الجنود المصريين على الضفة الغربية .

وفى وادى جحول بالخطاطبة أقامت القوات المصرية سداً ترابياً مشابهاً للسد الترابى الإسرائيلى على الضفة الشرقية للقناة ، وجاءت الطائرات لتقذف السد بكافة ما تملكه من أسلحة وذلك بجانب الضرب المباشر للمدفعية بكافة الأعيرة التى لم تستطع أن تؤثر فى ارتفاع السد.

وجاء الخبراء السوفيت ، ورأوا أن الحل الوحيد هو استخدام قنبلة ذرية تكتيكية تقضى على هذا السد ، وأعداد هائلة من الهليكوبتر لنقل القوات المصرية بعد ذلك إلى ما وراء النقاط الحصينة للخط ، وأن خسائر القوات المصرية فى محاولة الاقتحام ستصل ما بين ٣٠ ، ٤٠ ألف رجل.

ولم ييأس المصريون ، وأخيراً اهتدى الفريق الشهيد جلال سرى مدير إدارة المهندسين الأسبق إلى فكرة عبقرية تقوم على استخدام القوة الهيدروليكية للمياه لنزح وإهالة السد الإسرائيلى .. وشهد شهر سبتمبر ١٩٦٩ أول تجربة لتجريف الساتر الترابى بالتعاون مع هيئة السد العالى وذلك باستخدام طلمبة تعمل بالكهرباء تعتمد على توليد طاقة ضخمة قدرتها ١٥٠ كيلو وات / ساعة وتحتاج إلى ونش لرفعها ، ولكن تبين أن استخدام هذه التجربة فى ظل ظروف

العمليات العسكرية مستحيلة ، وأعيدت التجارب فى مجال النسف علـــى أمـــل تطويرها فى بداية عام ١٩٧١ ، وكانت التعليمات تقضى باستخدام طابور لضخ المياه من اقرب ترعة وتجريف ساتر ترابى مشابه لساتر خط بارليف بأقل عدد من الأفراد ، وأن يتم تحميل الطلمبات والأفراد فى قارب خشبى يمكـــن حملـــه بأقل عدد من الأفراد ، وأن يتم تدريب الأفراد على تسلق الساتر الترابى وضخ المياه على مسافة تعطى أكبر تأثير فى انهيار الساتر مع تدريب الأفـــراد علـــى الاحتفاظ بتوازنهم عند انحدار المياه الشديد جارفة معها الأتربة ، وأنشئ ســـاتر ترابى بارتفاع ٢٦ متراً على مصرف الطلمبات بالقصاصين لعمل هذه التجربة، وتمت التجربة بنجاح على الرغم من عدم إمكانية تفادى اصطدام الأفراد بالمياه المتدفقة وانزلاقهم تحت تأثير المياه.

ثم انتقلت التجارب إلى منطقة القناطر الخيرية ، وتم التعاقد على شراء طلمبات ألمانية تحت ستار استخدامها فى أعمال الإطفـــاء ، وبـــدأ التـــدريب ، ونتيجة للعديد من التجارب وجد أن أفضل السبل لإزالة الســـاتر الترابـــى هـــو استخدام " طريقة الانهيارات المتتالية " وفيها تسلط المياه على قطاع متوسط من الساتر الترابى ، وتظل مسلطة عليه حتى يحدث تجويف فيه ، ومحاولة زيـــادة هذا التجويف وصولاً إلى مرحلة الانهيار للقطاعات التى فوقه مع الأخـــذ فـــى الاعتبار حجم تراكم الأتربة المزاحة أمام القطاع المائى خوفاً من تراكمها حتى لا يتسبب ذلك فى إعاقة عملية إنشاء الكبارى ، ولتلافى ذلك خصصت طلمبـــة إضافية لعمل تيارات مستمرة فى القطاع المائى بحيث لا تترسب أى كمية مـــن التربة المزاحة بالإضافة إلى عمل مجارى جانبية لتوجيه المياه الحاملة للتربـــة بعيداً عن قاع الممر.

وكانت هناك مشكلة أخرى هى عبور القوات المدرعة والميكانيكية مـــن الضفة الغربية إلى الشرقية للقناة بعرض ٢٠٠ متراً تقريباً ، وتم الحصول على

كبارى تتصف بالآلية وإمكانية فردها وتركيبها فوق القناة ، كما تم التغلب على مصادر قواذف اللهب (النابالم) بأن تسلل عدد من الجنود المصريين فى يوم ٥ أكتوبر وأبطلوا مفعولها.

وفى الساعة الثانية بعد ظهر ١٩٧٣/١٠/٦ بدأت الحرب التى غيرت الاستراتيجية العسكرية فى العالم ، وبدأت افتتاحية الحرب بضربة جوية مركزة ومفاجئة ، حين انطلقت ٢٠٠ طائرة قتال اختيرت أهدافها بمهارة فائقة ، وكان لكل تشكيل جوى منها هدفه ووجهته ، ونجحت الضربات فى تدمير مطارات الميلز وتمادا ، وعشرة مواقع صواريخ أرض جو من طراز هوك، وثلاثة مواقع رادار بعيدة المدى ، ومحطتين للإعاقة ، وموقعين للمدفعية بعيدة المدى وثلاثة مناطق شئون إدارية ، والنقطة الحصينة شرق بور فؤاد ، وبلغ عدد طلعات القوات الجوية يوم ٦ أكتوبر ٣٠٠ طلعة جوية ..!

وفى الوقت الذى أنجزت فيه القوات الجوية مهامها بشجاعة ، فتح ٢٠٠٠ مدفع هاون بالإضافة إلى لواء صواريخ النيران وتحولت الجبهة إلى جحيم يصب حممه لمدة ٥٣ دقيقة على قلاع خط بارليف الحصين ونقطة القوية وتجمعات الدبابات والقيادات ، وبلغ ما أسقطه أبطال المدفعية فى الدقيقة الأولى وحدها من التمهيد النيرانى ١٠ آلاف و ٥٠٠ دانة مدفعية ، بمعدل ١٧٥ دانة فى الثانية الواحدة ..!

وتحت ستار هذه النيران عبرت جماعات الصاعقة وجماعات اقتناص الدبابات قناة السويس فى مهمة بث الألغام فى مصاطب دبابات العدو ، وشل حركتها بالكمائن ، وفى خلال ١٥ دقيقة فقط من بدء المعركة كانت الموجات الأولى لخمس فرق مشاة وقوات قطاع بور سعيد قد نجحت فى اقتحام قناة السويس مستخدمة حوالى ألف قارب مطاط ، وبعد عدة دقائق وضع ٨ آلاف

جندى أقدامهم على الضفة الشرقية للقناة ، وبدأ الرجـال الصـائمون يتسـلقون الساتر الترابى .. ويقتحمون دفاعات العدو وهم يحملون أسـلحتهم الشخصـية والأسلحة الخفيفة المضادة للدبابات ، وهى المرة الأولى فى تاريخ الحروب التى يواجه فيها الإنسان الدبابات وهو ما يعد ظاهرة فريدة فى تاريخ الحروب.

وتقدمت وحدات المهندسين العسكريين تحت ستار أعمال قوات المشـاة والمدفعية وقامت بفتح الممرات اللازمة فى الساتر الترابى باسـتخدام طلمبـات المياه ، وأتمت فتح أول ممر فيها بزمن قياسى لم يتجاوز السـاعة ، وتوالـت بعدها عمليات فتح الممرات ، ونجحت فى إقامة عدد كبيـر مـن المعـديات ، وأنشأت ١٠ كبارى ثقيلة و ١٠ كبارى مشاة ، بدأت بعدها الدبابات والمعـدات الثقيلة تدفقها إلى أرض سيناء.

وقد استطاعت قوات الصاعقة العبور بالقوارب المطاطية لميـاه القنـاة على طول امتداد الجبهة من بور سعيد حتى السويس ، واشتركوا مـع رجـال المشاة فى مهاجمة حصون العدو ، ودار قتال مستميت على الطرق والمضـايق وحرموا العدو من إمدادات البترول ، كما قام رجال البحرية ، بتدمير قطع العدو وتوجيه ضربات له ضد موانيه وأهدافه الساحلية فى سيناء والتمهيد بالمدفعيـة الساحلية والصواريخ.

وفوجئت قوات إسرائيل بارتفاع كفاءة القوات المدرعة المصـرية فـى القتال الليلى عن طريق تزويد الدبابات المصرية بـأجهزة الإضـاءة الليليـة ، وأيضاً فوجئ العدو بزيادة قوة طائراتنا على الطيران المنخفض للإفـلات مـن شبكات الرادار ، وكان من أهـم دروس حـرب أكتـوبر حـرب الصـواريخ والطيران، إذ كانت هى أول حرب من نوعها فى تاريخ الحروب فى العـالم ، وقد استطاع المصريون بكفاءة تخطيط وبناء أقوى حـائط لصـواريخ الـدفاع

الجوى الموجهة المضادة للطائرات ، وبذلك أصبحت القوات الجوية الإسرائيلية عاجزة تماماً وكانت طلعاتها على جبهة القناة تسمى برحلة اللاعودة .

ونجح المصريون فى تحقيق أهدافهم فى أقـل مـن سـت سـاعات ، واقتحموا القناة على مواجهة ١٧٠ كم بقوة ٨٠ ألف جندي مستخدمين قـوارب المطاط ووسائل العبور المختلفة فى ١٢ موجة متتالية ، واستولوا على ١٥ نقطة حصينة للعدو ، وأكملوا حصار بقية النقط القوية ، كما تمكنوا من الاستيلاء على رؤوس الكبارى ، وحققوا معجزات مازالت تدرس فى الأكاديميات العسـكرية ، بل لم يكشف النقاب عن الكثير منها حتى اليوم.

أول عربى يحصل على جائزة نوبل

" جئت إليكم اليوم على قدمين ثابتتين ، لكى نبنى حياة جديدة ، لكى نقيم السلام ، وبكل صراحة وبالروح التى حدت بى إلى القدوم إليكم اليوم ، فـأننى أقول لكم : إن عليكم أن تتخلوا نهائياً عن أحلام الغزو ، وأن تتخلوا أيضاً عـن الاعتقاد بأن القوة هى خير وسيلة للتعامل مع العرب .. إن عليكم أن تستوعبوا جيداً دروس المواجهة بيننا وبينكم فلن يجديكم التوسـع شـيئاً ، ولكـى نـتكلم بوضوح فإن أرضنا لا تقبل المساومة وليست عرضة للجدل " .. كلمات واثقـة أعلنها الزعيم الراحل محمد أنور السادات فى خطابه أمام الكنيست الإسـرائيلى يوم ١٩٧٧/١١/٢٠ عقب إعلان مبادرته التاريخية للسلام بعد ثلاثـين عامـاً خاضت فيها مصر خمسة حروب شرسة ضد إسرائيل ، وقد أعلن السادات وهو منتصر فى آخر حروبه أنه على استعداد لأن يذهب إلى إسـرائيل بحثـاً عـن السلام فى مبادرة لا يقوم بها إلا زعماء نادرون.

ولد السادات فى ١٩١٨/١٢/٢٥ بقرية ميت أبو الكوم بالمنوفية ، تلقـى تعليمه الأولى فى قريته ثم جاء إلى القاهرة وعمره ١٢ عاماً حيث تلقى تعليمه الثانوى ، وفى عام ١٩٣٨ تخرج فى الكلية الحربية وعين فى سلاح الإشارة ، شارك فى معظم الحركات السياسية السرية التى قامت فـى السـنوات العشـر

السابقة على ثورة ١٩٥٢ ، واعتقل عدة مرات لنشاطه السياسى ، كما فصل من الجيش بسبب هذا النشاط ، وبعد إطلاق سراحه عمل بالصحافة ، وفى عام ١٩٥٠ عاد مرة أخرى إلى سلاح الإشارة بالجيش برتبة يوزباشى وأصبح واحداً من الضباط الأحرار الذين قاموا بثورة ١٩٥٢.

وصباح الأربعاء ٢٣ يوليو ١٩٥٢ أذاع بصوته أول بيان رسمى للثورة، وأصبح أنور السادات وزيراً للدولة ثم أميناً عاماً للجنة الدائمة للمؤتمر القومى ، وبعد قليل أصبح رئيساً لتحرير الجريدة اليومية الناطقة باسم الثورة "الجمهورية"، وفى عام ١٩٥٧ أصبح سكرتيراً عاماً للمؤتمر الإسلامى ثم أنتخب عام ١٩٦٠ رئيساً لمجلس الأمة ، وفى عام ١٩٦١ أصبح رئيساً لمجلس التضامن الأفرو آسيوى ، وفى العام التالى أصبح عضواً بمجلس الرئاسة ، وفى عام ١٩٦٩ أصبح النائب الأول لرئيس الجمهورية .

وفى عام ١٩٧٠ انتخب رئيساً للجمهورية خلفاً للرئيس جمال عبد الناصر ، وفى ١٥ مايو ١٩٧١ قاد ثورة التصحيح ضد مراكز القوى فى مصر آنذاك .. وفى عام ١٩٧٣ اتخذ قرار حرب أكتوبر لتحرير الأرض المحتلة وأشرف بنفسه على قيادة معاركها ، وهى الحرب التى غيرت من موازين القوى فى منطقة الشرق الأوسط ، واستطاعت أن تعيد إلى مصر ثقلها العسكرى والسياسى بعد هزيمة ١٩٦٧ ، وأن تعيد إلى العرب جميعاً مكانتهم وهيبتهم ، كما استطاعت هذه المعركة أن تكون نقطة تحول هامة فى التاريخ العسكرى للحروب .

وفى عام ١٩٧٧ بدأ مبادرته التاريخية من أجل حل مشكلة الشرق الأوسط عن طريق إزالة الحواجز النفسية التى تفصل بين العرب وإسرائيل ، وتعتبر هذه المبادرة أهم حدث فى العالم خلال عام ١٩٧٧ ، وفى عام ١٩٧٨

أصدر كتابه " البحث عن الذات " وهو تسجيل لتاريخ حياته وحياة مصر منذ عام ١٩١٨ ، وفى نفس العام أسس الحزب الوطنى الديموقراطى وشارك فى قمة كامب ديفيد فى شهر سبتمبر مع الرئيس الأمريكى كارتر ورئيس الوزراء الإسرائيلى مناحم بيجن حيث تم توقيع وثيقتين هما :- إطار السلام فى الشرق الأوسط وإطار المفاوضات بين مصر وإسرائيل .

وفى عام ١٩٧٨ حصل على جائزة نوبل للسلام بالمشاركة مع رئيس الوزراء الإسرائيلى ، وفى عام ١٩٧٩ وقع على معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية باعتبارها الخطوة الأولى على طريق السلام الشامل والدائم فى المنطقة ، والتى استطاعت مصر بمقتضاها استرداد جميع أراضيها المحتلة من إسرائيل .

وقد اغتيل الرئيس السادات فى ١٩٨١/١٠/٦ أثناء العرض العسكرى الذى أقيم بمناسبة احتفالات أكتوبر ، تاركاً صفحة نادرة تضاف إلى تاريخ مصر ، ومحدثاً تغييراً جذرياً فى التفكير العربى الإسرائيلى ، وهو ما أثبتت الأيام صحته عندما بدأت المفاوضات العربية الإسرائيلية بعد خمسة عشر عاماً من مبادرته الفريدة.

د. مجدى يعقوب
معجزة جراحات القلب فى العالم

هو واحد من أشهر ستة جراحين للقلب فى العالم .. وثانى طبيب فـى العالم يقوم بعملية زراعة قلب بعد د.كريستيان برنارد .. أجرى أكثر من ألفـى عملية زرع قلب خلال ربع قرن ... طافت سمعته العلمية المرموقة أنحاء العالم لأساليبه الخلاقة فى علاج أمراض القلب ... كرمته الملكـة اليزابيـث ملكـة بريطانيا ومنحته لقب سير ووسام فارس عام ١٩٩٩.

ولد فى ١٩٣٥/١١/١٦ ببلبيس محافظة الشرقية ، درس الطب بجامعة القاهرة ، ثم سافر إلى شيكاغو ومنها إلى بريطانيا فى عـام ١٩٦٢ لاسـتكمال دراساته ، وحصل على درجة الزمالة الملكية فى الجراحة من ثلاث جامعـات بريطانية هى لندن وادنبرة وجلاسكو ، ولمهارته الفائقة عين رئيساً لقسم جراحة القلب عام ١٩٧٢ ثم رئيساً لمؤسسة زراعة القلب فى بريطانيا عام ١٩٨٧.

وفى مستشفى هارفيلد فى شمال غرب لندن واجه صعوبات كثيرة حتى تمكن من اجراء أول جراحة ناجحة لزرعة القلب عام ١٩٨٠ ، وكانـت هـذه الجراحات قد ظلت تجرى لمدة ثلاث سنوات على نفقته ونفقـة فريقـه ومـن تبرعات المرضى وغيرها من المصادر لإحجام نظام التأمين الصحى فى البداية عن تحمل تكاليفها ، وقد حققت الجراحة التى أجراها عام ١٩٨٠ لنقـل قلـب للمريض دريك موريس رقماً طبياً قياسياً حيث عاش ٢٥ عاماً بعد إجرائه هـذه

الجراحة الناجحة التى أصبحت علامة فارقة فى جراحات القلب ، وكان مريض الجراحة الأولى للدكتور كريستيان برنارد قد عاش لمدة ١٨ يوماً بعد إجراء العملية .

وفى عام ١٩٨٦ سجل التاريخ الطبى للدكتور مجدى يعقوب نجاحه فى ابتكار جراحة " الدومينو" التى تتضمن زراعة قلب ورئتين فى مريض يعانى من فشل الرئة ، وفى الوقت نفسه يحفظ القلب السليم من المريض ذاته ليزرع فى مريض ثان ، وقد عرف عن د.مجدى يعقوب تفكيره الدائم فى الجراحات المعقده ورغبته فى تحدى صعوباتها ، واكتشافه أساليب تقنية من شأنها تعزيز مهارات الجراحين بما يمكنهم من إجراء عمليات كانت يوماً ما أشبه بالمستحيلة.

وقد ساهم فى ذيوع صيته اهتمامه بإجراء جراحات مجانية فى الدول النامية ، وفى بلده مصر للمرضى وخصوصاً الأطفال الذين لا يستطيع ذويهم تحمل التكاليف الباهظة لهذه العمليات ، ويسافر الجراح العالمى على رأس فريقه الطبى المتكامل المعروف بإسم قاطرة الأمل لإجراء جراحات معقدة فى قلوب أطفال مصر وغيرها من الدول. كما ساهم فى تأسيس وحدة رعاية متكاملة فى مستشفى القصر العينى لعلاج التشوهات الخلقية فى القلب.

وفى عام ٢٠٠٠ اختار الشعب البريطانى د.مجدى يعقوب ليفوز "بجائزة الشعب" فى بريطانيا فى أول إطلاق لهذه الجائزة التى استحدثت لتكريم الأشخاص ذوى الانجازات المتميزة فى المملكة المتحدة ، وخلافاً لأسلوب الترشيح المتبع فى تنظيم الجوائز العلمية الأخرى من خلال لجان التحكيم ، فإن الفائزين بهذه الجائزة مرشحون من عموم الشعب البريطانى ، وفاز بها د.مجدى يعقوب عن جميع إسهاماته العلمية وإجرائه لأكبر عدد من عمليات زرع القلب فى العالم.

وفى عام ٢٠٠٦ فاز د.مجدى يعقوب بالميدالية الذهبية فى المؤتمر العالمى لعلاجات القلب ببرشلونة بإسبانيا تقديراً من المؤتمر لحامل لقب "أكثر أطباء العالم إنجازاً فى عدد عمليات زرع القلب" ، وحرصت الملكة صوفيا ملكة اسبانيا على تسليمه الميدالية تقديراً لدوره وللأعمال الخيرية التى يقوم بها.

وفى عام ٢٠٠٦ قطع د. مجدى يعقوب اعتزاله اجراء العمليات الجراحية - وهو القرار الذى اتخذه حين بلغ عامه الخامس والستين - ليقود عملية فائقة الصعوبة والتعقيد تتطلب إزالة قلب مزروع فى مريضة بعد شفاء قلبها الطبيعى ، حيث كانت الطفلة البريطانية " هنا كلارك" تعانى من تضخم شديد فى القلب مما استلزم إجراء جراحة لها لزرع قلب جديد حين كانت تبلغ من العمر عامين ، وكان قد أجراها د.مجدى يعقوب ، وقرر فريق الجراحة حينئذ الابقاء على القلب الأصلى وعدم إستئصاله ، وخلال الفحص الدورى للطفلة ، اكتشف الاطباء أن القلب المريض عاد للنبض مرة أخرى ، بعد أن أسهم وجود القلب المزروع فى استعادته لحجمه الطبيعى وتعافيه ، وبذلك أصبحت هذه الجراحة أسلوباً جديداً للعلاج ، يقوم على زرع جهاز ميكانيكى لمساعدة القلب المريض حتى يتم الشفاء.

ثم نقلت وكالات الأنباء خبراً عن أول إنجاز فريد من نوعه فى العالم ، حيث نجح فريق طبى بريطانى يقوده د.مجدى يعقوب فى انتاج جزء من القلب يعمل مثل صمامات القلب ، وذلك بتوظيف الخلايا الجذعية وهى خلايا الجسم الأصلية. وصرح الدكتور يعقوب بأن الأطباء الباحثين سيتمكنون وفى غضون ثلاثة أعوام من توظيف أجزاء مطورة بهذه الطريقة بهدف استخدامها بدلاً من أجزاء تالفة فى القلب مثل الصمامات. وأشارت الوكالات إلى أن فريق الاطباء والباحثين والخبراء فى علوم الصيدلة والخلايا قد استمروا فى ابحاثهم وتجاربهم عشرة أعوام فى مستشفى هارفيلد من أجل التوصل الى هذا الانتصار العلمى.

ومن المعروف أن الخلايا الجذعية تمتلك امكانات هائلة فى التحول الى أى نوع من الخلايا المتخصصة .. وهو ما يفتح صفحة واعدة جديدة على درب تطوير قلب بشرى كامل وغير اصطناعى حيث اشار د.مجدى يعقوب " أن ذلك لــيس خيالاً حيث يتوقع أن يتم التوصل اليه فى غضون عقد فقط من الزمن".

أول أديب عربى
يحصل على جائزة نوبل للأدب

فى تمام الواحدة بعد ظهر الخميس ١٣ أكتوبر ١٩٨٨ حينما دقت الساعة الذهبية الكبيرة فى القاعة الرئيسية للأكاديمية الملكية السويسرية ، كان قرار اللجنة الذى أعلنه الناقد " شتور اللبين " أمام حشد هائل من الصحفيين من كل بلاد العالم .. إعلان فوز الأديب المصرى الكبير نجيب محفوظ من بين ١٥٠ أديباً وكاتباً عالمياً كانوا مرشحين لجائزة نوبل ، ليكون أول أديب عربى يحصل على هذه الجائزة التى حصل عليها قمم الأدب فى العالم.

ولد نجيب محفوظ فى ١٩١١/١٢/١١ بحى الجمالية ، وعندما بلغ اثنى عشر عاماً انتقلت أسرته إلى حى العباسية ، ولكن هذه الأعوام الاثنى عشر تركت بصمات واضحة على أعمال نجيب محفوظ فيما بعد .. حصل على ليسانس الآداب فى الفلسفة عام ١٩٣٤ ، ثم عمل موظفاً فى دواوين الحكومة ، وترقى فى السلم الوظيفى حتى وصل إلى منصب رئيس مجلس إدارة المؤسسة العامة للسينما ، فقد عين مستشاراً فنياً بها عام ١٩٦٢ ثم رئيساً للجنة القراءة بالمؤسسة العامة للسينما والإذاعة والتليفزيون فى أكتوبر ١٩٦٣ ، وصدر قرار جمهورى بتعيينه عضواً بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب فى ديسمبر ١٩٦٥ ، ثم عين فى عام ١٩٦٧ رئيساً لمجلس إدارة المؤسسة المصرية العامة للسينما ، وفى نوفمبر ١٩٧١ أحيل للمعاش.

نشر نجيب محفوظ أول قصة له وهى " ملـوك تحـت الأرض " وقـد نشرها فى مجلة الشباب عام ١٩٣٠ وتدور أحداثها عن فتاة تقيم فـى ماسـورة مهجورة .. ثم كتب عدة روايات تاريخية زمانها ومكانها مصر الفرعونية وهى " عبث الأقدار " ١٩٣٩ ، " رادوبيس " ١٩٤٣ ، " كفاح طيبة " ١٩٤٤ .. ثـم تجاوز المرحلة التاريخية إلى الواقعية النقدية والتى أكسـبته دور الريـادة فـى الواقعية فى القصة العربية والتى امتدت من ١٩٤٥ إلى ١٩٥٢ وتناول البنـاء الاجتماعى فى مصر قبل الثورة وتأثيره على الحياة الاجتماعية للطبقة الوسطى وروايات هذه المرحلة هى : القاهرة الجديدة ، خان الخليلى ، زقـاق المـدق ، السراب ، بداية ونهاية ، ثلاثيته الشهيرة بين القصرين وقصر الشوق والسكرية.

ثم اتجه إلى الرواية الرمزية وعبر عنها فى سلسـلة روايـات اللـص والكلاب – السمان والخريف – الطريق – الشحاذ – ثرثـرة علـى النيـل – ميرامار – حب تحت المطر – خمارة القط الأسود .. وبعد نكسة يونيو ١٩٦٧ كتب رائعته الحرافيش .

كتب نجيب محفوظ أكثر من ٤٠ رواية ، ومجموعـة مـن القصـص القصيرة ، وسيناريوهات لعدد كبير من الأفلام.

حصل نجيب محفوظ على وسام الجمهورية من الطبقة الأولى ، ووسام الاستحقاق ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى ، وجائزة النيل للسينما ، كما فاز بجائزة الدولة للأدب عام ١٩٥٧ عن قصته " قصر الشوق " وفاز بجـائزة الدولة التقديرية للأدب عام ١٩٧٠ ، ومنحته رابطة التضامن الفرنسية العربيـة جائزتها عام ١٩٨٥ عن ثلاثيته التى ترجمت إلى الفرنسية ومنحته الدولة بعـد حصوله على جائزة نوبل قلادة النيل.

ومما يذكر أنه عندما صدرت الترجمة الفرنسية لثلاثيته أفردت صحيفة

"اللوموند" صفحة كاملة للإشادة بالرواية ووصفته بأنه ملك الرواية فى العالم.

ويعد نجيب محفوظ أكثر الأدباء العرب الذين تحولت رواياتهم إلى واقع سواء على الشاشة أو خشبة المسرح ، وإن كانت السينما قد حظيت بالنصيب الأكبر ، وقد فاز المسرح بعدد من الروايات التى تحولت إلى مسرحيات اشهرها : خان الخليلى – زقاق المدق – بداية ونهاية – اللص والكلاب .

وتوج العالم تقديره لنجيب محفوظ بمنحة جائزة نوبل للأدب ، وفيما يلى نص حيثيات قرار لجنة الأكاديمية السويدية للآداب بمنح جائزة نوبل للآداب لعميد الرواية العربية :

" إن الإنجاز الحاسم والعظيم لنجيب محفوظ – ككاتب للرواية والقصة القصيرة – هو أن إنتاجه كان يعنى تحولاً كبيراً للرواية كعمل أدبى ولتطوير اللغة الأدبية فى الدوائر الثقافية الناطقة باللغة العربية .. ولعل مدى الإنجاز الذى حققه ، وهو أعظم من ذلك ، أن أعماله كانت تخاطب العالم ككل.

لقد صنع محفوظ اسمه الكبير فى عالم الأدب بثلاثيته الشهيرة خلال عامى ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ التى تتناول جزءاً من تاريخ مصر خلال الفترة من أواخر العقد الأول من القرن العشرين وحتى منتصف الأربعينات من خلال أسرة من الطبقة المتوسطة .. وكانت سلسلة رواياته تتميز بالعناصر الشخصية والأفراد وتربطهم بوضوح بالظروف السياسية والاجتماعية والثقافية ، وبصفة عامة فإن معظم أعمال نجيب محفوظ كان لها تأثير جدير بالاعتبار فى بلاده.

ومن أهم أعماله تلك الفكرة التى تناولها فى روايته غير العادية " أولاد حارتنا " التى كتبها عام ١٩٥٩ ويتحدث فيها عن بحث الإنسان اللانهائى عن القيم الروحية ، وبقائه فى مواجهة الصراع المستمر بين الخير والشر، وقد ترجمت الرواية تحت اسم " أولاد الجبلاوى ".

وتأتى رواية " ثرثرة على النيل " ١٩٦٦ كمثال لأعمال نجيب محفوظ ذات التأثير الكبير ، وفيها نشهد الحوارات الميتافيزيقية حول الخيال والحقيقة ، وفيها أيضاً التعليق على المناخ الثقافى فى مصر ، وفى مجموعة قصصه الممتازة بعنوان " دنيا الله " ١٩٧٣ تبدو المعالجة الفنية الجيدة للمشاكل القائمة فى المجتمع.

وقد كان هناك اتجاه لتقسيم أعمال نجيب محفوظ طبقاً لمجموعة من الفترات ، فهناك رواياته التاريخية ، والواقعية والميتافيزيقية ، ولم يحدث ذلك بالطبع دون سبب .. وفى النهاية فإن أعماله هى إضاءة فى الحياة الإنسانية بصفة عامة".

د. بطرس غالى ...
سكرتيراً عاماً للأمم المتحدة

بعد أسبوع واحد من إحتفاله بعيد ميلاده التاسع والستين في نوفمبر ١٩٩١ ، وبعد نحو نصف قرن من العمل في مجالات مهمة وصل في كل منها إلى أقصاها ، فاز الدكتور بطرس غالى بجدارة بمنصب السكرتير العام للأمم المتحدة ليصبح أول عربى وأفريقى يتولى هذا المنصب الدولى الرفيع فى تاريخ المنظمة الدولية (١٩٩٢ - ١٩٩٦)، وفى أول إقتراع رسمى بمجلس الأمن جاء إنتخابه بأغلبية ١١ صوتاً وعدم معارضه أية دولة لترشيحه تأكيداً للتأييد الواسع الذى ظل يتمتع به هذا السياسى المصرى المرموق طوال عمليات الاقتراع غير الرسمية على مدى شهر حيث ظل يتصدر قائمة المرشحين لهذا المنصب.

ولد د. بطرس غالى فى ١٤ نوفمبر ١٩٢٢ بالقاهرة لعائلة مصرية عريقة ، وحصل على ليسانس الحقوق من جامعة فؤاد الأول - القاهرة - عام ١٩٤٦ وسافر إلى باريس لاستكمال دراسته فحصل على ثلاث دبلومات عليا فى ثلاث سنوات متتالية وحصل فى عام ١٩٤٩ على درجة الدكتوراه فى القانون الدولى من جامعة باريس.

وفور عودته لمصر عمل مدرساً للقانون الدولى بكلية الحقوق جامعة القاهرة حتى اصبح رئيساً لقسم القانون الدولى بها ، وعمل على إنشاء كلية

الاقتصاد والعلوم السياسية عام ١٩٦٢ وأصبح أول رئيس لقسم العلوم السياسية بالكلية الجديدة .

وفى عام ١٩٦٢ أختير مديراً لمعهد " داج همرشولد " للعلوم السياسية فى هولندا ، وأستاذاً مراسلاً فى الأكاديمية الفرنسية للعلوم السياسية ، وأشرف على رسائل الدكتوراه فى جامعات العالم المختلفة ، وانتخب د. غالى لرئاسة الجمعية المصرية للقانون الدولى ، وكأمين لمركز القانون الدولى فى نيويورك ، ونائب لرئيس الجمعية الدولية للقانون الدولى .

كما رأس د. غالى تحرير أول مجلة سياسية عربية وهى مجلة السياسة الدولية التى تصدر فى مصر ، واختير عام ١٩٧٧ وزير دولة للشئون الخارجية، وفى عام ١٩٩١ تولى منصب نائب رئيس الوزراء للعلاقات الخارجية ووزير الدولة لشئون الهجرة .

ولعب د.غالى دوراً كبيراً فى دعم علاقات مصر بأفريقيا وفق أسس علمى ، فأنشأ صندوق المعونة الفنية المصرى لأفريقيا ، كما أجرى مفاوضات لمدة عامين مع حكومة جنوب أفريقيا للإفراج عن المناضل الأفريقى نيلسون مانديلا ، وكان وراء تأسيس مجموعة الخمس عشرة التى تضم دولاً من أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية .. وكان عضواً فى الوفد المرافق للرئيس المصرى أنور السادات فى زيارته الأولى للقدس عام ١٩٧٧ وتولى الجانب السياسى فى مباحثات كامب ديفيد ١٩٧٩ ووصفها بأنها كانت واحدة من أصعب المفاوضات فى تاريخ الدبلوماسية فى العالم.

وبعد عودته من الأمم المتحدة رأس منظمة الفرانكوفونية الدولية والمجلس الأعلى لحقوق الإنسان فى مصر.

د. احمد زويل

الفمتوثانية ... وجائزة نوبل فى الكيمياء

ولد احمد زويل فى ٢٦ فبراير ١٩٤٦ بمدينة دمنهور حيث تلقى تعليمه الأولى ، ثم انتقل مع أسرته إلى مدينة دسوق حيث مقر عمل والده حيث أكمل تعليمه حتى المرحلة الثانوية ، ليلتحق بكلية العلوم جامعة الإسكندرية .. ومنذ العام الأول انضم إلى قسم الامتياز حيث كان يتم رعاية المتفوقين علمياً ليكونوا نواة المشتغلين بالتدريس الجامعى والعمل فى المجالات البحثية ، وفى السنة النهائية حصل على المركز الأول وعين معيداً بكلية العلوم ، ثم حصل على درجة الماجستير فى علم الأطياف ، واختارته الجامعة ليسافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليحصل على درجة الدكتوراه فى العلوم من جامعة بنسلفانيا عام ١٩٧٤ فى كيمياء الليزر .

ثم انتقل د. احمد زويل إلى جامعة بيركلى بولاية كاليفورنيا وانضم لفريق الأبحاث بها ، وفى عام ١٩٧٦ عين فى جامعة كالتك كأستاذ مساعد للفيزياء الكيميائية ، وقد فضل هذه الجامعة عن غيرها لحصول خمسة وعشرين أستاذاً منها على جائزة نوبل .. وفى عام ١٩٨٢ نجح فى تولى منصب أستاذاً الكيمياء .

سجل براءة اختراع جهاز تركيز الطاقة الشمسية ، ثم حصل على جائزة الكسندر فون همبولدن من ألمانيا الغربية وهى أكبر جائزة علمية هناك ، كما

حصل على جائزة باك وتينى من ولاية نيويورك عام ١٩٨٥ ، وجائزة الملك فيصل فى الفيزياء .

وفى عام ١٩٨٩ انتخب احمد زويل بالإجماع عضواً بالأكاديمية الأمريكية للعلوم ، وكان أصغر الأعضاء سناً إذ كان عمره يبلغ ثلاثة وأربعين عاماً فقط ، وهى سابقة فى تاريخ الأكاديمية ، إذ لم تكن تقبل أعضاء تقل أعمارهم عن خمسة وخمسين عاماً مهما كانت إبداعاتهم العلمية .

وفى عام ١٩٩٠تم تكريمه بالحصول على منصب الأستاذ الأول للكيمياء فى معهد لينوس بولينج.

قضى د. احمد زويل سنوات طويلة يبحث فى مجالات الليزر وتطبيقاته حتى استطاع أن يحقق سبقاً علمياً فريداً ، إذ توصل إلى اختراع كاميرا تعمل بالليزر يمكنها تصوير ورصد حركة الجزيئات عند ميلادها ، وعند التحام بعضها ببعض وهو ما مكنه من اكتشافه المذهل (الفمتوثانية) وهى وحدة زمن تعادل واحد على مليون من البليون من الثانية ، وكانت نصراً علمياً هائلاً فتح الباب على مصراعيه أمام العديد من الاستخدامات الطبية والعلمية.

وفى عام ١٩٩٨ فاز د. احمد زويل بجائزة "بنيامين فرانكلين" عن اكتشافه العلمى الكبير ، وتسلم جائزته فى احتفال كبير حضره ١٥٠٠ مدعو من أشهر العلماء والشخصيات العامة .. وفى عام ١٩٩٩ حصل على جائزة نوبل فى الكيمياء لإنجازاته فى مجال التفاعل الكيميائى فى زمن متناهى الصغر .. وقد منحته مصر أرفع أوسمتها " قلادة النيل " تقديراً لمكانته العالمية التى توجها بجائزة نوبل .

د. محمد البرادعى
رابع مصرى يفوز بجائزة نوبل

فى يوم الجمعة ٧ أكتوبر عام ٢٠٠٥ وقف قطار نوبل علـــى ضـــفاف النيل للمرة الرابعة خلال ٢٧ عاماً ليعلن فوز أحد أبناء مصر العظـــام بجـــائزة نوبل للسلام وهو الدكتور محمد مصطفى البرادعى المدير العام للوكالة الدوليـــة للطاقة الذرية مناصفة مع الوكالة الدولية التى يترأسها ، وذلك مـــن بـــين ١٩٩ مرشحاً للجائزة هذا العام لينضم إلى قائمة المصريين الفائزين بجوائز نوبل .

وأعلنت اللجنة المانحة لجائزة نوبل للسلام التى جاء قرارها متزامناً مع الذكرى الستين لإلقاء سلاح الجو الأمريكى لقنبلتى " لتيل بوى " و " فات مان " الذريتين على مدينتى هيروشيما وناجازاكى فى أغسطس ١٩٤٥ ، أعلنت اللجنة أن قرارها منح الجائزة هذا العام إلى الوكالة الدولية للطاقة الذريـــة ورئيســـها محمد البرادعى يأتى تقديراً لجهودهما فى منع استخدام الطاقـــة النوويـــة فـــى الأغراض العسكرية وأنهما بذلا جهوداً كبيرة للتأكد مـــن أن اســـتخدام الطاقـــة النووية للأغراض السلمية يتم بأكثر الطرق الممكنة أماناً ، من جانبـــه أعـــرب الدكتور البرادعى عن اعتقاده بأن حصوله على جائزة نوبل للسلام سيعزز من عزيمته ويساعد على حل بعض القضايا الكبيرة التى تواجهها الوكالة فى الوقت المعاصر .

ومع أن الدكتور البرادعى قد ولد فى حى المساحة بالدقى بالقاهرة فـــى

١٧ يونيو عام ١٩٤٢ ، إلا أن جذوره تعود إلى قرية أبيار - مركز كفر الزيات - محافظة الغربية وهى نفس القرية التى خرج من أصولها الشيخ عبد الرحمن الجبرتى مؤرخ الحملة الفرنسية الشهير ، وهى أيضا القرية التى كان والده نائباً عنها فى مجلس الأمة ، وكان عمل والده كنقيب للمحامين السبب وراء عشـقه ودراسته القانون .

وتعلق منذ نعومة أظافره بالكتب الكثيرة فى مكتبة والده ، حيث قرأ فى الآداب والعلوم والمعارف العامة ، ولكن أغلب قراءاتـه تركـزت فـى كتـب القانون، حيث تخصص فيه إرضاءً لنفسه أولاً ولوالده ثانياً ... وتخرج محمـد البرادعى فى كلية الحقوق جامعة القاهرة عام ١٩٦٢ .

وبدأ الدكتور البرادعى عمله فى وزارة الخارجية المصرية عام ١٩٦٤، وتدرج فى مناصبه حتى جاءته فرصة الالتحاق بالبعثة المصرية فى نيويورك، وهناك جمع بين عمله واستكمال دراسته ، وبعد حصوله على الـدكتوراه مـن الولايات المتحدة ، عمل مساعداً لوزير الخارجية المصرى عام ١٩٧٤ ، كمـا عمل فى المهمات الدائمة لمصر فى الأمم المتحدة بنيويورك وجنيف ، وكأستاذ للقانون فى كلية الحقوق بجامعة نيويورك .

وفى عام ١٩٨٠ أصبح مسئولاً عن برنامج القانون الدولى فى منظمـة الأمم المتحدة ، ثم التحق عام ١٩٨٤ بالوكالة الدولية للطاقة الذرية ، حيث شغل بها منصباً رفيعاً كمستشار قانونى للوكالة، وفى عام ١٩٩٣ صار مديراً عامـاً مساعداً للعلاقات الخارجية .

وفى عام ١٩٩٧ عين مديراً للوكالة بعد حصوله على ٣٣ صوتاً مـن إجمالى ٣٤ صوتاً فى اقتراع سرى ليكون أول مصرى وعربـى يتـولى هـذا المنصب الكبير ، ثم أعيد تعيينه لفترة ثانية عام ٢٠٠١ ، ثم لفترة ثالثة بإجماع كل الأعضاء عام ٢٠٠٥ .

حصل على العديد من درجات الدكتوراه الفخرية والجوائز الدولية ، وكرمته مصر بمنحة قلادة لفوزه بجائزة نوبل للسلام .

لقطات مصرية

قصر العينى :

أقدم مستشفى فى مصر ، وكان فى البداية قصراً لأحد المماليك فى نهاية القرن الثامن عشر ، وقد جعله نابليون بونابرت مستشفى حربياً لجنوده فى حملتهم على مصر (١٧٩٨ - ١٨٠١) ثم أسس فيه محمد على مدرسة الطب ومستشفى ملحق به ، وقد ألحق بجامعة القاهرة بعد إنشائها.

القناطر الخيرية :

أنشأت فى عهد محمد على ، وقد اقترح إقامتها المهندس الفرنسى الشهير " موجل بك " ووقع الاختيار على المنطقة المعروفة باسم بطن البقرة حيث يتفرع فرعا النيل فى إتجاه رشيد ودمياط عند رأس الدلتا ، لترفع مياه النيل فى فترة الحاجة إلى الدرجة اللازمة لإمداد الرياحات بالكميات والمناسيب الكافية لرى أراضى الدلتا .. وقد بدئ فى إنشائها عام ١٨٤٣ ولكن العمل لم يكمل بها إلا عام ١٨٦٣.

وبمرور الوقت لم تعد القناطر الخيرية قادرة على أداء مهمتها ، وفـــى عام ١٩٤٠ تم افتتاح القناطر الجديدة التى أطلق عليها اسم محمد على.

أول طابع بريد فى العالم العربى :

صدر فى مصر عام١٨٦٦ ، وكان عبارة عن مجموعة طوابع (سبعة) طوابع طبعت بمطبعة بولاق ، أما أول طابع بريد مصرى يحمل صورة امرأة ، فقد صدر فى عام ١٩١٤ وكان للملكة كيلوباترا ، وهو من المجموعة السياحية ، ثم الملكة نفرتيتى عام ١٩٤٧ بمناسبة المعرض الأول للفنون الجميلة ، وقد فاز هذا الطابع بجائزة أجمل طابع بريد فى معرض (مارينا ماسا) بإيطاليا من بين ٤٨ دولة مشتركة .. وفى عام ١٩٦٠ صدر طابع بريد يحمل صورة إيـــزيس بمناسبة الدعوة لإنقاذ آثار النوبة .. أما طابع البريد الوحيد الذى كـــان يحمـــل صورة امرأة ، وهو طابع بريد عادى وليس تذكارياً فقد كان للفلاحة المصرية.

دار الكتب المصرية :

أنشأها على مبارك مدير المدارس – وزير المعارف فيما بعد – فى ٢٣ مارس ١٨٧٠ فى عهد الخديو إسماعيل ، وكانت فى بداية الأمـــر فـــى الـــدور الأسفل بقصر مصطفى باشا فاضل بدرب الجماميز ، ثم نقلت عام ١٩٠٤ إلـــى مبناها الشهير بباب الخلق ثم انتقلت إلى مبنى بكورنيش النيل.

وقد أنشأها على مبارك بأن جمع المخطوطات النفيسة التى لم تصل إليها يد التبديد لدى العلماء والأمراء والمساجد ومعاهد العلم ، كما اشترى مجموعات الكتب التى يملكها المصريون والأجانب.

أول كوبرى أقيم على النيل :

كوبرى قصر النيل ، أنشأه الخديو إسماعيل عام ١٨٧١ لربط سراى عابدين وسراى الجزيرة وهو أول كوبرى أنشئ على النيل من منبعه إلى مصبه، ثم استبدل هذا بالكوبرى الحالى الذى جعل طوله ٣٨٢ متراً وعرضه ٢٠ متراً وخصصت منها خمس أمتار لرصيفين على جانبيه وجعلت له فتحة ملاحية طولها ٦٨ متراً.

ومما يذكر أن أول كوبرى أقيم فى مصر من الحديد المسلح والفولاذ ، هو كوبرى أبو العلا ، بناه عام ١٩١٢ جوستاف إيفل الذى صمم برج إيفل بفرنسا عام ١٨٨٩ .

الترام يسير فى القاهرة لأول مرة :

فى عام ١٨٩٤ صدق مجلس الوزراء على منح امتياز لإنشاء شركة الترام فى القاهرة ، ومنحها امتيازاً لمدة خمسين سنة ، وكان على الشركة أن تبدأ بإنشاء ثمانية خطوط لربط أنحاء القاهرة .. وفى ١٨ أغسطس ١٨٩٦ بدأ تسيير عربات الترام فى القاهرة ، فأحدث تسييره هزة فى النفوس التى كانت حتى ذلك الوقت لا تعرف سوى العربات وركوب الخيل أو الحمير وسيلة للمواصلات داخل العاصمة ، وفى عام ١٨٩٧ صدر أمر عال بردم الخليج المصرى ، وكان قناة مائية وتحويله إلى طريق عمومى مراعاة للصحة العامة من ناحية وتيسيراً للمواصلات فى القاهرة من ناحية ثانية ، إذ تعهدت شركة الترام أن تقوم بنفقات ردمه وتسيير الترام فيه.

أول ورقة مالية فى مصر :

حتى نهاية القرن التاسع عشر كان الجنية الذهب المصرى هو أقوى عملة فى منطقة الشرق الأوسط ، حتى احتاجت إنجلترا إلى كل قطعة ذهب وفضة فى مستعمراتها فسحبتها بوسائل مختلفة ، وأقامت مجالس لإصدار العملات الورقية.

وفى هذا الوقت عام١٨٩٨ كانت مصر تقف على قاعدة صلبة من الذهب ، وفى نفس الوقت كان اللورد كرومر البريطانى يسعى لإقامة البنك الأهلى المصرى ، ويوقف عليه وحدة مهمة إصدار أوراق البنكنوت ، وكنوع من الإغراء المادى لسحب الذهب من المصريين حددوا قيمة الجنيه الورق بمائة قرش وثمن الجنيه الذهب بـ ٩٧,٥ قرشاً ، وكان هذا الفارق الكبير فى أسعار العملة دافعاً قوياً للتخلص من العملات الذهبية ، وفى عام ١٨٩٩ صدرت أول ورقة نقدية طبعوها فى لندن وعليها اسم البنك الأهلى المصرى.

وكالة البلح :

جاءت تسميتها من أنها كانت سوقاً عبارة عن مرسى صغير لاستقبال البلح من الصعيد تمهيداً لجمعه فى المنطقة وإعادة بيعه فى القاهرة والوجه البحرى ، ثم تحولت الوكالة أثناء الحرب العالمية الثانية إلى بيع مخلفات الجيش البريطانى والمصرى ، وكانت تطرح فى صورة بالات للتجار المصريين ، ويقوم بشرائها تاجر إيطالى اسمه " افارينو " وهو من حاشية الملك والسراية ، ويقوم بعرضها لصغار التجار المصريين ليحقق ربحاً عالياً .. واستمر احتكار افارينو حتى ظهر تاجر مصرى وهو " حسن صالح " واستطاع بنفوذه أن يحتكر سوق الخردة .. وبمرور الزمن لم تعد الوكالة تبيع الخردة فقط.

قصر البارون :

يوجد بضاحية مصر الجديدة ، وهو يعد واحداً من أجمل التحف المعمارية فى العالم ، استغرق تشييده ثلاث سنوات ، وتم بناؤه على الطراز الهندى فى الثلاثينات ، حيث بناه " البارون إمبان " البلجيكى الأصل والذى خطط ضاحية مصر الجديدة .

ويتكون القصر من خمس حجرات فقط ، ومساحة حديقته خمسة أفدنة ، ويمتاز بزخارفه الهندسية التى تظهر فى القبة الطويلة والحجرات المحلاه بتماثيل عن القصص الهندية الخرافية ، أما الحوائط فمرسوم عليها أجمل الطقوس الهندية.

وقد تم استيراد مواد بنائه من الخارج ، وتم تصميمه بحيث لا تغيب عنه الشمس أبداً ، فجميع ردهاته وحجراته تدخلها الشمس ، وقد استخدم فى بنائه المرمر والرخام الإيطالى والزجاج البلورى الأبيض والملون التشيكى ، ويستطيع من بالداخل أن يرى كل من بالخارج دون أن يراه أحد ، وقد زود بالعديد من التحف الثمينة ، واختارته جامعة كاليفورنيا قسم العمارة الشرقية فى استفتاء باعتباره أجمل قصور الشرق الأوسط.

أول فريق نسائى عربى للقفز كان مصرياً :

بدأت قصتهن عندما أعلنت هيئة الفتوة عن إعداد فرقة للمظلات من الطالبات والمدرسات ، فتقدمت ٣٤ فتاة اختير منهن ١٢ فتاة بعد اختبارات طبية ورياضية ونجح منهن ٧ فتيات استطعن أن يقفزن من برج لا يعرفن ما يحيط به وذلك لتأكيد صفتى الثقة بالنفس وعدم التردد ، وكن فى الواقع مثبتات بحبال،

وبعدها أعدت الفتيات للقفز الحقيقى من الطائرة ، وكان التدريب شاقاً لمدة ثلاثة أسابيع بمدرسة المظلات ، وكان عمر الهابطات يتراوح بين ١٦ ، ١٨ عامـاً ، وقد تمت تجربة التخرج على ملعب النادى الأهلى يوم ٣ فبرايـر ١٩٦٠ فـى مهرجان الفتوة الذى ضم ١٢ ألف طالب وطالبة وجمهور ضخم من المـدعوين وحضر الرئيس جمال عبد الناصر ، وتم القفز من الطائرات الاليوشن الحربية.

أحدث رياضة قدمتها مصر للعالم :

كرة السرعة وهى من ألعاب المضرب – التنس والأسـكواش وتـنس الطاولة – ابتكرها المهندس المصرى محمد لطفى ، وهى عبارة عـن جهـاز يتدلى منه حبل ينتهى بكرة تشبه كرة التنس ، وقد حصل عام ١٩٧١ على براءة إختراع اللعبة .. ويعد الاتحاد المصرى لكرة السرعة والذى تأسس عام ١٩٨٤ أول إتحاد رسمى للعبة فى العالم ، وبدأت الدول الأخرى فى إنشـاء اتحـادات مماثلة مثل فرنسا واليابان وإنجلترا وبلجيكا ، وفـى عـام ١٩٨٦ أقيمـت أول بطولة دولية لهذه الرياضة فى مصر التى فازت بها .

أول دولة عربية تطلق قمراً صناعياً :

فى ١٩٩٨/٤/٢٨ تم اطلاق القمر الصناعى المصرى الأول نايل سات ١٠١ الى الفضاء من قاعدة كورو الفضائية بجيانا الفرنسية بأمريكـا الجنوبيـة بواسطة صاروخ الفضاء الاوربى اريان سبيس ٤ ، ثم أطلق القمر الصـناعى المصرى الثانى نايل سات ١٠٢ بنفس الأسلوب السابق ، وكانت شركة مـاترا ماركونى الفرنسية قد قامت بتصنيع واطلاق القمرين ، وفى ١٧ إبريـل ٢٠٠٧

تم إطلاق قمر صناعى مصرى للاستشعار عن بعد (إيجيبت سات ١) وذلك بعد أربع سنوات من التعاون بين مصر وأوكرانيا فى بناء هذا القمر ، وكان الصاروخ الأوكرانى " دنيبر " قد نجح فى اطلاق القمر المصرى ووضعه فى مداره إنطلاقاً من قاعدة باكينور الروسية فى جمهورية كازاخستان.

ومن المنتظر أن يسهم القمر (إيجيبت سات ١) فى استكشاف بعض الثروات الطبيعية وتحديد أفضل مساحات مهيئة للاستصلاح الزراعى والعمرانى بالإضافة إلى الأبحاث العلمية التى تعد أحد الأهداف الاساسية من وراء اطلاق القمر.

ساهم هذا المشروع فى تطوير خبرة وطنية مصرية يمكن أن تصبح قادرة فى المستقبل القريب على الاعتماد على نفسها فى بناء أقمار صناعية مصرية.

د. حسن مصطفى رئيساً للاتحاد الدولى لكرة اليد :

فى عام ٢٠٠٠ انتخب د. حسن مصطفى رئيساً للإتحاد الدولى لكرة اليد فى الانتخابات التى أجريت بالبرتغال حيث أقيمت بطولة العالم لكرة اليد ، ليكون أول مصرى وعربى يتبوأ هذا المنصب الرفيع ، وفى عام ٢٠٠٤ اعيد انتخابه للمرة الثانية وبفارق كبير عن منافسه فى الانتخابات التى أجريت بمدينة الغردقة .. وكان د. حسن مصطفى قد عمل فى التدريب قبل أن يتجه للمجال الادارى ، ثم تولى رئاسة الاتحاد المصرى لكرة اليد من عام ١٩٨٤ حتى ١٩٩٢ ، ثم تولاه من ١٩٩٦ حتى الآن حيث فاز فى الانتخابات الأخيرة التى أجريت عام ٢٠٠٤ بالتزكية.

المراجع

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً : الموسوعات

- أحمد حسين ، **موسوعة تاريخ مصر** ، القاهرة : دار الشعب ، ١٩٧٣ .
- **الموسوعة الذهبية** ، القاهرة : سجل العرب ، ١٩٨٠ .
- سليم حسن ، **موسوعة مصر القديمة** ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠ .
- ناصر الأنصارى ، **موسوعة حكام مصر من الفراعنة إلى اليوم** ، الطبعة الثانية ، القاهرة : دار الشروق ، ١٩٨٧ .
- **موسوعة المعرفة** ، بيروت : شركة إنماء للنشر والتسويق ، ١٩٨٧ .
- **موسوعة وصف مصر** ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٢ .

ثالثاً : الكتب العربية والمترجمة

- إبراهيم عبده ، **تطور الصحافة المصرية ١٧٩٨-١٨٨١** ، الطبعة الرابعة ، القاهرة، سجل العرب ، ١٩٨٢ .

- أحمد بهاء الدين ، **أيام لها تاريخ** ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥ .
- أحمد حسين الصاوى ، **فجر الصحافة فى مصر – دراسة فى إعلام الحملة الفرنسية** ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ .
- أحمد زكى عبد الحليم ، **نساء فوق القمة** ، القاهرة : دار الفيصل ، ١٩٨٧ .
- أحمد عبد الحميد يوسف ، **مصر فى القرآن والسنة** ، القاهرة : دار المعارف ، سلسلة إقرأ ، العدد ٣٧٣ ، ١٩٨١ .
- السيد فرج ، **رواد الرياضة فى مصر** ، القاهرة : مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ١٩٨٨ .
- ألكسندر ستيبتشفيتش ، **تاريخ الكتاب – القسم الأول** ، ترجمة محمد الأرناؤوط ، الكويت : المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب سلسلة عالم المعرفة ، العدد ١٦٩، ١٩٩٣ .
- بدر الدين أبو غازى ، **رواد الفن التشكيلى** ، القاهرة : دار الهلال ، سلسلة كتاب الهلال ، العدد ٤١٣ ، ١٩٨٥ .
- بيير مونتيه ، **الحياة اليومية فى مصر** ، ترجمة عزيز مرقص ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧ .
- جابر عصفور ، **دفاعاً عن المرأة** ، القاهرة : دار أخبار اليوم – كتاب اليوم – العدد ٤٩٢ ، مارس ٢٠٠٧ .
- جلال كامل ، **اعرف بلادك** ، القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ، سلسلة من الشرق والغرب ، العدد ٩٨، بدون تاريخ .
- جمال بدوى ، **طبيعة الأمة المصرية** ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٦ .
- جمال بدوى ، **نظرات فى تاريخ مصر** ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة تاريخ المصريين ، العدد٢٢ ، ١٩٨٨ .

- جمال حمدان ، **القاهرة** ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٦ .
- جمال حمدان ، **شخصية مصر** ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠ .
- جورج بوزنر وأخرون ، **معجم الحضارة المصرية القديمة** ، ترجمة أمين سلامة ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٦ .
- جيمس هنرى برستيد ، **فجر الضمير** ، ترجمة سليم حسن ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠١ .
- حسن إبراهيم وآخرون ، **الأزهر تاريخه وتطوره** ، الطبعة الثانية ، القاهرة : الأزهر ، ١٩٨٣ .
- حسين فوزى النجار ، **الإعلام المعاصر** ، القاهرة : دار المعارف ، سلسلة إقرأ ، العدد ٤٩٥، ١٩٨٤.
- حنفى المحلاوى ، **شعراء أم كلثوم** ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠١ .
- خليل صابات ، **وسائل الإعلام – نشأتها وتطورها** ، القاهرة : الأنجلو المصرية ، ١٩٧٦ .
- رفاعة رافع الطهطاوى ، **تخليص الإبريز فى تلخيص باريز** ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣ .
- رياض رمضان العلمى ، **الدواء من فجر التاريخ إلى اليوم** ، الكويت : المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ١٢١ ، ١٩٨٨ .
- سعاد ماهر محمد ، **مساجد مصر وأولياؤها الصالحون** ، القاهرة : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٧٦ .
- سليمان حزين ، **حضارة مصر** ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥ .
- سيد كريم ، **الكاتب المصرى وأدب القصة العالمى** ، القاهرة : دار الهلال ، كتاب الهلال ، ١٩٨٨ .

- شحاته عيسى إبراهيم ، **القاهرة** ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠١ .
- شوقى عطا الله الجمل ، **دور مصر فى افريقيا فى العصر الحديث** ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب – مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر – مصر النهضة ، ١٩٨٤ .
- صلاح قبضايا ، **الصحف اليومية المصرية فى القرن التاسع عشر** ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢ .
- طارق مصطفى وحسين محمود ، **العصر الذهبى للرياضة المصرية** ، القاهرة : بدون ناشر ، ١٩٨٨ .
- عباس الطرابيلى ، **أحياء القاهرة المحروسة** ، القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ٢٠٠٣ .
- عباس الطرابيلى ، **شوارع لها تاريخ** ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠ .
- عبد الحميد الكاتب ، **قراءات ودراسات عن مصر والمصريين** ، القاهرة : كتاب اليوم ، ١٩٨١ .
- عبد الرحمن الرافعى، **تاريخ مصر القومى ١٩١٤ – ١٩٢١**، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩ .
- عبد الرحمن الرافعى ، **عصر إسماعيل** ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠ .
- عبد الرحمن الرافعى ، **عصر محمد على** ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠ .
- عبد الغنى عبد الرحمن محمد ، **سيناء أرض التاريخ والبطولات** ، القاهرة : بدون ناشر ، ١٩٧٦ .

- عبد المنعم الجميعى ، **عصر محمد على – دراسة وثائقية** ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٣ .
- عبد المنعم الجميعى ، **مصر فى التاريخ الحديث والمعاصر** ، الطبعة الأولى ، القاهرة : بدون ناشر ، ١٩٩٢ .
- عبد المنعم شميس ، **القاهرة قصص وحكايات** ، القاهرة : كتاب اليوم ،١٩٨٤ .
- عبد المنعم شميس ، **شخصيات مصرية** ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧ .
- عبد المنعم عبده ، **عمالقة المانش** ، القاهرة : أخبار اليوم ، بدون تاريخ .
- عصمت محمد حسن ، **جوانب من الحياة الإجتماعية لمصر من خلال كتاب الجبرتى**، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٣ .
- عفاف لطفى ، **مصر فى عهد محمد على** ، ترجمة عبد السميع عمر ، القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤ .
- على الدين هلال ، **السياسة والحكم فى مصر** ، القاهرة : مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٧٧ .
- على بركات ، **رؤية الجبرتى لأزمة الحياة الفكرية** ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة تاريخ المصريين – العدد ٨ ، ١٩٨٧ .
- علية الجنزورى ، **غارات أوربا على الشواطئ المصرية فى العصور الوسطى** ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة تاريخ المصريين – العدد ٥ ، ١٩٨٧ .
- غالى شكرى ، **نجيب محفوظ من الجمالية إلى نوبل** ، القاهرة : الهيئة العامة للاستعلامات ، ١٩٨٨ .
- لطيفة محمد سالم ، **المرأة المصرية والتغيير الإجتماعى ١٩١٩– ١٩٤٥**، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤.

- مايكل كارفر ، **معركة العلمين** ، ترجمة محمد إبراهيم عبد العزيز ، القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ، سلسلة من الشرق والغرب ، ١٩٦٤ .
- محمد عبد الغنى وعبد العزيز الدسوقى ، **روضة المدارس – نشأتها واتجاهاتها الأدبية والعلمية** ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ .
- محمد عبد المنعم خفاجى وعبد العزيز شرف ، **عباس محمود العقاد بين الصحافة والأدب** ، القاهرة : الأنجلو المصرية ، ١٩٨٥ .
- محمد فؤاد عبد الباقى ، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** ، الطبعة الأولى ، القاهرة : دار الحديث، ١٩٨٦ .
- محمد محمود الجوادى ، **الدكتور على إبراهيم** ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة اعلام العرب ، العدد ١١٨ ، ١٩٨٦ .
- معن زيادة ، **معالم على طريق تحديث الفكر العربى** ، الكويت : المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ١١٥ ، ١٩٨٧ .
- منير محمد إبراهيم ، **دراسات فى السينما المصرية – رواد وأفلام** ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، المكتبة الثقافية ، العدد ٣٩٣ ، ١٩٨٥ .
- ميمونة ومارية ، **مجموعة أمهات المؤمنين** ، القاهرة : دار المعارف ، الطبعة الخامسة ، العدد ١٦ ، ١٩٨٣ .
- نبيل فرج ، **طه حسين – وثائق أدبية** ، القاهرة : دار الهلال ، ٢٠٠٣ .
- نعمان عاشور ، **عشاق مصر** ، القاهرة : أخبار اليوم – كتاب اليوم ، العدد ٢٢١ ، ١٩٨٣ .
- يوسف الحمادى ، **طه حسين** ، القاهرة : مكتبة مصر ، ١٩٨٧ .

رابعاً : الدوريات

- الأرشيف الصحفى لصحف الأهرام ، والأخبار ، وآخر ساعة ، والجمهورية ، والوفد ، والمصور ، والهلال ، وأكتوبر .

الفهرس

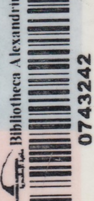
هذا الكتاب

بعيداً .. بعيداً ... منذ أكثر من خمسة آلاف عام ، وفى أحضان بقعة مصرية صغيرة بالقرب من ميت رهينة بالجيزة الآن ، بدأ من مدينة منف تاريخ هذا العالم.

وعبر هذه الرحلة الطويلة من ذلك التاريخ الممتد قاد المصريون مسيرة العالم قروناً طويلة ، وأضاءوا بالعلم لياليه المظلمة ، كانت أحلامهم متجاوزة كل شئ كى يقدموا للدنيا حضارة تليق بهم ، وبالإنسان الذى كرمه الله ... فحين كان العالم يخطو خطواته متعثراً ، كان فى مصر دولة ، وحكم ، ونظام ، وشعب مستنير أنشأ متأنياً حضارته، ودانت له بالعلم كل مجالات الحياة ، وانطلق خارج حدوده يحكم، ويوقظ ، ويعلم ، ويبرهن لهم على قدراته المبهرة التى لم يطلقها كى يعيش ، وإنما ليحيا ويسود ... وإذا كان سبق اجدادنا المصريين يعد شرفاً لنا نقدره إكباراً ولا ندعيه ، فإن دورنا فى مسيرة الحضارة لم يقف - كما يدعى من لا يعرف- عند ذلك الزمن البعيد.

وكى يزهر الآتى يجب أن نعرف من أين تأتى الجذور ؟! وكيف أتت؟! وإذا كان لكل أمة أوجاعها ، فإن لها أسرار قوتها ، وقد يكمن فى الأمس سر الغد القادم ... وهذا ما دفعنى لأضع هذا الكتاب ، ذلك أننا نعرف من تاريخ العالم أكثر مما نعرف عن أنفسنا ، وأقل بكثير مما يعرف ذلك العالم عنا.

إننا نقطة البداية ... يجب أن نعلم من نحن؟ وماذا قدمنا للعالم منذ كان التاريخ وحتى الآن فى كل مجالات الحياة ... وهذا ما حاول كتابى أن يجيب عليه، وهو بعض من فيض كثير ، وصحفات من كتاب كبير أسمه "مصر".




ISBN 977-232-631-0
9 789772 326310

www.alamalkotob.com